بلقيس

رواية

هبة بنداري

دار المصري الأدبي

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

استيقظت من النوم اليوم وأنا أشعر بملل شديد أشعر أني محبطة يراودني إحساس بأني طيف ثقيل حل على تلك الدنيا ولا يعرف له طريق... نهضت من فراشي وأنا حقًا لا أريد أن أنهض بل أريد أن أكمل نومي هذا في ثبات عميق حتى يوم القيامة..

ولما النهوض واليوم مثل أمس وغدًا كاليوم ليس هناك جديد...

دخلت إلى حمامي الفخم والذي تقترب مساحته من مساحة شقة خلعت ملابسي وألقيتها على الأرض أريد اليوم أن أعيش في فوضى.. دخلت إلى حوض الاستحمام والذي تحسدني عليه جميع صديقاتي وبعد أن أنهيت حمامي اليومي توجهت إلى المرآة الكبيرة المعلقة على إحدى الجدران ونظرت بها بعد أن كتبت عليها اسمي بخط كبير "بلقيس".. نعم "بلقيس" هذا اسمي غريب وعجيب مثلي..

لست أدري ما هو عمري الحقيقي ربما سوف أكمل عامي العشرين أو ربما كنت في الأربعين وربما تخطيت ذلك بمراحل وأعوام وأزمان كثيرة وربما كنت أنا بلقيس ملكة سبأ...

لا لست هي لا أحمل منها سوى اسمها فقط ...

أنهيت ارتداء ملابسي سريعًا ثم دخلت إلى المطبخ الذي هو يبهر كل من يراه لقد كلفني الكثير من الأموال رغم أني لا أدخله كثيرًا بل هو ملك خالص للخدم.. الخدم نعم لقد أعطيتهم جميعًا اليوم أجازه إجبارية أريد اليوم أن أكون وحدي لا أريدهم أن يزعجونني ماذا تأكلين اليوم يا سيدتي... أتريدين شرب القهوة.. جهزت لكِ ملابسكِ... أفٍ لهم ولإزعاجهم...

صنعت لنفسي قدحًا كبيرًا من القهوة وجلست أرشفه وأنا أتابع بنظراتي الدخان المتصاعد منه يصنع مع بعضه أشكال متشابكة أرغب اليوم أن أخوض تجربة جديدة أهوى أن أمتع نفسي بمغامرة غير مألوفة لدي.. ربما أقود سيارتي بسرعة كبيرة وأذهب إلى فيلتي برأس سدر كي أشاهد غروب الشمس فقط ثم أعود لا ليست بفكرة جديدة لقد فعلتها من قبل مرات كثيرة.. أحجز على أول طائرة ذاهبة إلى فرنسا كي أتناول طعام العشاء هناك لا ثم لا لقد فعلتها من قبل عشرات المرات... أحطم قلبًا جديدًا ثم أضيفه إلى أكوام القلوب المحطمة لدى لا وألف لا إنها فكرة قديمة لعبتها كثيرًا حتى أصبحت لعبة بالية.. في أحيان كثيرة أكره نفسي أكره قسوتي وعجرفتي وفي بعض الأحيان أعشق ما أنا عليه "فتنة" أنا تمشي على الأرض تفتن كل من يقابلها تارة بجمالي وتارة أخرى بمالي الذى بلا حدود...

أنهيت قهوتي ثم خرجت من باب قصري الكبير وقد قررت أن أقضي يومي هذا بشكل بسيط .سوف أذهب إلى النادي وأقابل صديقاتي نتناول طعام الغداء معًا ثم ننزل إلى حمام السباحة لكي نستمتع بالمياه المنعشة وعند الساعة السابعة سوف نذهب إلى فندق "ماريوت" لكي نتناول الشاي والجاتوه....

عندما تحركت بسيارتي الفارهة والتي يتعدى ثمنها المليون جنية بدأت أتصل بصديقاتي الأربعة المقربات والمفضلات لدى حتى يقابلنني في النادي لكي نستمتع بهذا اليوم.

كانت أول من اتصلت بها هايدي صديقتي الأولى والتي تمتد صداقتي بها منذ أيام المدرسة وحتى أنهينا دراستنا سويًا في الجامعة الأمريكية كانت هايدي على النقيض مني تمامًا فهي شديدة الرقة وأنا شديدة القسوة وهي تتعاطف مع كل من حولها وأنا لا يهمني أحد.. هي تحب كل الناس وأنا لا أحب إلا نفسي كان كل من يرانا معًا يتعجب لنا كيف أننا صديقتان رغم أننا مختلفتان....

تزوجت هايدي منذ ما يقرب من خمس سنوات ولديها طفلة جميلة في الثالثة من عمرها اسمها ياسمين رقيقة هي مثل أمها كانت هايدي تحب زوجها بشدة وتتفانى في إرضائه ورغم هذا فإنه ينظر إلى كل النساء بنَهم شديد

وخصوصًا أنا فكلما وقع نظره علي فإنه يعصرني بعينه والتي تمنيت أن أفقعها له حتى يكمل حياته أعمى لا يرى شيء فهو لا يستحق هايدي ولا حبها له....

بعد اتصالي بهايدي اتصلت بهمسة صديقتي الثانية والتي لم يكن اسمها يمت لها بصلة فهي ليست همسة على الإطلاق بل صرخة فصوتها عالي وضحكتها رنانة ومكياجها صارخ وملابسها فاضحة وهي تكبرني أنا وهايدي بأكثر من عشرين عامًا ورغم ذلك فنحن نشعر أنها في مثل عمرنا وتتمتع بالشباب الذي يجري في عروقنا... لم تحمل همسة للدنيا همًا في يوم من الأيام بل تعيش حياتها كما يحلو لها ؛فقد تزوجت ثلاثة مرات ولها من كل زيجة من تلك الزيجات ابن أو ابنه تعرفت على همسة في إحدى رحلاتي إلى فرنسا حيث تعاركنا يومها على آخر قطعة من فستان كنت أنوي شراءه وكانت هي الأخرى تريده ثم أصبحنا بعدها صديقتين ورغم عيوب همسة الكثيرة إلا أنني أرتاح لها كثيرًا لأنها تمتلك نفس طفل صغير لا يعرف الحقد أو الكراهية لأحد....

كان اتصالي بصديقتي الثالثة فرح فهي أصغر من في شلتنا تبلغ من العمر تسعة عشرة عامًا ورغم أنها شديدة التفوق حادة الذكاء وتدرس بالسنة الثالثة بكلية الطب إلا أنها تستمتع بصحبتنا كثيرًا وتقضي معنا أوقات رائعة كان مظهرفرح شديد العصرية فهي لا تحب إلا ارتداء الجينزوتترك شعرها على سجيته فهو ناعم وطويل ورغم عينيها الجميلتين إلا أنها كانت تخفيهما دائمًا خلف نظارة طبية.. تعرفت على فرح في حمام السباحة بالنادي ومنذ يومها أصبحنا صديقتين....

أما صديقتي الرابعة والتي اتصلت بها فور انتهاء مكالمتي مع فرح فهي فريدة تختلف في مظهرها عنا بعض الشيء فهي محجبة وإن كان حجابها عصري في الخامسة والثلاثين من عمرها متزوجة ولديها ثلاثة أولاد حياتها هادئة تحب زوجها ويحبها وأولادها رائعون ولا تعاني من أي مشكلة في حياتها سوى اعتراض زوجها على صداقتها لنا ولكن تمسك فريدة بصداقتي أنا وهمسة وفرح وهايدي جعله يرضخ على مضض وأصبح شعوره أننا عيب في زوجته لابد له أن يتحمله من أجلها...

عندما دخلت النادي لم تكن صديقاتي قد وصلنا بعد فقررت أن أرتدي

المايوه وآخذ بعض الشمس حتى يصلن رغم أننا في شهر يناير إلا أن أشعة الشمس اليوم كانت رائعة وكان الكثير من الناس يستلقون حول حمام السباحة وكأننا في عز الصيف.. أشعر دائمًا بأن دماء الشباب تجري في عروقي عندما أمارس رياضة السباحة شتاءً ....

وصلت الشلة بعد حوالي نصف ساعة نزلت هايدي وفرح وهمسة معي إلى حمام السباحة وبقيت فريدة وحدها تجلس على المنضدة لم تكن فريدة تنزل للسباحة إلا في اليوم المخصص للسيدات وكان لديها بكيني رائع لا أدرى لما انتقته بهذا الذوق الرفيع مادام لا يراه إلا السيدات فقط... كان يومًا رائعًا رغم بساطته فقد تناولنا طعام الغداء أنا وصديقاتي تحت أشعة الشمس الرائعة تكلمنا كثيرًا وضحكنا أكثر حتى مضى بنا الوقت ونحن لا نشعر ومن حسن حظي أن زوج فريدة كان مشغولًا في هذا اليوم كثيرًا ولن يعود إلى المنزل إلا ليلًا وقد كلمته تليفونيًا وسمح لها بأن تقضي معنا هذا اليوم وخصوصًا أن أولادها الثلاثة تحت أعينها بالنادي أما زوج هايدي فكان مسافرًا في رحلة عمل منذ يومين وعلى ذلك فإنها لم تتقيد اليوم بميعاد معين لعودتها إلى المنزل...

أما همسة فلم يكن هناك من يقيدها أصلًا بميعاد أو خلافه وفرح صديقتنا الصغيرة فأمها الأجنبية قد ربتها وعودتها على الحرية المطلقة رغم أن والدها صارم بعض الشيء...

عند الساعة السابعة اقترحت عليهم تناول الشاي والجاتوه بماريوت ووافقوا جميعًا... جلسنا بالفندق حتى الساعة التاسعة ثم انصرفنا كل إلى منزله بعد يوم طويل وممتع...

أثناء عودتي إلى منزلي والذي يوجد في أول طريق مصر إسكندرية الصحراوي خطرلي خاطر مجنون جعلني أكمل قيادتي لسيارتي ولا أقف عند بوابة منزلي بل أكملت حتى تخطيت بوابات الطريق الصحراوي ومضيت أقود سيارتي بسرعة كبيرة لا يخيفني الظلام الدامس من حولي ولا أنوار السيارات النقل الكبيرة وأبواقها المزعجة كان كل ما أريده في تلك اللحظة أن أصل إلى الإسكندرية فلقد شممت في أنفي رائحة البحر كنت أريد أن أتناول طعام الإفطار على شاطئ البحر ولا يهمني أنني وحدي فأنا دائمًا وحدي وقد تعودت على حب نفسي....

وعند الكيلو ثمانين من الطريق الصحراوي فجأة أحسست بأن السيارة ليست على ما يرام ثم بدأت تقف شيء غريب إن سيارتي جديدة وهي موديل السنة ما الذي يجري.. لأول مرة أشعر بالخوف فأنا وسط الطريق الصحراوي والظلام دامس من حولي.. توقفت على جانب الطريق وأنا في شدة التوتر..

جلست داخل السيارة لا أدري ماذا أفعل أي فكرة مجنونة قد أتت بي إلى تلك البقعة المظلمة بل الشديدة الظلام مضى علي وأنا على تلك الحالة من التوتر والخوف ما يقرب من نصف ساعة والسيارات تمضي بسرعة من جانبي وأضوائها تضئ جزء من الطريق... تلفت حولي في محاولة يائسة عَلني أجد من يساعدني وفجأة عندما أنارت إحدى السيارات وهي تمضي مسرعة رأيت طريقًا جانبيًا يتفرع من الطريق الرئيسي ووجدت أضواءً تأتي من مبنى موجود به فتحت باب السيارة ونزلت بحذر شديد كان المبنى أمامي أكثر وضوحًا حيث تبينت أنها ما يشبه المزرعة ومسافتها قريبة مشيت وأنا في شدة الخوف حوالي خمس دقائق حتى وصلت كان المكان أمامي أصبح شديد الوضوح نعم هي بالفعل مزرعة كبيرة أو شيء يشبهها لا أدري اقتربت من البوابة الحديدية الكبيرة وطرقتها لم يجب على أحد انتظرت بضع ثواني ثم طرقتها بعنف أكثر فأنا خائفة ووحيدة على هذا الطريق المرعب المظلم... لم يجبني أحد ولكن واصلت طرقي على هذه البوابة حتى أحسست بأن هناك حركة تأتي من الداخل ثم أنير الضوء الخارجي العالي الموجود على البوابة من الخارج وسمعت صوت الترباس الداخلي وهو يفتح ثم أطل من خلف البوابة وجه رجل ريفي يرتدي جلابية ينظر إلى باستفسار وهو يقول وقد بدت عليه آثار النوم:

-أفندم... في حاجة يا آنسة

رغم أن الجو كان في الصباح رائعًا والشمس ساطعة إلا أنه اختلف كل الاختلاف الآن فقد انقلب فجأة وقد أخذت السماء تمطر بشدة وأصبح يومًا شتويًا سيئًا شديد البرودة وعلا صوت الرعد....

وقفت بلقيس ترتعد من البرد والخوف وملابسها المبللة من المطر نظرت إلى الرجل الواقف أمامها يسألها وقالت له باستعطاف:

_ لو سمحت أنا عايزه أدخل .. تنحي الرجل جانبًا وجعلها تدخل وهو ينظر

إليها بدهشة شديدة ..

ويتساءل في نفسه

ما الذي أتى بفتاة بمثل هذا الجمال وحدها في تلك الساعة من الليل وفي مثل هذا الجو السيء....

عندما دخلت بلقيس من البوابة الرئيسية وجدت أن هناك فيلا صغيرة داخل أسوار تلك البوابة الكبيرة مشى الرجل أمامها حتى صعد بضع درجات وصل بها إلى باب الفيلا ومن ثم رن الجرس ووقف ينتظروبجواره وقفت بلقيس تتساءل داخل نفسها:

يا ترى الفيلا دي بتاعت مين ومين ممكن يعيش في وسط الصحرا دي أكيد راجل عجوز ومراته العجوزة عايزين هدوء شديد بعيد عن الضوضاء...

openkandl.com

الفصل الثاني

كانت السماء تمطر بشدة وصوت الرعد يشق سكون الليل يصاحبه برق ينير السماء من وقت لآخر....

كانت تلك الليلة من ليالي الشتاء القاسية التي يفضل بها أي شخص المكوث في بيته وعدم الخروج منه والاندثار بالأغطية والملابس الثقيلة مع كوب من مشروب دافئ....

عندما رن جرس الباب فجأة والهدوء يخيم على المكان انتفضت دادة فردوس من مقعدها بجوار المدفأة وهى تقول بفزع:

- بسم الله الرحمن الرحيم... يا ترى مين اللي بيرن دلوقتي..

ضحك عمر بشدة وهو يقول :

- إيه يا داده في إيه مالك يا حاجة الساعة لسه حداشر لسه بدري ممكن أي حد يجي دلوقتي...

- ردت عليه داده فردوس بقلق:

- أيوه يا بني بس في الشتا ديه محدش بيجي في الساعة دي وخصوصًا في الجو ده...

- قال لها عمر وهو لا يدري سبب قلقها هذا:

- أنا مش عارف يا داده أنتِ قلقانة كده ليه ممكن يكون محسن عايز حاجة ولا مراته ولا حد من ولاده...

- ردت عليه فردوس قائلة:

- لا دول ناموا كلهم من حوالي نصف ساعة...

- هز عمر رأسه متعجبًا منها وهو يقول:

- طيب يا داده افتحي ما تخفيش ما أنا معاكي أهوه ولا تحبي أفتح أنا ...

obeikandl.com

مشت فردوس نحو الباب لكي تفتحه وترى من الذي سوف يأتي في تلك الساعة من الليل وفي مثل هذا الجو القارس البرد وتلك الأمطار.... فتحت داده فردوس باب المنزل ووقفت تنظر بدهشة شديدة وهي لا تنطق بكلمة اندهش عمرونهض من كرسيه عندما سمع صوت محسن وهو يقول لداده فردوس:

- الآنسة دي يا حاجة يظهر تايهه ولا إيه مش عارف ..

عندما كان عمر يقترب من الباب لكي يستطلع الأمر سمع صوتًا ناعمًا لم يسمع أنعم منه في حياته يقول بنعومة خطيرة:

- أنا آسفة على الإزعاج بس في الحقيقة.... لم تكمل بلقيس كلامها وتوضيحها ما الذي أتى بها للحاجة فردوس لأن عمر كان قد وصل إلى الباب ووقف بدوره ينظر في دهشة هو الآخر لصاحبة هذا الصوت الناعم الذي أحس أنه قد اخترق روحه....

وقف عمر ينظر إليها وهو لا يدري ما الذي أتى بتلك المخلوقة الساحرة إلى منزله كان يتأملها بانبهار.... حقًا لقد رأى في حياته ألوان مختلفة من الجمال هنا في مصر وعندما سافر إلى ألمانيا لكي يكمل دراسته ويحصل على الدكتوراه وأيضًا عند سفره إلى لندن وإلى فرنسا وغيرها الكثير من البلدان كان عمر يحب السفر ومشاهدة ثقافات مختلفة وبلاد جديدة وشاهد من جمال النساء الكثير كان جمالهم يشد نظره لثواني ثم سرعان ما كان يمضي في طريقه ولكن هنا في مصر وعلى أعتاب باب منزله تقف حورية من الجنة بل جنية من البحر لا يدري لما تأثيرها غريب وعجيب كملامحها تمامًا كان يتأملها بدقة شديدة كأنه يصورها بذاكرته...

كانت بلقيس تسحر كل من يراها وهم لا يدرون ما سر هذا السحر أهو يكمن في بشرتها البيضاء الرقيقة أم في عينيها الواسعة بشدة أم هو سحر يأتي من نظرتها المتوحشة إليك وكأنها هر بري متوحش وجائع يوشك أن ينقض على قطعة لحم...

أم يكمن هو في صوتها الشديد النعومة... كانت بلقيس بحق غريبة وعجيبة كلها على بعضها سحر متكامل لا يأتي سحرها من شيء بعينه...

كانت بلقيس طويلة القامة ممشوقة فارعة.. جسدها كأنه رمح يوشك أن

ينفذ إلى قلبك... عينها واسعتان ناعستان متوحشتان لا تدري ما هو لونهما الحقيقي.... أما شعرها فهو أسود متموج ليس بالطويل ولا القصير فهو يصل إلى كتفيها كان لون بشرتها البيضاء وشعرها الحالك السواد يصنعان تناغمًا خطيرًا يوشك أن يهلكك ويقضي عليك ... كان عمر مشدوهًا يتأملها وهو يقف بالباب عندما أفاق على صوت محسن الخشن الأجش يرده إلى وعيه وهو يقول:

- معلش يا باشمهندس خلي الآنسة تدخل أحسن المطر بلها وبهدلها خالص قال عمر بسرعة وخجل شديد وهو يبتعد عن الباب ويفسح الطريق لبلقيس كي تدخل:.

- أنا آسف خالص.. اتفضلي... ثم نظر إلى داده فردوس وقال لها:

- داده هاتي للآنسة فوطة بسرعة واعملي حاجة دافية عشان تشربها....

خرج محسن وأغلق باب المنزل خلفه وذهبت فردوس لكي تنفذ ما قاله لها عمر وبقى عمر بجوار تلك الساحرة لا يدري ماذا يفعل يحاول أن يتمالك نفسه من التوتر نظر إليها فوجدها قد ذهبت لتجلس على الأرض بجوار المدفأة فقال لها بسرعة:

- ليه على الأرض اتفضلي على الكرسي اللي جنب الدفاية أنتِ خايفة أحسن الكرسي يتبل ولا يهمك يتبل مش مشكلة قومي من على الأرض أحسن تبردي...

نظرت إليه بلقيس بعينيها المتوحشة وقالت له بنعومة ممزوجة باستهتار وغرور:

- لا أنا مش في بالي الكرسي بصراحة ما يهمنيش إنه يتبل بس أنا بحب قوي أقعد على الأرض ثم ضحكت بدلال و هي تقول:

- ما تخفش مش هابرد من الأرض أنت مش بتشوف القطط بتقعد على الأرض في عز البرد ومش بتبرد ولا بيجلها انفلونزا....

ابتسم عمر لكلامها الغريب ثم قال لها:

- بس أنتِ مش قطة أنتِ إنسانة ممكن يجيلك برد ..

نظرت إليه بلقيس نظرة غريبة كلها سحر وقالت له وقد ارتسم على شفتيها

ابتسامة لعوب:

- لا أنا قطة تحب أنونولك عشان تتأكد إني قطة...

اندهش عمر بشدة لكلامها ولم يدري ماذا يقول لها عندما كانت فردوس قد أتت بفوطة كبيرة ناولتها لبلقيس وهي تقول لها:

- معلش يا بنتي أنا آسفة أصل ما عندناش لبس حريمي ينفعك عشان تغيري هدومك المبلولة دي بس والله أنا هدومي نظيفة ومكوية أجبلك أحسن جلابية من عندي تغيري لحد هدومك ما تنشف .....

- قالت لها بلقيس بجرأة شديدة:

- أنا مش بلبس جلاليب وبعدين الفوطة دي كبيرة قوي أنا ممكن أغير هدومي وألف الفوطة دي عليه كفاية وأقعد هنا جنب الدفاية.

احمرّوجه عمر من كلامها هذا الذي تقوله لفردوس وهي سيدة مسنّة ومن أصل ريفي والتي بدورها قالت لها بحدّة:

- إيه يا بنتي الكلام الفاضي ده أنتِ عايزه تقعدي عريانة أنتِ مش شايفة إن فيه شاب واقف قدامك ولا إيه..

ردت عليها بلقيس بحدة هي الأخرى:

- إيه الكلام ده يعني إيه عريانة أنا بقول لك هالف الفوطة دي عليه إزاي بقى عريانه أنتِ مجنونة ولا إيه.

احمر وجه فردوس من الغضب وانفعلت على بلقيس وقالت لها بصوت عالي:

- إيه قلة الأدب دي إزاي تقولي لي مجنونة أنتِ محدش علمك تحترمي الناس الكبيرة في السن ,وبعدين أنتِ جايلنا منين دلوقتي في نص الليل تقلي أدبك علينا.

- تدخل عمر بسرعة في الكلام قبل أن يحتد النقاش بين بلقيس وفردوس أكثر من ذلك قائلاً:

- فين يا داده المشروب الدافي... أنت نسيتي تعمليه .. ضيفتنا أكيد بردانة... نظرت فردوس إلى عمر في صمت ثم انصرفت وهي ترمق بلقيس بنظرات غاضبة وعندما وصلت إلى باب المطبخ التفتت ووقفت تنظر إلى

عمر وبلقيس وهي مترددة كأنها لا تريد أن تتركه بمفرده مع تلك الفتاة الغريبة الأطوار ثم سرعان ما دخلت إلى المطبخ لعمل المشروب...

جلس عمر على أحد الكراسي وهو ينظر بخجل إلى الأرض ولا يدري بما يتكلم عندما لاحت منه نظرة إلى بلقيس فوجدها قد عادت للجلوس على الأرض والفوطة التي كانت قد أتت بها فردوس موضوعة على أحد الكراسي فنهض وحمل الفوطة ومن ثم فردها ثم ذهب إلى بلقيس ووضعها على كتفيها بأدب شديد من دون أن يلمسها ثم ذهب مرة أخرى وجلس على كرسيه...

لفّت بلقيس نفسها بالمنشفة وهي تشعر ببرد شديد ثم أخذت تجفف شعرها بطرف المنشفة حاول عمر أن يفتح معها موضوع حتى يعرف من هي وما الذي أتى بها إلى تلك البقعة النائية في تلك الساعة من الليل فقال لها بصوت مهذب ونبرة رقيقة:

- أنا ماعرفتكيش بنفسي... أنا اسمي عمر..

نظرت إليه بلقيس نظرة طويلة قبل أن تنطق قائلة له:

- أنت مهندس أنا سمعت البواب بيقول لك يا باشمهندس.

ابتسم عمر قائلاً وهو يهز رأسه علامة الإيجاب:

- أنا مهندس معماري ...ثم أضاف مستفسرًا وأنتِ يا ترى بتشتغلي ولا لسه بتدرسي في الجامعة.

لم ترد عليه بلقيس ولكنها نهضت من على الأرض وأخذت تتمشى وتتأمل المكان المحيط بها ثم وقفت تتأمل الصور المعلقة على جدران الحجرة.. اقترب منها عمر ووقف بجوارها وهو يوضح لها قائلاً:

- الصورة دي لبابا ودي ماما اللي واقفه جنبه.

نظرت إليه بلقيس ولم تعلق ثم مضت في طريقها وخرجت إلى الشرفة بعد أن فتحتها ونظرت إلى الخارج ثم دخلت مرة أخرى وأغلقتها خلفها وقالت لعمر:

- الحياة هنا مملة جدًا أنت عايش هنا على طول؟

ردّ عليها بابتسامة عذبة:

- الحقيقة أنا عايش هنا على طول من يوم ما اتولدت ..

قالت له وهي تنظر إلى المدفأة المتوهجة:

- وكنت بتروح الجامعة المشواردة كله.

قال مؤكدًا:

- وكنت باروح المشوار ده كله للجامعة وأكثر من كدة أنا لما سافرت ألمانيا عشان الدكتوراه بتاعتي رجعت برضه على هنا الحقيقة يا آنسة أنا بعشق المكان ده ومش ممكن أتصور حياتي في مكان تاني غير هنا...

صمت عمر لحظات ثم عاد وسألها مرة أخرى:

- أنتِ مش ناويه تقولي لي اسمك مش معقول هافضل اقولك يا آنسة ثم ضحك...

نظرت إليه بلقيس و لم ترد وكانت قد جلست مرة أخرى بجوار المدفأة أزاحت المنشفة عن كتفيها وألقتها على الأرض بلا اهتمام .كان شعرها المبلل قد بدأ يجف وبدا متموجًا بشكل رائع وجذاب حول وجهها ,أخذت تتأمله باهتمام هذه المرة فمنذ دخولها إلى هذا المنزل لم تركز حتى على ملامحه أو تهتم بأن تنظر إليه جيدًا ؛ولكنها الآن جلست تتأمله.. كان عمر طويل القامة يصل طوله إلى ما يقرب من ١٩٠سم رياضي القوام ومتناسق به قوة ورجولة واضحة في صوته وملامحه... وسيم وجذاب خمري اللون عينيه بنية وشعره أسود ويوجد شامة سوداء صغيرة على ذقنه.. اقتربت بلقيس منه كان عمر واقفًا عندما وقفت أمامه ورغم أن بلقيس كانت طويلة القامة إلا أنها كانت تقف عند كتفيه مدت يدها ولمست ذقنه بجرأة شديدة جعلته يبتعد عنها بخجل قالت له:

- الحسنة دي فيها جاذبية مخليه شكلك حلو..

اندهش عمر بشدة لجرأتها الشديدة وهي فتاة أول مرة تدخل بيته.. جلس عمر على أحد المقاعد صامتًا وهو حائر في أمر تلك الفتاة عندما أتت فردوس وهي تحمل صينية عليها كوبان وضعتها على المنضدة وهي تقول:

_أنا عملت كوباية كاكاو باللبن وكوباية قرفة مش عارفه بقى أنتِ بتشربي إيه خدى بقى اللي انتِ عايزاه... على العموم عمر بيحب الاتنين...

ضحكت بلقيس ضحكة رنانة أدهشت عمر وفردوس ثم قامت بدلال إلى صينية المشروبات ومدت يدها إلى إحدى الأكواب وهى تقول بثقة وتنظر داخل

عيني عمر:

- ما ينفعش الإنسان يحب الاثنين الواحد المفروض يحب حاجة واحدة بس عشان كده أنا بحب الكاكاو وبكره القرفة نظر إليها عمر متعجبًا لأمرها ولم يرد عليها لكنه نهض من كرسيه ثم أخذ كوب القرفة وجلس يرشف منه وهو صامت..

نطقت بلقيس بصوت ناعم بعد عشرة دقائق من الصمت المطبق قائلة:

- بلقيس .. اسمي بلقيس ..

اتسعت عيني عمر من الدهشة وحدث نفسه قائلاً:

- حتى اسمها غريب ..

قالت فردوس باستغراب :

_ اسمك بلقيس... انا عمري ما شفت حد اسمه كده يعني إيه بلقيس ده..

قالت لها بلقيس بغرور وقد مالت برأسها حتى أسندتها على ظهر المقعد الذي تجلس عليه وقد وضعت ساق فوق ساق بكل ثقة:

- اسمي معناه شعاع الشمس... بس أنتِ يهمك ايه من معنى اسمي ..هي الساعة كام دلوقتي..

- نظر عمر في ساعة يده قال لها:

- الساعة اتناشر..

- نهضت بلقيس وهي فزعة من على كرسيها قائلة:

- ياه .... أنا بقالي ساعة كاملة هنا

ابتسم عمر برقة وقال لها بصوت هادئ يطمئنها:

- مش مشكلة يا آنسة بلقيس أنتِ ضيفة عندنا... بس الحقيقة أنا مستغرب وجودك هنا في الوقت ده لوحدك لأن المكان معزول وبعيد قالت له بلقيس بسرعة وجدية وكأنها تريد أن تنهي هذا الموقف وتحل مشكلتها بسرعة:

- في الحقيقة أنا عربيتي اتعطلت على الطريق الرئيسي وما كنتش عارفه أعمل إيه لأن التوكيل أكيد يكون قفل في الميعاد ده.

سألها عمر:

- هي عربيتك قديمة شوية

- قالت له بسرعة:
- بالعكس دي جديدة خالص وموديل السنة دي
- قال لها عمر:
- غريبة... على العموم مش مشكلة أنا ممكن أوصلك المكان اللي أنتِ عايزاه .

تدخلت داده فردوس في الكلام قائلة:

- بس يا بنتي أنتِ كده مامتك وباباكِ مش هيقلقوا عليك كلمهم طيب حتى في الموبايل أو في التليفون أهو جنبك على الطرابيزة عشان يطمنوا عليك..

نظرت إليها بلقيس ثم قالت لها وقد بدا عليها الحزن:

- في الحقيقة يا داده فردوس أنا معنديش حد هيقلق عليا بابا وماما ماتوا من ست سنين..

تأثرت داده فردوس بشدة وقالت لبلقيس....

- يا كبدي يا بنتي يعني أنتِ عايشه لوحدك ولا مع حد من أقاربك عادت بلقيس ترد بلا اهتمام على فردوس قائلة:

- لا أنا عايشه لوحدي ..

كان عمر يتابع كلام بلقيس مع فردوس وقد اكتست ملامح وجهه بحنان شديد على تلك المخلوقة الوحيدة في هذه الدنيا كان يراوده شعور غريب بأنه لا يريدها أن ترحل ولكنه لا يستطيع أن يصرح بذلك وتمنى بشدة أن تعرض عليها داده فردوس قضاء تلك الليلة لديهم ولما لا فإن الوقت متأخر والجو بالخارج شديد البرودة والمطر قد توقف قليلاً ثم عاد إلى الهطول مرة أخرى ولا يمكن لعاقل أن يخرج في مثل تلك الظروف إلا إذا كان مضطرًا وبلقيس ليست مضطرة فليس لديها من يقلق عليها.. كان يريدها أن تجلس معه لبعض الوقت يريد أن يتحدث معها أكثر وينظر إليها أكثر وأكثر وكأن فردوس قد قرأت أفكاره فقالت لبلقيس:

طيب يا بنتي أنتِ ممكن تباتي عندنا النهاردة بلاش الخروج في الجو الصعب ده مادام أنتِ كده كده عايشه لوحدك خلاص نورينا النهارده والصبح يحلها ربنا يكون التوكيل بتاع العربيات ده فتح.

صمتت بلقيس تفكر في هذه الدعوة كان عمر يتابعها بنظراته ويتمنى بشدة ألا ترفض ويندهش لنفسه ويتساءل ما سر انجذابه لتلك الفتاة الجريئة فهو لم يكن من النوع الذي ينجذب إلى الفتاة التي بها جرأة زائدة بل كان يحب النوع الوديع والفتاة الرقيقة الحالمة ما الذي يحدث له لقد سحرته تلك البلقيس بسحرها الذي لا يعرف كيف يفك طلاسمه...

نطقت بلقيس أخيراً وقالت بصوتها الناعم الذي يتخلل مسام جلد عمر فيدخل منها ويحتل كيانه بالكامل:

- طيب يا داده أنا موافقة أقضي الليلة هنا بس أنا مش عايزه أزعجكم..

رد عمر سريعًا وكأنه يخاف أن ترجع بلقيس في كلامها:

- أنتِ مش ممكن هاتزعجينا الفيلا ما فيش فيها حد إلا أنا وداده فردوس وفيها خمس أوض نوم اختاري الأوضه اللي أنتِ عايزاها.

ابتسمت بلقيس في وداعه ليست من صفاتها ولكنها مجاملة لهؤلاء الناس الكرام وقالت:

- ميرسي خالص يا باشمهندس عمر..

عندما نطقت بلقيس باسمه وسمعه هو كأنه يسمع اسمه لأول مره.. صعدت داده فردوس لكي تجهز لبلقيس إحدى غرف النوم فتفرش لها ملأة نظيفة وتخرج لها مناشف جديدة.. وتبحث لها عن شيء مناسب لكي ترتديه أثناء نومها....

الفصل الثالث

انتهز عمر فرصة صعود داده فردوس إلى الطابق العلوي لتجهيز غرفة لنوم بلقيس وبدأ يتكلم معها حتى يعرف عنها المزيد كانت بلقيس في نظره غامضة إلى حد بعيد بادرها بسؤاله قائلاً:

- أنتِ مجوابتيش عليا لما سألتك إذا كنت بتشتغلي ولا لسه في .... لم تدعه يكمل سؤاله قاطعته قائلة:

- أنا معايا بكالوريوس إدارة أعمال من الجامعة الأمريكية...

- نظرت بلقيس بعينيه مباشرة وقالت له:

- أنت عندك كام سنة يا باشمهندس؟

تمنى عمر من قلبه أن تنطق باسمه بدلاً من كلمة باشمهندس يريد أن يسمع اسمه من بين شفتيها رد عليها عمر قائلاً:

_ أنا عمري سبعة وثلاثين سنة ... ثم ابتسم برقة وهو يقول لها:

بتسألي ليه يا آنسة بلقيس..

قالت له وهي تضحك بشقاوة:

- أصل عندك ثلاث شعرات بيض....

قهقه عمر من الضحك حتى دمعت عينيه وهو يقول لها:

- أنتِ عدتيهم ولا إيه...

عندما نظر إليها عمر وجدها تنظر إليه بإعجاب ثم قالت له بجرأة:

- على فكرة ضحكتك كلها رجولة بتديك جاذبية خاصة ...خجل عمر من كلامها فهو رغم سفره الكثير وتعليمه الراقي وأصدقائه ومعارفه الذين هم من كل نوع إلا أنه لا يجيد التعامل مع النساء وخصوصًا تلك اللاتي يتمتعن بمثل تلك الجرأة وإن كانت جرأة بلقيس ليس لها مثيل ...ربما لأنه تربي يتيم

الأم رغم أن داده فردوس لم تفارقه يومًا أو ربما لانطوائه على نفسه عندما تزوج والده من سيدة كانت تسيء معاملته أو ربما لوفاة والده وهو شاب صغير لم يتعدى العشرين من عمره وهو في تلك السن المبكرة يحتاج إلى والد يحتويه ويصبح له أب وصديق يسدي إليه النصائح كان لعمر أصدقاء كثيرين يحكون له عن مغامراتهم وقصص حبهم الناجح منها والفاشل ؛ولكن لم يكن لعمر تجربة حب في يوم من الأيام ربما كانت كلها مشاعر إعجاب لم تصل أبدًا في يوم إلى قصة حب تمتلك قلبه لم يكن لديه خبرة أصدقائه في كيفية معاملة الفتيات ومغازلتهم كان عمر خجولًا بطبعه واستغرق سنين طويلة لا يهتم فيها بشيء إلا دراسته وتفوقه حتى أنه سافر إلى ألمانيا في بعثة لدراسة الدكتوراه وعاد بعدها وقد زاد اهتمامه بتفوقه العلمي والمهني فلم يكن له هم إلا الذهاب إلى الجامعة صباحًا حيث أنه أستاذ بكلية الهندسة جامعة القاهرة وبعدما ينهي محاضراته.

يعود إلى مزرعته التي ورثها عن والده... كان عمر يكتفي بعمله وتدريسه في الجامعة ومراعاته لمزرعته ؛ولكن تحت إلحاح الكثير من زملائه وأصدقائه ولما يرونه من تميز شديد في عمله وابتكاراته قام بفتح مكتب للاستشارات الهندسية في مزرعته ورغم بعدها عن القاهرة إلا أنه كان يتلقى الكثير من الأعمال فهذا يريد أن يبني فيلته وذاك يريده أن يدخل معه في أعمال بقرية سياحية وغيره وغيره كانت الأعمال تنهال على عمر حتى أنه في بعض الأيام كان يعود إلى بيته في وقت متأخر وهو منهك تمامًا كان جميع من يتعامل معه يحبه بشدة ويثق فيه كثيرًا لما يمتاز به من أخلاق رفيعة تجعله محل ثقة الجميع....

نزلت فردوس من الطابق العلوي وقالت لبلقيس وهي تناولها جلابية حريمي:

- اتفضلي يا بنتي البسي دي عشان تكوني مرتاحة وأنتِ نايمة الجلابية دي جديدة .أنا والله ما لبستها لسه كان عمر اشتراها لي من يومين... تناولت بلقيس الجلابية من يد فردوس وفردتها لكي تراها فوجدتها جلابية زرقاء عليها رسومات فرعونية ابتسمت وقالت لفردوس:

- ميرسي يا داده على فكرة واضح إن الباشمهندس ذوقه حلو الجلابية

لطيفة خالص..

ابتسم عمر وقال لفردوس:

- شفت يا داده إني جبت لك حاجة حلوه عشان أنتِ مش راضية تلبسيها ردت فردوس في محاولة لإقناعه:

- أصل يا بني الجلابية دي عيالي خالص عايزه بنوته جميلة وصغيرة زي بلقيس كده عشان تلبسها إنما واحدة زي ماينفعش تلبس الحاجات دي...

قالت له هذا الكلام ثم أضافت :انتم مش ناوين تناموا ولا إيه أنا يا بنتي جهزت لك أحسن أوضة نوم عندنا تيجي تشوفيها..

قالت لها بلقيس وهي لا تزال تشاهد الجلابية الزرقاء وتقلبها بين يديها:

_لا يا داده أنا مش عايزه أنام دلوقتي أصل لسه بدري خالص..

أنا الحقيقة بنام في وقت متأخر اتفضلي أنتِ نامي والباشمهندس كمان عشان أكيد هايكون عنده شغل الصبح مفيش داعي أزعجكم أكثر من كده....

رد عمر سريعًا:

- مافيش إزعاج ولا حاجة أنا برضه مش بانام بدري...

تركت بلقيس الجلابية من يدها ثم نظرت إليه وهي تقول:

- يعني بتسهر زي لحد الساعة أربعة أو خمسة وممكن ستة ضحك عمر وهو يرفع يده قائلاً:

- لا مش للدرجة دي أنا بأنام حوالي الساعة اتناشر ولما بيكون مش جايلي نوم أو عندي شغل معين عايز أخلصه ممكن أسهر لحد الساعة واحدة أو اثنين بالكتير..

قالت له بلقيس ضاحكة:

- أنت بتنام بدري قوي يا باشمهندس وعاملي نفسك بتسهر بس كده الساعة قربت على واحدة سكتت بلقيس ثواني وهي تنظر إلى عمر والذي كان ينظر إليها مبتسمًا بدوره ثم قالت بجدية:

- مافيش داعي تزعج نفسك بيا اتفضل أنت نام وأنا ممكن أسلي نفسي بأي حاجة لحد ما يجيلي نوم..

تدخلت فردوس في الكلام بعد أن ظلت صامته لبعض الوقت قائلة:

- طيب يا عمريا بني اطلع أنت نام علشان شغلك الصبح وسيب بلقيس براحتها البيت بيتها لو احتاجت أي حاجة ممكن تدخل المطبخ تعملها أو تيجي تصحيني.. يا نهار أبيض قالت فردوس تلك الكلمة الأخيرة وهي تخبط على صدرها وكأنها تذكرت شيء مهم قد نسيته:

- أنا آسفة قوي يا بنتي أنا نسيت أجهزلك العشاء تحبي تاكلي إيه

- ابتسمت بلقيس وهي تقول:

- وانتم اتعشيتوا..

- قالت لها فردوس:

- إحنا كنا أكلنا قبل ما تيجي بشوية بس ممكن عمر ياكل معاكِ لو هو عايز انتم شباب محتاجين تاكلوا كويس إنما أنا بقى ست عجوزه مقدرش أكل تاني.

قالت بلقيس ببساطه شديدة ودون تكلف:

-أنت عندك إيه يا داده ممكن يتاكل..

ضحكت فرودس قائلة:

يا بنتي الخيركتيروالحمد لله تحبي تيجي تشوفي بنفسك ..

قالت بلقيس بجرأة:

- أه أنا هاجي أشوف بنفسي... أصل الأكل ممكن مايعجبنيش مش هاكل ولو عجبني هاكل.

تعجبت فردوس من جرأة تلك الفتاة ولكنها قالت لها بطيبة :

- طيب يا بنتي تعالي معايا وإن شاء الله الأكل يعجبك وتاكلي..

دخلت بلقيس مع فردوس إلى المطبخ ووقفت تتأمله فوجدته مطبخًا حديثًا ومجهزونظيف للغاية ومنظم فتعجبت وقالت:

- أنا اتصورت إن المطبخ هايكون شكله قديم لكنكم مجهزين المطبخ بشكل مش وحش.

قالت فردوس :

- يا حبيبتي عمر بيحب كل حاجة تكون جديدة ونظيفة عشان كده لما حاجة عندنا بتعطل أو بتقدم بيغيرها على طول..

فتحت فردوس الثلاجة أمام بلقيس وقالت لها:

- اتفضلي يا بنتي شوفي اللي أنتِ عايزاه ..

نظرت بلقيس داخل الثلاجة فوجدت بها الكثير من الأطعمة من جبن ولنشون ودجاجة مشوية وفاكهة وعصائر فالتفت إلى داده فردوس وقالت:

_طيب يا داده في عندكم جبنه روكفور

ضحكت فردوس وقالت:

- أيوه البتاعة اللي ريحتها غريبة دي عندنا يا بنتي منها أصل عمر بيحبها بس هو بياكلها لوحده أنا مش ممكن أكل البتاعة البايظه دي ضحكت بلقيس بشدة من قلبها على كلام داده فردوس وأخذت تضحك بشدة حتى إن فردوس أخذت هي الأخرى تضحك بدورها على ضحك بلقيس وعلا صوتهما بالضحك حتى إن عمر قد أتى إلى المطبخ ليستطلع سبب ضحكهما الشديد هذا وقف يبتسم وهو ينظر إلى بلقيس تارة وإلى فردوس تارة أخرى حتى انتهيا من ضحكهما قالت فردوس وهي تربت بحنان على كتف بلقيس:

- ربنا يسعدك يا بنتي... أنا بقالي فترة طويلة ما ضحكتش بالشكل ده

ثم قالت لعمر الواقف بباب المطبخ:

- الحمد لله بلقيس هاتاكل يلا شجعها وكل معاها وأنا معلش يا بني هاطلع أنام أحسن حسيت إني بدأت أتعب ..

دخل عمر إلى المطبخ وهو يقول لداده فردوس:

- اتفضلي يا داده اطلعي نامي أنتِ..

مشت فردوس ثم وقفت على باب المطبخ والتفتت إلى عمر وبلقيس وقد بدا عليها بعض التردد وكأنها لا تريد أن تتركهما وحدهما ولكنها سرعان ما طردت هذا الهاجس من رأسها فهي تثق تمامًا في تربيتها لعمر وأخلاقه العالية ورجولته النبيلة وإن كانت لا تثق أبدًا في تلك الفتاة الغريبة الجميلة والجريئة إلى أقصى حد... خرجت فردوس من المطبخ وهي تقول لهما:

_تصبحوا على خير...

رد عمر بأدب شديد على مربيته قائلاً:

_وأنتِ من أهله يا داده...

أما بلقيس فإنها لم تهتم أصلًا بالرد على فردوس وإنما آخرجت الجبنة الروكفور من الثلاجة ووضعتها على المائدة الموضوعة في وسط المطبخ نظر إليها عمر وهو يقول:

- تحبي تاكلي على السفرة..

- قالت بلقيس:

- لا أنا هاكل هنا بس أنا عايزه عيش سخن مش باحب البارد ابتسم عمر وقال لها وهو يخرج الخبز من الثلاجة ويضعه في الميكروويف لتسخينه:

- أنتِ عامله زي أنا مش ممكن أكل العيش وهو ساقع أبدًا.

قالت له بلقيس وهي تلحس طرف إصبعها الذي وضعت عليه قطعة صغيرة من الجبن:

- مش بيبقى له طعم خالص مش كده.. أي حاجة سخنة بيبقى طعمها أحلى.. كانت بلقيس تنظر إلى عمر نظرة بها الكثير من الفتنة حتى أنه قد أدار وجهه عنها حتى لا ترى توتره من نظراتها تلك.. لم يرد عليها عمر ولكنه آخرج الخبز الساخن من الميكروويف ووضعه على المائدة وقال لبلقيس:

- اتفضلي .... ثم نظر على المائدة فوجدها قد وضعت فقط الجبن فقال لها:

- أنتِ هاتكلي بس روكفور؟

هزت رأسها بالإيجاب ولم تنطق.. عاد عمر مرة أخرى يقول لها وهو يفتح الثلاجة ويخرج ما بها:

- مش هاينفع لازم تاكلي حاجات تانية كمان.. أنا هاقطعلك لحمة بارده جربيها مع زبده بسيطة وقطعه جبنة شيدر هاتعجبك أوي..

- ابتسمت بلقيس وهي تقول له.

- زبدة... مش ممكن أكلها.. الكالوري فيها عالي جدًا..

ضحك عمر وهو يقول:

- يعني أنتِ هاتكلي كيلو زبدة... دي لحسه بسيطة تحت اللحمة الباردة نظرت بعينيه مباشرة وهي تميل برأسها إلى الأمام وقالت :

- لا ... أنا مستحيل أكل دهون دي بتخن وأنا مش باحب اتخن لازم

جسمي يكون مضبوط خالص عشان البكيني يبين أي عيوب... كان عمر يمسك بيده طبق اللحم البارد, وقد تسمرت عينيه داخل عينيها لثواني كأنها قد سحرته فوقف في مكانه بلا حراك لثواني شعر بأنه قد غرق في بحور عينيها ولا يعرف كيف الخلاص, كيف ينجو من تلك العينين كان طوق النجاة الذي رمى له بين تلك الأمواج العاتية والتي كادت أن تهلكه غرقًا صوت دقات الساعة الكبيرة والعتيقة والمعلقة في بهو الفيلا معلنة أن الساعة قد أصبحت الثانية بعد منتصف الليل لا يدري عمر كم من الوقت قد حبس هو في تلك العينين ربما ثواني أو دقائق ربما ساعات, أو أيام وربما سنين أو قرون من الزمن.. لكنه تنبه فوضع طبق اللحم على المائدة ثم جلس على أقرب كرسي له صامتًا شاردًا لا يتكلم لا يعرف أي تعويذة تلك التي قد ألقتها عليه تلك الساحرة الجميلة.... أما هي فقد جلست على الكرسي المقابل له وقد بدأت تدهن الجبن بالخبز وتأكل وفجأة أفاق عمر من شروده على صوتها يقول له:

- فين يا باشمهندس الزبدة... أنت جبت اللحمة بس وفين الجبنة الشيدر؟ نظر إليها عمر مندهشًا ثم قال لها:

- مش أنتِ قولتي لي إنك مستحيل تاكلي الزبدة عشان بتخن قالت له وهي تضحك بشقاوة:

- غيرت رأي هات لي الزبدة والشيدر..

قام عمر إلى الثلاجة ففتحها وآخرج منها الزبد والشيدر فوضعهما أمامها مباشرة ثم جلس ساهمًا لا ينطق تنهت بلقيس إلى أنه صامتًا شاردًا لا يتكلم معها فقالت له بجدية:

- مالك يا باشمهندس في حاجة ..أنا زعلتك فحاجة

لم يدري عمر ماذا يقول لها أيقول لها بأن عينيها هي السبب بما تخرجه من سحر مدمر صمت لحظات ثم قال لها ببعض التوتر وهو يتحاشى النظر إلى عينيها:

- لا أبداً مافيش حاجة....اتفضلي كلي..

ضحكت بلقيس بصوت عالي وهي تقول:

- أنا اتفضلت خلاص أنا فعلًا بدأت آكل.. أنت اللي اتفضل معايا ضحك

عمر من كلامها ثم قال لها وهو ينظر إليها بحذر شديد:

- حاضر أنا هاكل معاكي عشان أشجعك مع أني اتعشيت ..قطع عمر لبلقيس الكثير من اللحم البارد وجلس يشاهدها وهي تأكل , كانت تأكل بشهية مجنونة حتى أنها قد التهمت ثلاثة أرغفة وكأنها لم تأكل منذ ثلاثة أيام كانت تدهن الكثير من الزبد وفوقه شرائح الشيدر, ثم تضع فوقهما اللحم وتأكله بتلذذ شديد ؛حتى أنها قد فتحت شهية عمر فجلس يأكل معها كانت تنظر إليه ببراءة شديدة وهما يأكلان حتى أنه نسى ما فعلته عينيها به منذ قليل وقد شعر الآن أنه أمام طفلة جائعة فتولد لديه شعور غريب هو مزيج من الحنان والرأفة عليها.. تساءل عمر للحظات كيف هي تفعل ذلك كيف تتحكم بنظرات عينيها تلك كيف تكون نظراتها مدمرة في بعض الأحيان وكيف تكون بريئة بشدة في وقت آخر..

أفاق مرة أخرى من شروده على صوتها تقول له:

- يا باشمهندس كفاية كده أنا خلاص قربت أفرقع... أنت قطعت لي كل اللحمة اللي في الطبق...

نظر عمر إلى طبق اللحم فوجد أنه قد قطع لها ما يقرب من نصفه فتنبه إلى أنه كان شاردًا تمامًا يقطع فقط اللحم ويضعه أمامها وهو صامتاً فضحك عمر وقال لها:

- أنتِ شبعتي بجد..

قالت ضاحكة:

- أنا أكلت لمدة سنة قدام ثم سكتت برهة وقالت له:

- أوعى تفتكر إن أنا متوحشة كده في أكلي على طول.. أنا بيجيلي أيام مش باكل إلا الفاكهة والميه وأيام أتجنن وأكل زي الغولة بالضبط كان عمر يضحك من كلامها بشدة ثم قال لها:

- تحبي تنامي...

هزت رأسها بالنفي وقالت له:

- أنت عايز تنام؟

قال لها عمر برقة:

- الحقيقة أنا النهارده مش جايلي نوم خالص بس أنا خايف تكوني أنتِ تعبتِ وعايزه تنامي.

قالت له بلقيس وهي تنهض من على كرسيها:

- أنا عايزه أشرب شاي..

قال لها عمر بأدب وهو يبتسم لها:

- حاضر أنا هاعملك الشاي حالًا اتفضلي أنتِ في الصالون وأنا هاجيبه على طول.. ابتسمت بلقيس برقة متناهية وهي تقول له:

- لا أنا هاعمل الشاي معاك أنت هاتشرب معايا ولا مش بتشرب شاي بليل

قال عمر بسرعة:

- هاشرب معاكِ.. مع إني مش باشرب شاي في الميعاد ده خالص بس أنتِ ضيفتي ولازمك أشاركك...

بدأ عمر يضع أكواب الشاي وقامت بلقيس فوضعت باقي الطعام في الثلاجة لم يكن من عادة بلقيس أن تهتم بما تبقى من طعام أو خلافه ولكنها قد شعرت بطيبة هؤلاء الناس فلم ترغب في أن تسبب لهم أي فوضى في منزلهم سألت بلقيس عمر عن مكان الحمام فوصفه لها كانت ترغب في غسل يديها ووجهها.. عندما عادت بلقيس وجدت عمر يضع كتاب في مكتبته اقتربت منه وهي تقول له وتنظر إلى الكتب المرصوصة بعناية فوق أرفف المكتبة.

- أنت عندك مكتبة كبيرة بس أنا عندي مكتبة أكبر منها ..

نظر إليها عمر مندهشًا ثم قال:

- أنتِ بتحبي القراءة ..؟

أومأت بلقيس برأسها علامة الإيجاب وهي تقول بثقة:

_جدًا.. معرفش أنام كل يوم من غير ما أكون خلصت كتاب جديد.. تعجب عمر في نفسه لقد كان يتصور أن بلقيس مجرد فتاه تافهة لا هم لها إلا جمال جسدها وتناسقه حتى تلبس البكيني ومن ثم تتلذذ بإغواء كل رجل تقع عينيه عليها..

قال لها عمر مستفسرًا:

- أي نوع من الكتب بتحبيه؟....

قالت له بلقيس وهي ترشف من كوب الشاي الساخن:

- كل أنواع الكتب أنا بعشق القراءة بكل أنواعها كل ما تتخيله قرأت فيه ..اندهش عمر بشدة وقال لها وقد أثارت فضوله:

- يعني بتحبي القراءة بالعربى ولا بالإنجليزي

نظرت إليه بلقيس نظرة شعر معها عمر أنه ينظر الآن إلى إنسانة مثقفة ومحترمة إلى أقصى درجة ثم قالت له بصوت جاد:

_بالعربي والإنجليزي والفرنساوي...

ابتسم عمر وقال لها:

- بالفرنساوي كمان ..

قالت له بلقيس برنة حزن:

- أنا بتكلم فرنساوي كويس جدًا من وأنا عندي سنتين ثلاثة اتعلمت الفرنساوي قبل العربي لأن ماما كانت فرنساوية...

صمتت بلقيس وصمت عمر أيضًا وقد شعر أنه قد ذكرها بأمها التي توفيت فأراد أن يغير الموضوع حتى لا تشعر بلقيس بحزن فقال لها:

- بس أنتِ برضه ماقولتيش أي نوع من القراءات بتحبيه أكثر..

قالت بلقيس وهي تنهض من كرسيها وتحضر الجلابية الزرقاء مرة أخرى:

- أنا باحب قوي التاريخ عشان كدة عجبتني جدًا الجلابية دي بنقوشها الفرعونية.. وبحب الفلسفة وأنت بتحب أي نوع..

قال عمر:

- أنا باحب الكتب العلمية أكتر..

قامت بلقيس إلى المكتبة ووقفت تتصفح ما بها من كتب باهتمام كان عمر يجلس على الكرسي وهو يشرب الشاي ويتابع بلقيس بنظراته متعجبًا من أمر تلك الفتاة أشد العجب..

كانت مكتبة عمر تضم الكثير من الكتب الهندسية بحكم مجال دراسته وعمله وبعض الكتب العلمية الأخرى في مجالات مختلفة وانسكلوبيديا بأجزائها المختلفة وبعض الروايات القليلة وبعض الكتب الدينية.

قالت له بلقيس بعد أن عادت وجلست على كرسيها وهي ترتشف آخر رشفة في كوب الشاي الخاص بها:

_مافيش عندك ولا كتاب واحد عن التاريخ أو الفلسفة ..

ابتسم عمر بخجل وقال لها:

- أنا آسف مكنتش أعرف إن هاتيجي لي ضيفة بتحب التاريخ والفلسفة

ضحكت بلقيس وقالت له:

- واضح إنك مش بتحبهم...

- نظر إليها عمر وقال لها وقد بدأ يستعمل ذكائه كي يستدرجها في الحديث ويعلم كيف تفكر:

- طيب أنتِ بتحبهم ليه.

قالت له بلقيس باهتمام شديد:

- لأن التاريخ والفلسفة مهمين جدًا في حياتنا..

قال لها عمر وهو يحاول أن يتناقش معها بشكل أعمق:

- أنا شايف إن مافيش داعي نضيع وقتنا في دراسة التاريخ يعني مثلًا أنا مش عارف بالضبط إيه هي أهميته.

- نظرت إليه بلقيس وهي مندهشة ثم قالت:

- يا باشمهندس التاريخ مهم جدًا لأنه بيساعدنا على معرفة حال الأمم وشعوبها من حيث القوة والضعف والعلم والجهل وبنتعلم منه عظات وعبر ربنا قال في سورة الأنعام «قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين» التاريخ فيه استلهام للمستقبل على ضوء السنن الربانية الثابتة واللي عمرها ما هتتغير ولا تتبدل ولا تحابي حد... ولاحظ كمان إن التاريخ مهم جدًا لأي طالب علم ولاحظ إن أكتر حاجة ممكن نستفيد منها في دراسة التاريخ معرفة أخطاء السابقين والحذر من المزالق التي تم الوقوع فيها عبر التاريخ . اندهش عمر بشدة لكلامها الواعي المثقف وكأنها شخص آخر غير تلك التي سحرته بعينيها داخل المطبخ لكنه لم يريد أن يقاطع كلامها فتركها تكمل حديثها وهو يستمع إليها باهتمام وهي تقول له:

- عارف يا باشمهندس أجمل الكلمات اللي قرأتها عن تعريف التاريخ

الكلمات اللي قالها ابن خلدون في مقدمته لما قال عن التاريخ:

_هو في ظاهرة لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول

وباطنه نظر وتحقيق

وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق

وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق

فهو لذلك أصيل في الحكمة وعريق

وجدير أن يعد في علومها وخليق

كان عمر ينظر إلى بلقيس بانبهار ممزوج بإعجاب شديد ودهشة وتعجب من هي بالضبط تلك المخلوقة الرائعة والتي تقف أمامه الآن تتحدث بحكمة شديدة وعقل راجح...

أفاق عمر من انبهاره ببلقيس عندما وجدها قد سكتت عن الحديث ووقفت تنظر إليه أرادها أن تكمل كلامها أراد أن يسمع منها أكثر فقال لها:

- أنتِ قرأتِ لابن خلدون؟

جلست بلقيس على الكرسي في استرخاء وقالت لعمر وهي تنظر إلى المدفأة المتوجهة برومانسية حالمة جعلت صوتها أنعم وأخطر:

- أنا بعشق ابن خلدون ..

اقترب عمر منها وجلس بالكرسي المجاور لها ثم قال لها:

_للدرجة دي ..

قالت بلقيس بنظرة حالمة:

_تعرف أنا سافرت مخصوص لتونس عشان أزور مسجد القبة هناك اللي درس فيه وزرت كمان دار ابن خلدون هناك ضحكت بلقيس برقة وهي تقول:

- الحمد لله إنه مدفون عندنا هنا قرب باب النصر بشمال القاهرة عشان يكون جنبي في مصر.

ضحك عمر وقال لها:

- طيب وليه بتحبيه قوي كده

نظرت إليه بلقيس ثم قالت وكأنها تتكلم عن معشوق لها:

- ابن خلدون عبقري زمانه وكل الأزمان الناس مش عارفه قيمته في العالم العربي رغم إن العلماء الأجانب اتكلموا عنه كتير عارف يا باشمهندس عالم زي إيف لاكوست وهو من أشهر علماء الجغرافيا السياسية في فرنسا قال عنه إن مقدمة ابن خلدون بتمثل ظهور التاريخ كعلم وهي أروع عنصر يمكن أن يسمى بالمعجزة الأدبية وجورج مارسيز قال عن مقدمته برضه إنها أهم المؤلفات التي أنجزها الفكر الإنساني شفت قد إيه هو مهم عند الناس دي لأنهم عارفين قيمته كويس.

- نظرت بلقيس إلى عمر وقالت له:

- اوعي تكون زهقت من كلامي تحب تدخل تنام ..

أجابها عمر سريعًا:

- لا أنا مش عايز أنام تحبي تشربي شاي ولا كاكاو

قالت بلقيس بعذوبه شديدة ودلال أشد:

_ كاكاو....

نهض عمر من كرسيه وهو يشعر بنشوة شديدة ولا يريد لتلك الليلة أن تنتهي... عندما عاد عمر بأكواب الكاكاو وجد أن بلقيس قد غيرت ملابسها وارتدت تلك الجلابية الزرقاء وجلست على الأرض مرة أخرى بجوار المدفأة وقد أسندت ظهرها على أحد المقاعد ومدت قدميها إلى الأمام وضع عمر أكواب الكاكاو على الأرض بجوار بلقيس ثم جلس هو الآخر على الأرض في الوضع المقابل أمامها ابتسمت بلقيس وقالت له:

- أنت هتقعد على الأرض زي..

ضحك عمر وقال:

- مش معقول ضيفتنا تقعد على الأرض وأنا أقعد على الكرسي وبعدين حبيت أغير وأجرب قعدة الأرض..

نظرت إليه بسحر وقالت له بدلال:

- عجبتك؟ ثم أضافت برقة قائلة: أقصد قعدة الأرض.. ابتسم عمر في خجل ثم اقترب ومد يده فناولها كوب الكاكاو وأخذ هو الكوب الآخر وجلسا يشربان الكاكاو الساخن...

تذكر عمر أن بلقيس قالت له أيضًا أنها تحب قراءة كتب الفلسفة فسألها:

- ليه بتحبي الفلسفة .. دي حتى بعيدة خالص عن مجال دراستك..

قالت له بلقيس:

_باحبها لأنها علمتني التفكير والتأمل وأكثر من كده الفلسفة هي التفكير في التفكير نفسه أو التفكير في طبيعة التفكير حتى اسمها معناه محبة الحكمة فيلو معناها حب وسوفيا حكمة قال عمر وقد أحب الحديث معها:

- بس إيه الفائدة من القراءة في الفلسفة.

قالت له بنبرة هادئة تنم عن أنها مقتنعة بكل كلمة تقولها:

- الفلسفة جزء من حضارة كل أمة عرفها أرسطو بأنها ترتبط بماهية الإنسان اللي بتخليه يرغب بطبيعته في المعرفة بس القراءة في الفلسفة فيها عيب لأنها معقدة ومتشابكة في مواضيعها وممكن تشتت العقل عشان كدة كان أحسن رأي قرأته في الفلسفة هو رأي ابن خلدون وده برضه كان رأي ابن رشد .. كان رأيهم إن البحث في علم الفلسفة يستوجب الإلمام بعلوم الشرع حتى لا يضل العقل ويتوه في مجاهل الفكر المجرد لأن الشرع يرد العقل إلى البسيط لا إلى المعقد وإلى التجريب لا إلى التجريد..

علا صوت أذان الفجر معلنًا بدء يوم جديد نهضت بلقيس, ثم وضعت الكوب الفارغ على المائدة وقالت لعمر الذي نهض هو الآخر من على الأرض:

- أنا آسفة يا باشمهندس سهرتك جامد أوى النهاردة كفاية كده أنا هاروح أصلي الفجر وبعدين أنام شوية تصبح على خير....

قال لها عمر بدهشة:

- أنتِ بتصلي؟!

- أجابته بدهشة أكبر من دهشته وكأنها تقول له كيف لك أن تسألني مثل هذا السؤال:

- طبعًا باصلي ليه أنت مش بتصلي ولا إيه...

- أجابها عمر مؤكدًا:

- باصلي طبعًا الحمد لله كل الفروض في أوقاتها..

- قالت له بلقيس بنبرة صوت بدا فيها الغضب من سؤاله هذا:

- فين الأوضة اللي هنام فيها..

شعر عمر على الفور بغضبها فقال لها بصوت هامس ورقيق وكأنه يستعطفها:

- أنا آسف والله ما كان قصدي أزعلك...

نظرت إليه بلقيس لثواني ثم ابتسمت عندما وجدته يتكلم بصدق فابتسم عمر بدوره لابتسامتها وقال لها:

- اتفضلي هاوصلك...

صعد عمر أمامها السلم ثم أشار لها إلى إحدى الغرف وقال لها وهو ينظر إليها برقة:

- اتفضلي .... تصبحي على خير

ردت بلقيس وهي تفتح الغرفة وتدخلها:

- وأنت من أهله يا باشمهندس

دخل عمر إلى غرفته وغير ملابسه بملابس النوم ثم أخذ يتقلب في فراشه أكثر من نصف ساعة يجافيه النوم يفكر في بلقيس في جمالها الفاتن .. في عينيها الساحرتين في ضحكتها الرنانة.. في جرأتها الزائدة.. في دلالها الشديد .. في ثقافتها الواسعة.. في صلاتها للفجر... نهض عمر مسرعًا عندما تذكر أنه لم يصلي بعد توضأ وصلي الفجر ثم تمدد مرة أخرى يفكر بها ويفكر.... صوتها الناعم يرن في أذنيه يتخللهما أخذ عمر يفكر بها ويفكر حتى غلبه النوم....

الفصل الرابع

نهض عمر من نومه حوالي الساعة التاسعة, كان يشعر ببعض الصداع الخفيف نتيجة نومه متأخرا ليلة أمس لكنه كان في قمة سعادته يشعر بنشوة غريبة من أحداث ليلة أمس دخل الحمام سريعًا أراد أن ينهي ارتداء ملابسه بسرعة حتى يرى بلقيس ويتناول معها طعام الإفطار.كان عمر مشغولًا جدًا هذا اليوم فلديه محاضرة هذا الصباح بالجامعة وبعدها لديه الكثير من المواعيد الخاصة بمكتبه الهندسي؛ لكنه قرر أن يلغي جميع مواعيده اليوم ولن يذهب أيضًا إلى الجامعة سوف يكون اليوم تحت أمر بلقيس ربما تريده أن يوصلها إلى مكان ما أو إلى التوكيل لإصلاح سيارتها لن يتركها اليوم أبدًا هي اليوم أهم من كل مواعيده...

خرج عمر من غرفته وأثناء نزوله من على السلم وجد فردوس وهي تصعد قابلته قائلة له:

_صباح الخير يا عمر..

رد عليها بابتسامة مشرقة تنم عن سعادته البالغة:

_صباح الخير يا داده ..

بادرته قائلة وهو ينزل من على السلم:

_هي بلقيس راحت فين يا بني... هي مشيت إمبارح ولا إيه ..

تسمرت قدمي عمر على السلم ثم التفت إلى فردوس وقال لها بانزعاج:

_ليه يا داده هي مش نايمة في الأوضة!؟

قالت له فردوس:

لا... أنا دخلت الأوضة من حوالي نصف ساعة عشان أطمن عليها تكون عايزة حاجة لكن لاقيت الأوضة فاضية والسرير مترتب بالطريقة اللي أنا

وضبته بيها إمبارح زي ما تكون مانمتش عليه والجلابية الزرقاء مطبقة فوقه.

صعد عمر السلم سريعًا ثم دخل إلى الغرفة بلهفة ونظر بها لم يجد بلقيس ووجد الفراش كما وصفته داده فردوس كأن أحداً لم ينم عليه والجلابية الزرقاء مطوية بعناية فوقه أمسكها عمر وفردها فسقطت من تحتها ورقة على الأرض أخذتها فردوس وناولتها له وهي تقول:

_أنا ماشفتش الورقة دي يظهر كتبت لك فيها حاجة ..فتح عمر الورقة الوردية اللون الصغيرة وقرأ بها:

«ميرسي خالص يا باشمهندس على حسن ضيافتك ليا أنت وداده فردوس ياريت تشكرها بالنيابة عني أنا آسفة لأني ماكنش عندي وقت أسلم عليكم» التوكيل سحب العربية لإصلاحها... وأنا رجعت البيت...».

بلقيس

طوى عمر الورقة ووضعها في جيبه ولم ينطق بكلمة واحدة, ثم خرج من الغرفة وهو يحمل الجلابية التي ارتدتها بلقيس ليلة أمس. لم يشعر عمر بنظرات فردوس المملؤة بالدهشة له وهي تكلمه ولا يرد عليها كأنه لا يسمعها فهو بالفعل لم يسمع حرفًا واحدًا مما تقوله له, كان شاردًا يفكر في بلقيس دخل إلى غرفته ثم أغلق الباب خلفه بالمفتاح لا يريد أن تفتح عليه فردوس الباب, يريد أن يختلي بنفسه لم تكن فردوس تفتح عليه الباب أبدًا دون أن تطرقه ويأذن لها؛ لكنه أراد أن يطمئن إلى أنها لن تستطيع أن تفتحه كأنه يختلي ببلقيس ولا يصح أبدًا أن يصل إليه أي شخص...

جلس عمر على فراشه وآخرج الورقة الوردية من جيبه والمكتوبة بخط يد بلقيس وقرآها مرة أخرى ثم أخذ ينظر إليها لا يدري ماذا يفعل لا يمكن أن تختفي أبدًا بتلك الطريقة.. هو لا يعرف عنها شيء لا يعرف عنوانها أو أين تسكن كيف إذًا الوصول إليها ؟

لم يدري عمر لما تعلق بتلك الفتاة الغامضة إلى هذه الدرجة هو حتى لا يعرف عنها شيء لما اخترقت قلبه المحصن إلى هذه الدرجة.. لم يكن عمر من الرجال السهل التأثير عليهم كانت شخصيته قوية إلى حد كبير لم يكن يثيره جمال المرأة فيسيل لعابه ويلغي عقله بل كان عقله الراجح هو الذي يتحكم

بكل أفعاله لم يكن عمر سهل الانقياد لم يكن من النوع الذي يمكن أن تطويه أي امرأة وينقاد إليها بكل سهولة كم من نساء حاولن أن يرمين شباكهن حوله وكم من فتيات حاولن أن يوقعن به فهو في نظرهن فتى أحلام الكثير.. وسيم وجذاب للغاية ناجح في عمله وله مركز مرموق فوق كل ذلك يعتبر ثري من الناحية المادية فهو يستطيع أن يسعد أي امرأة ترتبط به .. ولكن عمر كان يبحث عن فتاة مميزه يقع في حبها ولا يستطيع الحياة بدونها...

كيف يمكنه الوصول إليها حاول أن يعصر ذاكرته ويركز في كل كلمة قالتها له ولكنه لم يجد أنها قالت شيء يمكن أن يصل إليها عن طريقه.....

أمسك عمر الجلابية التي كانت بلقيس ترتديها ورفعها إلى أنفه يتشمم رائحتها كانت رائحة بلقيس لا تزال عالقة بها .. سرت رعشة في جسده كان عمر يغمض عينيه وهو يشتم رائحة تلك الجلابية وبعد أن أنزلها من فوق أنفه كان لا يزال يغمض عينيه وعندما فتحهما كانت هناك نظرة قد ارتسمت داخل عينيه نظرة شوق إلى شيء أراده بشدة ولكنه قد ضاع منه.....

قام عمر وقد صمم أن يبحث عن بلقيس لابد له أن يعرف طريقها لا يمكن أن تضيع منه هكذا بكل سهولة.. نزل عمر وفتح الباب الخارجي لفيلته وخرج يبحث عن محسن البواب فوجده ينظف السيارة فاقترب منه وسأله بجدية:

_محسن أنت شفت الآنسة بلقيس اللي جت إمبارح عندنا..

ردّ محسن ببلاهة:

_شفتها فين ياباشمهندس ...

نهره عمر قائلاً:

_ما تركزيا محسن بلاش غبائك ده دلوقتي.. بلقيس اللي جت إمبارح شفتها وهي خارجه النهارده ..يعني شفتها وهي ماشيه ..

وقف محسن ينظر إلى عمر ثم حك رأسه وقال:

_لا يا باشمهندس أنا ماشفتهاش وهي ماشيه بس سمعت البوابة الحديد وهي بتتفتح وتتقفل الصبح بدري.

اغتاظ منه عمر بشده وقال له بعنف:

_البوابة بتتفتح وتتقفل وحضرتك نايم على ودانك مش تقوم تشوف فيه

إيه ومين اللي بيخرج.

رد عليه محسن بكل بساطة:

_أصل ياباشمهندس حضرتك بتخرج في أيام كثيرة الصبح بدري افتكرت عندك شغل.

صمت عمرووقف ينظر إلى محسن لحظات ثم شعر أن كلامه منطقي وأنه لم يخطئ في شيء ولكنه هو المنفعل بشدة بسبب مغادرة بلقيس .. دخل عمر مرة أخرى إلى الفيلا وجلس على أحد المقاعد في البهو ينظر إلى المدفأة المنطفئة شاردًا لا يدري أين يمكن أن يجدها جاءت فردوس وقالت له وهي لا تدري ما به:

_مش هاتفطر يا عمر يا بني..

نظر إليها وفي عينيه نظرات ضيق وحزن وقال لها:

_ لا يا داده ماليش نفس..

سألته فردوس بقلق:

_ مالك يا بني... قال لها عمر باقتضاب:

_ مافيش حاجة يا داده ..

عادت فردوس تسأله مرة ثانية:

- أنت ماتعرفش يا بني هي بلقيس راحت فين ؟

رد عليها عمر بانفعال وضيق:

- ماعرفش يا داده..

ثم نهض من كرسيه وقبل أن يصعد السلم إلى غرفته قالت له فردوس :

_هي الورقة دي بتاعتك يا عمر يا بني ولا أرميها أنا قلت أوريهالك الأول أحسن تكون مهمة قبل ما أرميها ..

اقتربت منه وناولته ورقة وهي تقول:

_أنا لاقيتها على الكومودينو في الأوضة اللي كانت فيها بلقيس... عندما سمع عمر اسم بلقيس أخذ منها الورقة باهتمام شديد ونظر بها فوجدها إيصال من محل من محلات التنظيف والكي بالبخار مكتوب به المبلغ المدفوع وعنوان فيلا على طريق مصر إسكندرية الصحراوي في الكيلو ٣ منه والقطعة التي تم تنظيفها وكيها عبارة عن بالطو أسود عندما قرأ عمر كلمة بالطو أسود تذكر

على الفور أن بلقيس كانت ترتدي بالطو أسود قصير عندما أتت إليهم أمس شرد عمر وهو يتذكرها ويتذكر ما كانت ترتديه .. كانت ترتدي بنطلون من الجينز الممزق والذي ترتديه فتيات الطبقة الراقية المدللات ومن فوقه كانت ترتدي هذا البالطو الأسود القصير وعندما دخلت خلعت البالطو وكانت ترتدي من تحته بلوزة من الحرير الأبيض والتي كانت قد أبتلت هي الأخرى نتيجة المطر الشديد تذكر عمر أن داده فردوس كانت قد أخذت البالطو من بلقيس عندما ذهبت لتأتي لها بفوطة فسألها:

_داده البالطو الأسود بتاع بلقيس هو فين؟

قالت له:

- أنا كنت حطيته على كرسي خشب عشان ينشف شويه, ولما طلعت أوضب لها الأوضة عشان تنام فيها خدته معايا وعلقته على الشماعة اللي في الأوضة بس أنا مالقتهوش في الأوضة أكيد خدته.. ليه يا عمر هو في حاجة..

لم يرد عليها عمر لأنه كان يحدث نفسه:

_أكيد الإيصال ده كان في جيب البالطو ولما جت بلقيس تلبسه رميته... صمم عمر أن يذهب إلى العنوان المكتوب على هذا الايصال وقد راوده أمل كبير في أن يكون هذا المنزل هو منزل بلقيس... استقل عمر سيارته وانطلق إلى هذا العنوان في الكيلو٣ من الطريق لمصر إسكندرية الصحراوي كان عمر يقود بسرعة عالية يريد أن يصل سريعًا وفي غضون نصف ساعة كان قد وصل أمام هذا العنوان فوجده قصر كبير على الطريق الرئيسي .. ركن عمر سيارته أمام بوابة القصر الحديدية الضخمة, ثم نزل ليستطلع الأمر اقترب من البوابة فوجد بوابا عجوزا يرتدي جلابيه بُنية اللون نظيفة ومكوية يتحدث إلى اثنين من حراس الأمن الخاصين الواقفين على تلك البوابة قال لهم عمر:

- صباح الخير..

ردوا عليه بأدب:

_صباح الخير يا باشا تحت أمرك..

سألهم عمر بصوت حاول أن يجعله طبيعيًا حتى لا تبدو عليه اللهفة:

_الآنسة بلقيس موجوده؟

لم يرد البواب العجوز؛ ولكن أحد أفراد الأمن قال له بدهشة:

_الآنسة بلقيس مين يا فندم..

لم يدري عمر ما يقول له فهو لا يدري ما هو اسم بلقيس بالكامل حتى الايصال لم يكن مكتوب عليه اسم فقال له:

_مش ده منزل الآنسة بلقيس

نظر حارس الأمن إلى زميله بدهشة ثم سأله:

_أنت تعرف حد اسمه بلقيس

قال له الرجل الآخر:

_لا يا محمود أنا معرفش حد بالاسم ده ثم أكمل قائلاً لعمر:

_يا باشا القصر ده فاضي مافيهوش سكان ...

اندهش عمر ونظر إلى القصر وهو يقول:

_يعني إيه.. مافيش حد ساكن هنا

قال حارس الأمن:

_لأ يا باشا أنا ومحمود بنشتغل هنا من أكثر من خمس سنين والقصر فاضي مافيهوش سكان, حتى رواتبنا بتيجي واحد بيه زيك كده كل أول شهر يقبضنا ويمشي مانعرفش عنه حاجة غير إن اسمه رأفت بيه بس بصراحة هيا رواتبهم كويسه... سكت قليلاً ثم أكمل:

_أنا مش عارف إزاي حد يبني قصر زي ده ويسيبه فاضي كده.. بس عم مصطفى بيقول لنا إن القصر ده كان فيه زمان سكان ومش راضي يحكى لنا عنهم أي حاجة ثم أشار إلى الرجل العجوز الواقف بجواره.. نظر عمر إلى الرجل العجوز والذي كان ينظر هو الآخر إلى عمر بوجه حزين...

قال له عمر:

_أنت يا حاج بتشتغل هنا برضه؟

أجابه الرجل باقتضاب:

_أيوه..

تدخل حارس الأمن في الكلام قائلاً لعمر:

_عم مصطفى قالنا أنه بيشتغل هنا من أكثر من عشرين سنة ياباشا ..

نهر البواب العجوز حارس الأمن قائلاً له:

_ماتكلمش كتيريا محمود خليك في حالك وروح شوف شغلك ثم التفت إلى عمروقال له كأنه يريده أن ينصرف:

_القصرده فاضي يا أستاذ مافيش حد هنا يظهر إنك جيت عنوان غلط..

وقف عمر ينظر إلى هذا البواب العجوز تارة وإلى حراس الأمن تارة أخرى وهو لا يدري لقد شعر أن هذا البواب يخفي شيء ما وربما كان شعوره هذا خاطئًا.... استدار عمر ومشى حتى وصل إلى سيارته وهم أن يفتح بابها عندما سمع صوت البواب العجوز عم مصطفى وهو يقول له وقد وقف خلفه:

_أنت عايز إيه يا بيه ؟

استدار له عمر ونظر إليه وهو يقول له بصوت بدا واضحًا فيه اللهفة :

_يا عم مصطفى عشان خاطري لو كنت تعرف حاجة عن بلقيس قل لي ..

نظر إليه عم مصطفى وقال له:

_وأنت تعرف إيه عن بلقيس ... قصدي يعني مين حكى لك عنها ..

قال له عمر بلهفة شديدة:

_يعني هي ساكنة هنا فعلاً يا عم مصطفى ..

سكت مصطفى ولم ينطق.. فعاد عمر يستعطفه قائلاً له:

_أرجوك يا عم مصطفى أنت ليه مش عايز تقولي هي ساكنة هنا ولا لأ واضح من كلامك وتعبيرات وشك إنك تعرفها..

قال له مصطفى:

_يابني أنا عايز أعرف أنت عايز إيه بالضبط ومين اللي حكى لك عن بلقيس

قال عمر:

_محدش حكى لي عنها أنا شفتها إمبارح يا عم مصطفى وكنت عايز أتكلم معاها ..

نظر إليه الرجل باندهاش كبير وقال له بسرعة:

_شفتها... شفتها إزاي يابني أنت بتقول إيه أنا لولا إني شايفك واعي قدامي ومصحصح كنت قلت إنك سكران...

اندهش عمر من كلامه فقال له:

_ليه يا عم مصطفى مش مصدق إني قابلت بلقيس إمبارح.. أنا مش فاهم هي ساكنة هنا ولا أنا غلطان في العنوان...

سكت الرجل ولم يجبه وعندما طال سكوته قال له عمر بصبر نافذ:

_إنت إيه حكايتك يا عم مصطفى ما تكلم.. بلقيس هنا ولا أنا غلطان في العنوان نظر إليه الرجل بحزن وقال له:

_كانت هنا....

فسأله عمر بلهفة:

_يعني إيه عزلت ولا مسافرة... بس مسافرة إزاي دي كانت معايا إمبارح مش هاتلحق تسافر...

صرخ فيه الرجل:

_أنت يابني مجنون.. بلقيس مستحيل تكون معاك إمبارح... ولا إمبارح ولا أول إمبارح ولا النهاردة... ثم استدار كي يمشي عندما أمسك عمر بكتفه كي يمنعه من الحركة وهو يقول له بلهفة ممزوجة بتعجب:

_يعني إيه مش فاهم منك حاجة أنا بقولك بلقيس كانت معايا إمبارح وعايز أشوفها عشان عايز أتكلم معاها ضروري.. روح اندهلها..

هز الرجل رأسه علامة التعجب ثم أزاح يد عمر من فوق كتفه ومشى خطوتين وعمر ينظر إليه بتعجب ثم سار خلفه وهو مصمم على الحديث مع بلقيس أمسك الرجل مرة أخرى حتى يقف وهو يقول له بصوت حاول أن يجعله هادئًا:

_يا عم مصطفى لو سمحت أنا عايز أتكلم مع بلقيس...

نظر إليه الرجل نظرة طويلة باتت لعمر أنها بلا نهاية ثم قال له بصوت حزين:

- يابني بلقيس ماتت من ست سنين.... ثم استدار وترك عمر وسط دهشته الكبيرة وقد أحس بأن خنجر قد طعن في قلبه لم ينطق عمر بكلمة واحدة كأنه قد فقد وعيه كان يتابع عم مصطفى بعينيه وهو لا يصدق ما قاله له هذا الرجل العجوز... استدار عم مصطفى ونظر إلى عمر وعندما وجده لا يزال يقف في مكانه لا يتحرك عاد إليه مرة أخرى ووقف أمامه ثم قال له:

- يابني مش ناوي تقل لي مين حكى لك عن بلقيس..

رد عليه عمر وهو شاردًا لا يزال تحت تأثير كلمات هذا الرجل الغريب:

_أنا قلت لك إني شفتها إمبارح ..

ربت الرجل على كتف عمر بحنان وقال له:

- يابني مستحيل تشوفها لأن بلقيس ماتت مع أمها وأبوها من ست سنين في حادثة عربية...

ملأت الدموع عيني عمر رغمًا عنه وهو يندهش لنفسه لا يدري لما كل هذا الحزن وهو لم يراها إلا بالأمس فقط... عقدت الدهشة لسانه فلم يستطع أن ينطق أكمل عم مصطفى كلامه قائلاً:

- بلقيس كانت أجمل بنت في الدنيا... لما جيت اشتغلت عندهم كان عندها ثلاث سنين بس عمري ماشفت طفلة بالجمال ده حبيتها أول ما شفتها واعتبرتها زي بنتي بالضبط أبوها كان بيه كبير عنده مصانع كبيرة وبيشتغل في حاجات كتير وأمها كانت خواجايه من بلاد بره ماكانتش بتعرف تكلم عربي بس بلقيس كانت بتعرف تكلم عربي كويس كانت بتكلم معايا ومع باقي الخدامين بالعربى و تكلم مع أمها فرنساوي سكت قليلاً ثم تنهد وأكمل كلامه بحزن:

- في اليوم المشئوم ده كان حسن بيه والهانم مراته ومعاهم بلقيس مسافرين إسكندرية والبيه ماكنش بيحب يسافر إلا بليل ياما قلت له بلاش يا حسن بيه سفر بليل ده النهار له عيون كان يضحك ويقول لي ماتخفش يا راجل يا عجوز عمر الشقي بقي الله يرحمك يا حسن بيه كانت طيبة الدنيا فيه... يومها كان مسافر هو و ماري هانم وبلقيس وكانوا قربوا من إسكندرية خلاص جت عربية نقل مشئومه وركبت فوقهم ماتوا في نفس اللحظة أنا كنت باحب حسن بيه قوي وماري هانم كانت كويسه برضه معانا بس أكتر واحدة بكيت عليها ولسه لحد دلوقتي زعلان علشانها كانت بلقيس ياعيني عليكي يابنتي كانت لسه ورده وبتفتح.....

- عشان كده يابني قلت لك إنك مستحيل تشوف بلقيس هاتشوفها إزاي وهي ميته من ست سنين!!!

الفصل الخامس

وصل عمر إلى منزله وهو لا يعرف كيف وصل إليه.... كان شاردًا طوال الطريق يشعر أنه ليس في وعيه أيمكن أن يكون هذا حلمًا أيمكن أن تكون بلقيس ليست حقيقة كيف هذا كيف تكون قد ماتت؟ من إذًا هي التي كانت معه بالأمس؟ من هي التي كانت تتحدث إليه؟ من هي التي كانت تأكل معه اللحم البارد والزبد؟ من هي التي سحرته بعينيها داخل المطبخ؟ من هي التي شرب معها الشاي وكانت تجلس على الأرض بجوار المدفأة؟ من تكون التي ظل يتحدث معها حتى أذان الفجر؟ من تلك هي التي لا تزال رائحتها عالقة بالجلابية الزرقاء؟ من التي كتبت بخط يدها تلك الورقة الوردية إنها بلقيس نعم هي بلقيس أيمكن أن يكون كل هذا وهمًا؟ هل كان حلمًا أم كانت حقيقة...

قرّر عمر أن يسأل محسن وداده فردوس حتى يتأكد لكنه قد تكلم في الصباح معهم عنها يجب أن يتأكد مرة أخرى وصل عمر وركن سيارته وكان أول من قابله عند فتح باب الفيلا محسن وهو يمسك بخرطوم كبير يرش به حديقة الفيلا... اقترب منه عمر وقال له بتوتر:

- محسن هي الآنسة بلقيس كانت جت إمبارح حوالي الساعة كام ..

أغلق محسن حنيفة المياه وألقى الخرطوم من يده ثم نظر إلى عمر وقال له وهو يحاول أن يتذكر كان عمر خلال تلك اللحظات التي يفكر بها محسن قد شعر بأنها دهرًا قد مر عليه فهو لا يدري أسوف يقول له محسن أنه قد رآها أم سوف يتعجب مما قال وأخيرًا نطق محسن قائلاً:

- مش عارف والله ياباشمهندس كانت الساعة كام بالضبط تنفس عمر الصعداء وقد شعر بارتياح كبير لأن محسن كان هو الآخر قد رآها كان عمر يتذكر جيدًا الميعاد الذي أتت فيه بلقيس كانت الساعة الحادية عشرة لكنه

أراد أن يتأكد من محسن من وجودها فقط...

دخل عمر إلى المنزل لم يرى داده فردوس لكنه شعر بحركتها داخل المطبخ فدخل إليها وقال لها:

- معلش يا داده خلصنالك أنا وبلقيس اللحمة الباردة إمبارح ونظر إلى وجهها حتى يرى تأثير كلماته عليها فوجدها تضحك وتقول له وهي تقلب الطعام الذي تعده للغداء:

- ألف هنا وشفا ياحبيبي ده كله من خيرك بس أنا مستغربه قوي للبنت ديه حاسة كده إنها غريبة قوي...

قال لها عمر وقد اطمأن إلى أن فردوس هي الأخرى قد رأتها:

- ليه يا داده غريبة إزاي يعني ..

قالت له وقد تركت الطعام وذهبت إلى حوض الغسيل وأخذت تغسل به بعض الأكواب المتجمعة داخله:

_مش عارفه والله يا عمر هي كده كلها على بعضها غريبة بنت حلوة كده وصغيرة في السن ده تيجي لحد المكان المقطوع ده لوحدها بتعمل إيه وبعدين تمشي كده من غير ماتكلف حتى نفسها تسلم علينا على العموم هي حرة هي الخسرانة , أنا كنت ناوية أخلي البت فتحية مرات محسن تعملها النهاردة فطير عشان تأكله على الفطار, وأنت عارف بقى فطير فتحيه حلو إزاي لما دخلت ومالاقيتهاش في الأوضة سكيت بقى على الموضوع .قال عمر لفردوس باقتضاب:

_اعملي لي فنجان قهوة يا داده أحسن أنا عندي صداع فظيع .. تركت فردوس غسيل الاواني وقالت:

_يابني قهوة إيه وأنت ماكلتش حاجة .. القهوة غلط كده على لحم بطنك وبعدين أنت رحت فين ياعمر من غير حتى ما تفطر مشوار إيه اللي نزلك على مالا وشك كده كان واضح إنك مش رايح شغلك النهارده مالك يابني...

ربت عمر على كتف مربيته بحنان وقال لها:

- معلش يا داده أنا مش قادر أكل أي حاجة من فضلك أعملي لي القهوة...

قالت فردوس لعمر بحب:

- حاضر يابني بس علشان خاطري أنا هاجيبلك حاجة تبقى تأكلها بعد شوية..

خرج عمر من المطبخ ودخل إلى حجرة مكتبه وجلس على الكرسي الموضوع أمام المكتب وقد وضع رأسه بين يديه يشعر بصداع فظيع قام عمر يبحث عن مسكن للصداع أخذ قرصين ثم رمى بهما على الطرابيزة الصغيرة الموضوعة أمامه ثم جلس مرة أخرى وقد وضع رأسه بين يديه يفكر ما الذي حل به ليلة أمس... لقد سُلب منه قلبه.. سرقته منه تلك الساحرة التي لا يعلم إن كانت حية أم ميتة... هل هي طيف أم إنسانة حقيقية وإن كانت بالفعل حقيقية ما الذي قاله له عم مصطفى هذا!

أفاق عمر من شروده على صوت صينية القهوة التي تضعها فردوس أمامه وهي تقول له:

_القهوة يابني أنا عملت لك سندوتش الجبنة الروكفور اللي بتحبها دي عشان خاطري كل لك لقمة قبل القهوة... قالت داده فردوس وهي تخرج من الغرفة وقبل أن تغلق الباب خلفها:

_إيه فين بلقيس دي يمكن كانت فتحت نفسك وأكلت معاها لقمة كان عمر ينظر إلى فردوس وهي تخرج وتقول له تلك الكلمات لكنه لم يعلق ولا بحرف واحد على ما قالته ظل صامتاً ينظر إليها وهي تتكلم وعندما أغلقت الباب خلفها نظر إلى صينيه القهوة وبالتحديد إلى سندوتش الجبنة الروكفور وقد تذكر بلقيس بالأمس عندما كانت تقف بالمطبخ تلعق إصبعها الذي وضعت على طرفه قطعة روكفور صغيرة..

تناول عمر قرصي المسكن وبلعهما ببعض الماء الذي أحضرته فردوس ثم تناول فنجان القهوة وجلس يشرب منه عله يُسكن من حدة هذا الصداع اللعين.. أنهى عمر فنجان القهوة ثم وضعه على الصينية وأسند رأسه إلى الخلف على ظهر المقعد الذي يجلس عليه ..أغمض عينيه كان يشعر بصداع قاتل يكاد يفجر رأسها أما روحه فكانت تهيم مع بلقيس الذي لا يدري أين هي على وجه التحديد أهي من سكان عالمنا هذا أم هي تسكن في عالم آخر..

الصداع الذي برأس عمر والألم الذي سكن نفسه مع قرصي المسكن جعلوه يغفو لبعض الوقت رأي فيه حلماً كانت بلقيس تقف أمامه ترتدي تلك الجلابية الزرقاء وتستند بذراعيها على كتفيه وتنظر بعينيه مباشرة أفاق عمر من هذا الحلم على صوت رنين موبايله انتفض من كرسيه مفزوعًا ثم هدأ وتناول الموبايل ونظر به كان المتصل هو أحد أصدقائه سوف يسأله بالتأكيد لما تخلف اليوم عن إلقاء محاضرته نسى عمر تماماً في ذروة أحداث هذا اليوم أن يتصل بصديقه ويعتذر عن الحضور اليوم ويكلفه بإلقاء تلك المحاضرة بالنيابة عنه .. كم تخلف زملائه عن الحضور وكان هو يسد الفجوة التي يتركها تخلفهم عن الحضور بسبب أي ظرف طارئ لهم لما لا يسد اليوم أحد فجوته هو...

خرج عمر من غرفة مكتبه متجاهلًا رنين موبايله وصعد السلالم المؤدية إلى الطابق العلوي حيث غرف النوم... دخل غرفته وأغلق خلفه الباب بالمفتاح وآخرج الجلابية الزرقاء.... أمسكها بيديه وجلس على طرف فراشه ينظر إليها .....

لقد رأى بلقيس وهي ترتديها والآن يشتم منها رائحتها التي كان يشتمها منها بالأمس عندما اقتربت منه ولمست بيدها تلك الحسنة في وجهه عندها اشتم رائحة بلقيس وعندما وقفت بجواره أمام المكتبة اشتم أيضًا رائحتها , وعندما دخلت إلى المنزل لأول مرة انتشرت أيضًا رائحتها بالمكان كله نعم هي رائحتها تلك العالقة بالجلابية الزرقاء فإن أنفه لا تخطئها...

دفن عمر وجهه بتلك الجلابية وتمنى بشدة أن يراها مرة أخرى.. دقت داده فردوس على باب غرفة نوم عمر رفع وجهه عن الجلابية ثم قام فوضعها داخل دولابه وأغلقه وتوجه نحو الباب ففتحه وجد فردوس تقف بالباب مبتسمة تقول له:

_مش هاتتغدى يا عمر..

رد عليها:

_لا يا داده ماليش نفس..

قالت له باستغراب:

_مالك يابني في حاجة حصلت أنت زعلان ليه.. حد ضايقك في حاجة.

قال لها عمر بصوت حاول أن يجعله طبيعيًا حتى لا تلاحظ فردوس تغيره وضيقه أكثر من ذلك:

_لا يا داده مفيش حاجة.. طيب هانزل اتغدى معاكي..

كان عمر يجلس على مائدة الطعام وهو يحاول أن يتظاهر أمام فردوس بانه يأكل ولكنها كانت تلاحظه جيدًا كان يحرك الملعقة في الصحن دون أن يرفعها إلى فمه كانت داده فردوس تجلس معه على المائدة تأكل وعينيها عليه لم تدري ما الذي أصابه ولكنها لم تسأله مرة أخرى عما به فهي تعلم عمر جيدًا فإنه لن يبوح بشيء لا يريد أن يبوح به...

نهض عمر فجأة من على مائدة الطعام وقال لفردوس وهو يسير نحو السلم ليصعد إلى غرفته:

_أنا خلاص شبعت يا داده ..

نظرت فردوس إلى طبق طعام عمر والذي لم يأكل منه شيء بل حرك محتوياته فقط ولكنها لم تعلق على ذلك بل اكتفت بأن قالت له:

_طيب يابني بالهنا والشفا...

عندما صعد عمر إلى غرفته استلقى على فراشه وهو يحدق بسقف الغرفة لا يدري ما الذي أصابه بالفعل.. لماذا هو يتعلق بتلك الفتاة بهذه الصورة؟ لم يراها إلا بالأمس ولم يعلم عنها شيء لكنه لا يستطيع أن يخرجها من أفكاره لقد احتلت عقله تمامًا فهو منذ الأمس لا يفكر إلا بها واحتلت روحه فهو يشعر بها في أرجاء المنزل واحتلت قلبه فهو يشتاق إليها بشده ويشم رائحتها بلهفة لقد احتلت بلقيس هذه كل حواسه لقد أصبح بالفعل أسير لها كأنها قد ألقت عليه تعويذة سحرية قيدته بها داخل قضبان عينيها... مرّت ساعات وعمر في فراشه لا ينام ولا يستيقظ تقلب عمر كثيرًا في فراشه كان يرغب بشدة أن ينام لبعض الوقت علّه يريح عقله وقلبه وروحه ؛ولكنه لم يعرف كان يتقلب على فراشه كأنه يتقلب على قطع من الجمر.. نهض من فراشه وتوجه إلى الشرفة ففتحها ووقف داخلها يستنشق الهواء البارد علّه يطفئ النيران التي يشعر بها تجتاحه كان عمر ينظر إلى السماء وقد تلونت بلون الشفق... بعد

أن أسدل الليل بأستاره على المكان وعم الهدوء الشديد المنطقة. نزل عمر وخرج من فيلته كان يرغب بأن يتمشى في حديقة المنزل ,كان هناك ممر طويل يصل الحديقة بالمنزل كان عمر يمشي ببطء حتى يصل إلى الحديقة ,كان الجو قد أصبح باردًا لكن لم يشعر عمر بهذا ورغم برودة الجو إلا أن السماء كانت صافية والقمر ينيرها ,كان المكان حول عمر هادئاً بدرجة كبيرة حتى أن أقل حركة به تسمع ؛لكنه كان شاردا فلم يسمع الطرق على الباب الخارجي ولم يسمع صرير البوابة الحديدية وهي تفتح ولا الشخص الذي يقف بالباب يسأل عن عمر ولا محسن وهو يرد عليه بأنه داخل الحديقة ويشير إليه أن يتفضل ولا البوابة وهي تقفل مرة أخرى , كل هذا لم يشعر به عمر لكنه سمع فقط حفيف ورق الأشجار الجافة المتساقطة الصادر عندما يمشى عليها أحد . لم يهتم عمر أن يري من هو القادم خلفه كان يقف ينظر إلى لا شيء فقط يمشي بعينيه على الأشجار المحيطة به وظهره إلى الممر عندما اشتم فجأة رائحة لا يمكن لأنفه أن تخطئها أبدًا , رائحة بات يعشقها ويعشق صاحبتها استدار بعنف وبسرعة ينظر من الذي يقف خلفه....

وقف مشدوهًا لا يصدق ما تراه عينيه لقد كان يقف وجهًا لوجه أمام بلقيس.... بادرته بصوتها الشديد النعومة قائلة له بابتسامة عذبة ورقيقه:

_ازيك يا عمر....

نطقت اسمه بطريقة شعر عمر معها بأن روحه قد سحبت منه... لم يستطع أن ينطق.. لثواني لم يشعر عمر بنفسه أنائمًا هو أم يقظًا لا يدري... إن كان هذا حلمًا أم حقيقة أيمكن أن تكون بلقيس هنا....

أيمكن أن تكون حية هي روحًا وجسدًا أم أنها ميتة بالفعل وهذا هو طيفها....

اقتربت منه خطوة أخرى ثم قالت له بعذوبة شديدة:

_إيه ياباشمهندس أنت متضايق إنك شفتني ؟

ابتسم عمر وهو يغمض عينيه ويحرك رأسه ببطء ورقة وكأنه يريد أن يقول:

_أنا كنت باحلم إني أشوفك...

نطق عمر اسمها برقة شديدة كأنه يريد أن يتأكد أنها موجودة معه:

_بلقيس.....

قالت له بصوت هامس:

_تعرف إن دي أول مرة تقول فيها اسمي من غير ما تقولي قبله يا آنسة...

نطق عمر باسمها مرة أخرى بصوت هامس ورقيق وهو يتقدم نحوها ببطء:

_بلقيس...

قالت له بهمس:

_نعم يا عمر...

مد عمر يده يحاول أن يلمس وجهها لكنها ابتعدت عنه بسرعة وقالت له بغضب:

_لو حاولت تلمسني مرة تانية هامشي..

قال لها عمر بسرعة وبصوت به نبرة رجاء واستعطاف شديدة:

_لا يا بلقيس أنا آسف سامحيني أرجوك...

نظرت له بلقيس ثم رجعت إلى الخلف خطوتين وقالت له برقة وابتسامة عذبة:

_خلاص يا عمر سامحتك بس من فضلك متحاولش تلمسني مرة ثانية...

أنا هاخلي دايمًا بيني وبينك اربع خطوات .....

قال لها عمر باستعطاف:

_ليه يا بلقيس المسافة دي كلها....كتير قوي أربع خطوات...

قالت له بجدية شديدة:

_لو لمستني يا عمر هاختفي وعمرك ماهاتشوفني تاني... علشان كده هاخلي دايمًا بيني وبينك المسافة دي....

قال عمر وهو يشعر بأنه يكاد يُجن ليس يدري إن كانت حقيقة هي أم خيال:

_طيب يا بلقيس قولي لي أنتِ عايشة ولا أنتِ طيف ولا أنا خلاص اتجننت وباشوف خيالات مش حقيقية .....

قالت بلقيس وقد بدأت تتحرك في الحديقة وعمر يمشي بجوارها لكنه بينه وبينها أربعة خطوات كما قالت له:

_طيب وأنت يهمك في إيه يا عمر لو أنا عايشة ولا أنا طيف إنسانه ماتت.....

قال عمر برجاء:

_لا عشان خاطري يا بلقيس بلاش تقولي طيف إنسانه ماتت... وقفت ثم نظرت إليه وقالت :

_هاتزعل علشاني....

صمت عمر ولم ينطق لكنه وقف ينظر إليها نظرات حزينة فضحكت بلقيس ضحكة رنانة ثم قالت له:

_خلاص يا باشمهندس ماتزعلش قوي كده اعتبرني النهارده عايشه وخلينا نستمتع مع بعض بالوقت ده عملت إيه النهارة احكي لي من وقت ما صحيت من النوم الصبح لحد دلوقتي...

قص عليها عمر كل ما حدث في يومه ابتداءً من عثوره على تلك الورقة الوردية ثم ذهابه إلى قصرها ومقابلته لحراسها وبوابها العجوز عم مصطفى ثم عودته إلى منزله حزينًا وقصّ عليها أنه لم يأكل شيئًا طوال هذا اليوم فقط شرب القهوة قالت له بقليس بنعومة:

_أنت مش جعان...

قال لها وهو لا يريد أن ينزل عينيه من عينيها وإن كانت تلك المسافة المكونة من أربع خطوات مازالت بينهما:

_أنا دلوقتي حسيت إني ميت من الجوع بس مش هاكل إلا لما تأكلي معايا

ضحكت بلقيس ثم قالت له:

_لحمه بارده برضه وزبده وشيدر...

ضحك عمر وقال لها:

_أنا هاطلع أشوف في أكل إيه وأجيلك بسرعة ..استدار عمر كي يمشي ؛لكنه توقف وهو يقول:

_بس الجو هنا مش برد عليكِ تحبي ندخل ناكل في البيت جوه

ابتسمت ثم قالت له:

_أنت بردان يا عمر...

قال لها عمر وهو يبتسم لها برقه:

_لا أنا مش حاسس بأي برد... بس أنا خايف أحسن أنتِ تبردي
قالت له بنعومة:
_متخافش عليا... أنا عايزه أكل هنا....
قال لها عمر وهو يتحرك بسرعة كي يحضر الطعام:
_أنا مش هاتأخر...
ثم توقف فجأة واستدار ووقف ينظر إلى بلقيس وراوده شعور بأنه يمكن أن يعود فلا يجدها وكأنها قد قرأت أفكاره فقالت له برقه شديدة:
- ماتخافش يا عمر أنا مش هامشي... هاستناك... ابتسم عمر وقال لها:
_ أنت على فكرة ذكية جدًا...
قالت له:
_أنا جعانه جدًا...
ابتسم لها عمر ثم تحرك بسرعة كي يدخل المنزل ويحضر الطعام... عاد عمر بعد حوالي عشرة دقائق وهو يحمل صينية كبيرة عليها فراخ محمره ومحشي ورق عنب وسلطة زبادي قال لها وهو يضحك:
_أنا جننت دادة فردوس عشان تسخن الأكل بسرعة.. كانت عايزه تعرف أنا هاروح فين بالصينية دي بس أنا ماريحتهاش....
قالت بلقيس وهي تضحك:
_قلت لها إيه....
قال عمر:
_قلت لها إني هاكل في الجنينة ومش عايزها تيجي تندهلي كل شوية لأني عايز أكون لوحدي...
قالت له بلقيس:
_بس هيه هاتسمع كلامك....
قال لها عمر بنبرة صوت بدا فيها مدى قوة شخصيته:
_طبعًا يا بلقيس هاتسمع كلامي.
كان عمر لا يزال يمسك بالصينية ثم مشى أمام بلقيس وهو يقول لها:
_تعالي... اتفضلي هانقعد هنا...

وضع عمر صينية الطعام على مائدة بلاستيك بيضاء موضوعة بالحديقة ويصطف حولها بعض الكراسي البلاستيكية البيضاء... جلست بلقيس على كرسي وجلس عمر على الكرسي المجاور لها.. وعندما وجدته مقتربًا منها قامت ثم جلست على كرسي أبعد.... نظر إليها عمر بعتاب لكنه لم يعلق قرب منها صينية الطعام وهو يقول لها:

_داده فردوس بتعمل ورق العنب يجنن....

مدت بلقيس يدها وأخذت ورقة عنب فوضعتها في فمها وأخذت تمضغها بتلذذ وعمر يتابعها بنظراته عندما قالت له بلقيس ضاحكة:

_أنت هاتفضل تتفرج عليا كده وأنا باكل.. إيه الحكاية مش ناوي تاكل معايا ولا إيه...

ضحك عمر ضحكة رجولية قوية وهو يقول لها:

_لا طبعًا هاكل معاكي.... أنت عايزه تاكلي الأكل كله لوحدك ولا إيه قهقهت بلقيس بشدة على مداعبة عمر لها وقالت له:

_الحقيقة يا عمر أنا نفسي بتتفتح في الأكل معاك... نظر لها عمر وفي عينيه نظرة إعجاب عميقة جعلتها تقول له ضاحكة:

_لو سمحت يا عمر بلاش تبصلي كده أنا عايزه أكل...

ابتسم عمر برقة شديدة وهو يشير لها إلى الطعام قائلاً:

_اتفضلي يا فندم..

ابتسمت بلقيس للطريقة التي يداعبها بها ثم أخذا يأكلان معًا بشهية كبيرة دون أن ينطقا بكلمة واحدة أثناء طعامهما، فقط عند التقاء أعينهما يبتسمان... بعد انتهاء الطعام قالت له بلقيس برقة ونعومة:

_عمر أنا عطشانة عايزه أشرب..

ابتسم لها عمر وهو يشير إلى عينيه قائلاً:

_من عنيا أطلع أجيب لك ميه حالاً ثم سكت برهة وقال لها

وهو ينظر في عينيها :

_بلقيس اوعي تمشي..

قالت له وهي تنظر في عينيه بدورها:

_مش هامشي..

صعد عمر وجاء سريعًا وهو يحمل صينية أخرى عليها أكواب ماء وعصير وضعهما على المائدة وهو يقول لها:

_تحبي تغسلي ايدك

قالت له بلقيس:

_ميرسي يا عمر أنا مسحت إيدي بمناديل معطرة....

قدم لها عمر كوب الماء.. أخذته بلقيس وشربته ماعدًا بعضًا منه وبمجرد أن وضعت الكوب على المائدة تناوله عمر وشربه ثم قال لها:

_أنا عايز أشرب من كوبايتك ..

نظرت إليه بلقيس بدهشة وهى تقول له:

-ليه يا عمر... ليه عايز تشرب من كوبايتي..

نظر عمر داخل عينيها وهو يقول لها بهمس:

_مش عارف يا بلقيس....

ضحكت ثم نهضت من كرسيها وهي تقول له:

_تعالي نتمشى شوية..

كان عمر يمشي بجوارها وهو لا يزال يحافظ على المسافة التي بينهما والتي وضعتها بلقيس...كان يتمنى عمر أن يقترب كثيرًا , يتمنى أن يمسك يدها ويشعر بحراراتها ؛ولكنه كان يخشى أن يفعل ذلك فتنفذ بلقيس تهديدها له وتختفي.

كان عمر شاردًا يفكر أبلقيس حقيقة تمشي بجواره أم هي حلمًا....

أفاق على صوتها تقول له:

_سرحان في إيه....

قال لها عمر بلهفة حقيقية:

_ بلقيس أنا نفسي أعرف كلام عم مصطفى ده حقيقي..

قالت له وهي تراوغه:

_أي كلام...

وقف عمر عن المشي وقال لها بجدية:

_أنتِ عارفه يا بلقيس أنا باتكلم عن إيه...

قالت بلقيس وقد استمرت في المشي إلى الأمام حتى أن عمر كان قد تخلف عنها:

_ احكي لي عن نفسك يا عمر.. أنا عايزه أعرف عنك كل حاجة...

قال لها عمر مبتسمًا:

_عايزه تعرفي عني إيه يا بلقيس اسأليني وأنا أجوبك ..

قال بلقيس بجدية:

_فين مامتك وباباك أنا شايفه إنك عايش لوحدك مع داده فردوس ..

قال عمر وقد اكتست ملامح وجهه ببعض الحزن:

_ماما ماتت وأنا عندي عشر سنين وكانت سها عندها سبع سنين وبابا مات بعد كده وأنا عندي عشرين سنة يعني بعد ماما بعشر سنين تقريبًا

قالت له بلقيس وهي تحاول أن تعرف المزيد عنه:

_يعني أنت عندك أخت.. هي فين اتجوزت أكيد....

قال عمر بحزن:

_لا يا بلقيس سها ماتت .. كانت بتحب تطلع فوق الشجر وتلعب ويوم الحادثة دي كنا بنلعب في الجنينة سوا طلعت فوق الشجرة عشان تستخبى مني كنا بنلعب استغماية وهي بتنزل من على الشجرة بعد كده اتزحلقت ووقعت على رأسها.. عارفه أنا مش قادر أنسى اليوم ده لما وقعت قدامي نزل من رأسها دم كتير صرخت وجريت ناديت على بابا ونقلوها للمستشفى على طول.. كان بابا بيسوق زي المجنون عشان يلحق يوصلها للمستشفى لكن مافيش فايدة على ما وصلنا كانت خلاص.. عارفه كرهت بعدها المكان هنا فترة لأني حسيت إن بُعد المزرعة هنا كان السبب في موت سها لو كنا قريبين شوية يمكن كانوا لحقوها في المستشفى عارفه يا بلقيس حسيت بعد موت سها إني وحيد..

كانت بلقيس تستمع إلى عمر باهتمام فلم تقاطعه وهو يتحدث وعندما أنهى كلامه قالت له برقه شديدة جعلت قلب عمر ينبض:

_أنا آسفة خالص يا عمر.. سامحني إني فكرتك بالحاجات دي ..

قال لها عمر وهو يبتسم لها:

_ولا يهمك يا بلقيس اسأليني تاني لو عايزه تعرفي حاجات تانية ..

قالت له بلقيس بدلال:

_مش هاتضايق لو افتكرت حاجات زعلتك..

قال عمر مؤكدًا لها:

_ لا مش هازعل ما تخافيش..

فعادت تسأله:

_هي مامتك ماتت إزاي أنت بتقول كان عندك عشر سنين يعني مامتك كانت لسه صغيرة.

قال عمر بتأكيد:

_ماما ماتت وكان عندها أربعة وثلاثين سنة بس وماكانتش عيانه ولا أي حاجة كانت صحتها كويسة جدًا وكلها شباب وحيوية نامت بليل وبابا جه يصحيها الصبح عشان كانوا خارجين في مشوار مع بعض لاقاها ماتت اندهشت بلقيس وقالت له:

_ببساطة كده وفجأة ومن غير أي مقدمات..

أومأ عمر برأسه علامة الإيجاب قائلاً:

_ببساطة كده وفجأة يا بلقيس.. ماما لما ماتت كانت سها عندها سبع سنين وبعدين ماتت هي كمان بعد ماما بثلاث سنين وعشت أنا وبابا لوحدنا كان كل أقارب بابا بيتحايلوا عليه عشان يتجوز تاني وعشان يكون في واحدة ست في البيت تخلي بالها مني وفهموه إن سبب موت سها إن مافيش حد في البيت يخلي باله مننا.. قرر بابا يتجوز بعد موت سها بحوالي سنتين من واحدة ست صاحبة عمتي كانت مطلقة وما عندهاش أطفال؛ لأنها أصلًا مش بتخلف.

سكت عمر قليلاً يلتقط أنفاسه فقالت له بلقيس باهتمام:

_وبعدين حصل إيه يا عمر...

قال عمر بأسى وكأنه يتذكر أحداث في ذاكرته ليست بالأحداث السعيدة:

_اتجوزها بابا وكانت في الحقيقة إنسانة سيئة جدًا كانت معاملتها معايا معاملة سيئة ماكنتش باقول لبابا حاجة عشان خاطر حياته تكون كويسه معاها كانت بتيجي قدامه وتعمل نفسها بتحبني وبتعاملني كويس ولما بيكون مش موجود معاملتها بتكون حاجه تانية.. لحد ما بابا شافها بالصدفة وهي

بتضربني بالقلم و بتهيني من غير ما أعمل لها حاجة , شاف الموقف كله من شباك مكتبه , وكنت أنا وهي في الجنينة افتعلت أي حاجة قرر بابا بعدها إنه يطلقها . وطلقها فعلاً بعدها على طول... وقال لي أنه كان حاسس طول الوقت إنها بتكرهني ...

قالت له بلقيس:

_واضح إن باباك كان بيحبك يا عمر.. بس داده فردوس كانت بتشتغل عندكم وقتها ولا ماكنتش موجودة..؟

قال عمر:

_داده فردوس بتشتغل عندنا من وقت ما كانت ماما عايشه كانت حنينه جدًا وبتحبني أنا وسها.. في الحقيقة يا بلقيس داده فردوس هي اللي ربتني بعد ماما ما ماتت عشان كده أنا باحبها زي ماما.. داده فردوس غلبانة وظروفها صعبة زمان في شبابها وقبل ما تشتغل عندنا كانت متجوزة ومر على جوازها سنتين ما خلفتش فيهم أطفال وبعد كده اكتشفت إنها ما بتخلفش ولما جوزها عرف طلقها على طول ومن غير حتى ما يكلم معاها عشان كده اتصدمت وقررت إنها ما تتجوزش تاني أبدًا.... ضحك عمر ضحكة عالية وهو يقول لبلقيس:

_داده فردوس معندهاش ثقة في الرجالة أبدًا....

قالت بلقيس لعمر:

_مرّت عليك ظروف كتير صعبة يا عمر بس أنا شايفه إنك الحمد لله متفوق جدًا وناجح يعني مهندس ومعاك دكتوراه من ألمانيا مش أنت قلت لي إنك كنت في ألمانيا بتدرس الدكتوراه....

قال لها عمر:

أنا طول عمري باحب دراستي جدًا.... لما ماما ماتت كنت طفل صغير اتصدمت جدًا بس وجود بابا معايا وداده فردوس هوّن عليا كتير وبعد ما سها ماتت السنة دي نجحت بالعافية والوقت اللي بابا مات فيه كنا في أجازه الصيف حزنت وقتها جدًا وحسيت إني بقيت في الدنيا دي لوحدي؛ لكن داده فردوس كانت دايمًا جنبي صحيح الأقارب بيجوا في الأول كتير لكن مع الأيام كل

واحد بينشغل في حاله وحياته عشان كده حسيت إني لازم أعمل لنفسي كيان مستقل ركزت في دراستي والحمد لله ربنا وفقني....

صمت عمر لحظات ثم قال لبلقيس:

_بلقيس ليه عم مصطفى قال عليكِ الكلام ده.. على فكرة القصة اللي حكاها غريبة جدًا أنا مش قادر أصدقها أنتِ معايا أهو قدامي عايشه.. أكلتِ معايا وشربتِ معايا وبتكلمي معايا.... طيب إزاي يكون كل ده بيحصل وأنتِ ميته..

لم ترد عليه بلقيس ؛ ولكنها استمرت تمشي حتى وصلت إلى شجرة ليمون كبيرة .

وقفت تحتها ثم قالت لعمر:

_أنا بحب ريحة الليمون قوي الشجر بتاعه ريحته تجنن حتى لو مافيش ليمون في الشجرة برضه ريحتها حلوه....

كان عمر ينظر إليها وهو صامت.. ثم قال لها:

_ليه كل ما أسألك بتغيري الموضوع ؟

اقتربت بلقيس من عمر خطوة واحدة ثم نظرت إليه نظرة شبيهة بتلك النظرة التي سحرته بها داخل المطبخ ,ولكنها في هذه المرة كانت أشد وأقوى . خُيل لعمر أن بلقيس قد جمعت كل فتنة النساء في تلك النظرة.. نظرة هي مزيج من الحب والشوق واللهفة ,مضافًا إليها حنان وضعف واستكانة ممزوجة بالكثير من الرغبة والنداء المُلِح يُغلفها الغرور والصدّ والكبرياء.. تسمّر عمر في مكانه , وقد نسى تمامًا ما كان يسألها عنه ؛بل نسى ما كان يتكلم فيه من الأساس . صمت عمر وظل ينظر إلى بلقيس لا يريد أن يرفع عينيه عنها حتى قالت له بنعومة مخدرة:

_عمر أنا عايزه أشرب شاي من ايدك زي بتاع إمبارح....

ابتسم لها عمر وهو يقول لها بصوت منهر ومبحوح من شدة الانفعال:

_حاضر أنا هاعمله حالًا.... عندما همّ عمر أن يتحرك قالت له بلقيس بصوت أشد نعومة هذه المرة كأنها قد سكبت به مخدر أشد مفعولًا....

_لو سمحت يا عمر قول لمحسن يسيب البوابة الخارجية مفتوحة كل يوم

بعد الساعة اتناشر بالليل..

شعر عمر بسعادة غامرة لم يشعر بها في حياته من قبل حتى ولا اليوم الذي نال فيه شهادة الدكتوراه من ألمانيا, فقال لها وكأنه منومًا مغناطيسيًا: حاضر يا بلقيس.. يعني أستناك كل يوم الساعة اتناشر؟

أومأت له بلقيس برأسها دون أن تنطق.. فابتسم لها عمر برقة شديدة ثم قال لها:

_أنا هاطلع أعمل الشاي حالًا..

أسرع عمر إلى داخل الفيلا ,وفي غضون أقل من عشرة دقائق كان ينزل السلالم حاملًا صينية الشاي . اجتاز الممر ليصل إلى الحديقة مسرعًا كله لهفة ليكمل حديثه مع بلقيس ؛ لكنه لم يجدها في المكان الذي تركها فيه نادى عليها بلهفة:

_بلقيس الشاي....

لم يتلق عمر جوابًا.. وضع صينية الشاي بسرعة على تلك الطرابيزة البلاستيكية ثم أخذ يدور بالحديقة باحثًا عنها ,وهو ينادي عليها بصوت هامس حتى لا يسمعه أحد بسبب الهدوء الشديد الذي يخيم على المكان.. استمر عمر يلف بالحديقة وينظر وراء الاشجار بها وينادي على بلقيس, لكنها لم تكن موجودة.. لقد اختفت تمامًا.... جلس عمر حزينًا على المقعد وهو ينظر إلى الصينية الموضوع عليها أكواب الشاي وهو يلوم نفسه؛ لأنه تركها أحس بيأس شديد ؛لأنه قد لا يراها مرة أخرى ثم عاد يلوم نفسه؛ لأنه قد ألحَّ عليها حتى يعرف ما قاله له عم مصطفى حقيقة أم لا .كان يريد أن يعرف أميتة هي أم لا تزال على قيد الحياة وإن كانت ميتة فمن هي تلك التي تظهر له وكيف تكلمه وتأكل معه وتنظر إليه تلك النظرات... وإن كانت لا تزال على قيد الحياة فكيف يقول له مصطفى هذا الكلام الغريب .... ظلّ عمر جالسًا في مكانه ساهمًا شاردًا يشعر بالحزن ثم نهض من كرسيه يائسًا ربما لن يراها مرة أخرى ؛ولكن يراوده الأمل في أنها قد تأتي إليه غدًا بعد منتصف الليل كما وعدته ....

الفصل السادس

خرج عمر من الحمام بعد أن أخذ دشًا دافئًا كي ينشط فهو لم ينم ليلة أمس لم يغمض له جفن منذ رحيل بلقيس وحتى تلك الساعة....

كانت الساعة السابعة والنصف تمامًا عندما كان عمر ينزل من غرفته وقد استعد للخروج رغم ما كان يشعر به من تعب شديد بسبب عدم نومه وكثرة تفكيره في بلقيس إلا أنه كان يجب عليه أن يخرج اليوم لينهي ما لديه من عمل ومهام أخرى يكفيه أنه عطل كل أعماله بالأمس فطلابه في كلية الهندسة وعملاء مكتبه ليس لهم ذنب في قصته تلك مع بلقيس...

قابلته داده فردوس بابتسامتها الحانية وقالت له:

_صباح الخير يا حبيبي يالا عشان تفطر....

رد عليها عمر باقتضاب شديد:

_لا يا داده شكرًا أنا مش عايز أفطر..

قالت له:

_ليه يا بني مالك زي ما تكون مانمتش كويس وشك مش مرتاح وعينيك حمره شويه..

قال لها عمر بعصبية وهو يفتح الباب لكي يخرج:

_سيبيني يا داده من فضلك أنا مستعجل....

خرج عمر وأغلق الباب خلفه وترك فردوس غارقه في دهشتها لقد تغير سلوك عمر في هذين اليومين ولا تدري ما الذي أصابه أخذت فردوس تقلب في رأسها أحداث الأيام الماضية كلها علها تجد بها سبب تغير عمر.. كان عمر بالنسبة لفردوس هو ابنها الحبيب.... عندما دخلت فردوس إلى هذا المنزل كان عمر في السادسة من عمره كانت تحبه كثيرًا هو وأخته وبعد وفاة أمه أحاطته

فردوس حتى تخفف عنه وفاة أمه وعندما ماتت أخته سها أحست فردوس بأن عمر أصبح ابنها بالفعل فهو لم يكن لديه سواها وهي لم تكن لديها سواه تعلقت فردوس بعمر تعلقًا شديدًا حتى أنها كانت تكيل لزوجة أبيه عندما كانت تراها تضايق عمر أو تسيء معاملته وكم من مرة هددتها بأنها سوف تقول لأبيه ما يحدث منها وما كان يمنعها عن إخبارها لأبيه بسوء معاملة زوجته لعمر إلا عمر نفسه والذي لم يكن يرغب في أن يعيش أبوه في صراع بين زوجته وابنه....

لم يكن يخطر على بال فردوس أن تلك الفتاة الغامضة والتي أتت إليهم منذ ليلتين هي من قلبت حياة عمر رأسًا على عقب فهو تارة فرحًا مسرورًا يأكل بشهية كبيرة وتارة أخرى حزينًا مكتئبًا ليس لديه أي شهية للطعام....

عندما عاد عمر إلى المنزل كانت الساعة قد تعددت الخامسة مساءً.... كان يشعر بالإنهاك الشديد فهو لم ينم ليلته بالإضافة إلى يوم عمل طويل وشاق.. عندما صعد إلى غرفته كان يشعر أنه يريد أن يرتمي على فراشه وعندما هم بأن يخلع ملابسه طرقت داده فردوس على الباب وهي تنادي على عمر فتح لها عمر الباب وهو يقول لها بصوت متعب للغاية:

_ازيك يا داده....

قالت له وقد بدا عليها القلق الشديد على عمر:

_مالك يا بني أنت شكلك تعبان قوي.. شفتك وأنت طالع على السلم وأنا في المطبخ ناديت عليك بس أنت يظهر ما سمعتنيش....

قالت له فردوس وهي تريد أن تطمئن عليه:

_يا بني طمني عليك أنت متغير خالص.. مش عارفه مالك.. أنت مش عمر خالص اللي أنا عارفاه....

قال لها عمر بصوت متعب وهو يحاول أن يبتسم لها فخرجت ابتسامته ضعيفة ومتعبه:

_أنا كويس يا داده اطمني عليه....

قالت فردوس وهي متأكدة من تغير عمر وأن هناك ما يشغل باله ولكنها لم ترد أن تطيل عليه الكلام حتى لا يتضايق:

_طيب يا حبيبي أحضرلك الغدا....

قال عمر:

_لا يا داده معلش أنا ماليش نفس .... الحقيقة أنا محتاج أنام شويه لما أصحى ممكن أتغدى....

قالت له فردوس وهى تغلق الباب:

_طيب يا بني على راحتك ..

نزلت فردوس السلالم المؤدية إلى الطابق الأرضي وجلست على أقرب كرسي وهي في شدة القلق على عمر... لم يكن عمر يخفي عن داده فردوس أي شيء فمنذ أن كان طفلًا صغيرًا.. كان يحكي لها كل ما يضايقه أو يفرحه كان يحكي لها عن أصدقائه وعن مشاكله وعن أحلامه وطموحاته.. لما هو هذه المرة كتومًا لهذه الدرجة ارتمي عمر على فراشه وراح في نوم عميق لم يقوى حتى على تغير ملابسه.. عندما استيقظ من النوم كانت الساعة قد قاربت العاشرة مساءً عندما نظر عمر إلى ساعة يده اندهش لقد نام حوالي خمس ساعات كان حقًا في شدة التعب والإرهاق فهو لم ينم منذ ليلتين....

نهض من فراشه وقد شعر بتحسن وراوده أمل كبير في رؤية بلقيس بعد ساعتين.. كان يريد أن يهيئ نفسه لاستقبالها لا يجب أن تراه وهو في تلك الصورة.. دخل إلى الحمام لكي يأخذ دشًا وبعد حوالي نصف ساعة كان قد أرتدى ملابسه بعد أن أخذ حمامًا دافئًا وحلق ذقنه التي لم يكن به رغبة في حلقها صباحًا, وضع قطرات من عطره الرجولي النفاذ الرائحة ثم نزل إلى الطابق الأرضي ومنه إلى الحديقة فوجد محسن يجلس وهو يحتسي كوبًا من الشاي عندما رأى عمر نهض من كرسيه وهو يقول له في احترام:

_أي خدمة يا عمر بيه....

ربت عمر على كتف محسن وهو يقول له :

_كمل الشاي بتاعك يا محسن.... أنا بس حبيت أقولك بلاش تقفل البوابة الخارجية سيبها مفتوحة..

اندهش محسن وقال لعمر:

_إزاي يا باشمهندس نسيبها مفتوحة, الحتة هنا مقطوعة وبليل مافيهاش صريخ ابن يومين ...

قال عمر وهو يبتسم لنظرة الدهشة المرتسمة على وجه محسن:

_أنت خايف يا محسن ما تقلقش المكان هنا أمان..

قال محسن وهو لا يزال مندهشًا:

_بس يا باشمهندس ممكن يدخلنا حرامي ولا حاجة أنا مش فاهم ليه نسيبها مفتوحة.. طيب حضرتك فهمني..

قال له عمر بحزم:

_اسمع الكلام اللي باقولك عليه سيب البوابة الخارجية مفتوحة والساعة اتناشر إلا ربع تسيب البوابة وتدخل تنام فاهم يا محسن....

قال محسن لعمر بأدب وهو يعلم جيدًا أنه عندما يتكلم عمر بهذا الحزم فإنه يجب عليه فورًا أن ينفذ أوامره من دون أن يطيل معه النقاش:

_حاضر يا باشا تحت أمرك....

استدار عمر ودخل إلى الفيلا يبحث عن داده فردوس فلم يجدها في المطبخ ولا في البهو فصعد إلى غرفتها وطرقها فلم تجبه فتحها برفق فوجد فردوس مستغرقة في النوم.. أغلق باب الغرفة برفق شديد حتى لا يوقظها وقد شعر بارتياح فهو يريد أن يلتقي مع بلقيس من دون أن يزعجه أحد حتى ولو كانت داده فردوس....

نزل إلى المطبخ يستطلع ما هو الطعام الموجود حتى يكون كل شيء مُعدّ قبل قدوم بلقيس.... فوجد أن فردوس قد أعدت طاجن بامية بقطع اللحم كان عمر يحبه؛ ولكنه تساءل بينه وبين نفسه أتحبه بلقيس؟ يا ترى يجب عليه أن يسألها عما تحبه من طعام حتى يقول لداده فردوس لتطهوه لها....

أعدَّ عمر كل شيء على صواني حتى الشاي أعده ووضعه في ترمس حتى لا يضطر إلى ترك بلقيس لا يريدها أن تختفي لن يسمح لها بأن تتركه.. عندما دقت الساعة الحادية عشرة والنصف نزل عمر وهو في شدة التوتر يهيأ له أن دقات قلبه يسمعها كل الناس.... اجتاز عمر الممر المؤدي إلى الحديقة كان يضع يديه في جيوب بنطلونه الجينز ويمشي ببطء وقد علت دقات قلبه حتى ملأت أذنيه أحس عمر بأن قلبه سيتوقف عندما خطر له أن بلقيس لن تأتي هز رأسه بعنف كأنه يريد أن يطرد تلك الفكرة من رأسه كان عمر غارقًا في أفكاره

وهو يتذكر بلقيس عندما أتت إليه ليلة أمس كانت ترتدي فستان من الصوف الناعم أحمر اللون كانت في قمة فتنتها وجمالها بدت له في تلك الصورة كأنها جنية من تلك التي يحكون عنها في الأساطير....

كان عمر شاردًا لا يشعر بما حوله من برودة في الجو عندما أتاه الصوت الذي ينتظره سري في أذنيه وفي روحه وفي دمه قائلاً:

_إزيك يا عمر....

التفت عمر بسرعة وهو لا يصدق أنها قد أتت أيمكن أن يكون هذا حلم.... اقترب منها فتراجعت إلى الخلف وهى تقول له مبتسمة:

_أنت نسيت القواعد.... عمر إحنا قلنا أربع خطوات بيني وبينك.. وقف عمر مكانه وهو يتأملها.... كانت بلقيس ترتدي تايير أسود قصير وقد ارتدت تحته بوتًا طويلًا أسود اللون أيضًا وقد بدا التناقض واضحًا بين بشرتها البيضاء وملابسها السوداء مما أعطاها سحرًا وجاذبية لا تقاوم شعر عمر بالغيرة الشديدة من ملابسها القصيرة وعندما رأته ينظر إلى ساقيها قالت له بجرأة:

_إيه يا عمر عجباك رجلي..

نظر إليها عمر بغضب حاول أن يداريه وهو يقول لها برجولة وكبرياء:

_أنا مش ببص على رجليكِ يا بلقيس.... أنا مش عاجبني إنك تلبسي قصير بالشكل ده.. رجليكِ كلها باينه....

ابتسمت له بلقيس بدلال وقالت له وقد أعجبتها غيرته عليها:

_أنت بتغير يا عمر..

وقبل أن يرد عليها قالت برقة شديدة:

_أنا جعانه...

ضحك عمر برجولة وقال لها:

_أنا ما بقيتش أعرف أكل إلا معاكِ.. بس أنا خايف أحسن تكوني مش بتحبي البامية..

ضحكت بلقيس ثم قالت له بدلال شديد:

_باموت فيها..

تحرك عمر بسرعة حتى يأتي بالطعام ثم وقف ونظر إليها فقالت له مبتسمة:

_ماتخفش مش هامشي.. مش قبل ما أكل البامية ثم ضحكت بشقاوة بالغة.. كانت بلقيس تأكل بشهية كبيرة كانت شهيتها تفتح شهيته للطعام فجلس يأكل هو الآخر بشهية مفتوحة وقد تذكر أنه لم يتذوق الطعام طيلة اليوم فشعر فجأة بجوع شديد.....

عندما انتهيا من طعامهما آخرجت بلقيس باكيت المناديل المعطرة الخاص بها من حقيبتها ثم أخذت تمسح يديها... فمد عمر يده هو الآخر وأخذ منديلًا أخذ يمسح به يده ... كان عمر يخشي أن يتركها ويصعد إلى الفيلا ليغسل يديه فيعود ولا يجدها لم يرد عمر أن يتركها ولا دقيقة واحدة.....

قال لها عمر وهو ينظر إليها لا يريد أن يرفع عينيه عنها:

_احكي لي يا بلقيس عملتي إيه النهارده...

قالت له وهي تنظر إليه بجدية:

_كنت في شارع المعز أنت رحت هناك قبل كده....

قال لها عمر مبتسمًا:

_طبعًا رحت هناك أنا مهندس معماري يا بلقيس يعني المناطق دي جزء من دراستي وشغلي بس أنا مستغرب إنك أنتِ ممكن تكون المناطق دي تعجبك ثم ضحك وأضاف :

_أنا أعتقد إنك ممكن تحبي شارع الشانزليزيه من شارع المعز...

قامت بلقيس من على كرسيها وأخذت تمشي بأنوثة ودلال وهي تقول له وعينيها متعلقة بالأفق البعيد:

_أنا عاشقة لشارع المعز ببواباته ومساجده الأثرية والأسبلة والقصور والزوايا وكل حته فيه...

سكتت بلقيس برهة ثم نظرت إلى عمر الذي كان ينظر إليها بإعجاب ثم قالت له بنظرة حالمة:

_أقول لك على حاجة يا عمر بس اوعي تقول إني مجنونة.....

ضحك عمر وقال لها:

_ماتخفيش مش هاقول إنك مجنونة...

قالت له وكأنها سوف تقص عليه سرًا:
_عارف بيت السحيمي .....
أومأ لها عمر برأسه وهو يقول لها:
_طبعًا عارف بيت السحيمي...
قالت له بصوت هامس وهي تنظر داخل عينيه:
_أنا كنت عايشه هناك...
لم يفهم عمر ما قالته له فقال لها مستفسرًا:
_يعني إيه كنتِ عايشه هناك..
قالت له بجدية وبنفس الصوت الهامس ومازالت عينها معلقة بعينيه:
_عمر أنا حاسة إني كنت عايشه في بيت السحيمي يمكن كنت جارية هناك أو كنت واحدة من بناته مش عارفه بالضبط....
اندهش عمر مما تقوله له بلقيس فابتسم لها وهو يقول:
_تقصدي إنك كان نفسك تعيشي في الزمن ده...
هزت بلقيس رأسها وهي تقول له مؤكده:
_أنا كنت عايشه في الزمن ده فعلًا....
زادت دهشة عمر ونظر إليها وقد خيل إليه لثواني وجه بلقيس الساحر وهي تنظر من تلك المشربية في هذا البيت تُسحر كل من يراها...
أكملت بلقيس كلامها لتزداد دهشة عمر قائلة:
_عمر أنا عندي ذكريات في كل حته في البيت ده الدور الأرضي حاسة إني كنت بامشي فيه وأطلع السلالم أدخل الأوضة اللي فوق وأبلبل إيدي في مية الفسقية وأبص في بير الميه وأشوف صورتي معكوسة على الساقية اللي في البيت من تحت حاسة إني شفتها قبل كده الشجرتين اللي في البيت زيتونة وسدره أنا عارفاهم كويس لأني كنت بقعد تحتهم....
سكتت بلقيس ثم نظرت إلى عمر فوجدته ينظر إليها مندهشًا لا يستوعب ما تقوله لا يدري إن كانت تمزح معه أم تتكلم بجدية وإن كانت نظراتها ونبرة صوتها تقول إنها تتحدث بمنتهي الجدية لم يعرف عمر ماذا يقول لها.... قالت له بلقيس:

_أنت مستغرب مش كده.. أكيد بتقول عليا مجنونة ...

ابتسم عمر وقال لها:

_الحقيقة أنا مستغرب.. بس يا بلقيس أحيانًا الإنسان لما بيكون معجب بمكان معين بيتوحد معاه وبيشعر بالأحاسيس اللي أنتِ بتحكي عنها دي....

قالت بلقيس لعمر:

_أنت بتحب الشارع ده يا عمر..

قال لها عمر مبتسمًا:

_الحقيقة يا بلقيس شارع المعز عصب مدينة القاهرة منذ نشأتها وهو فيه أكثر من ٢٩ أثر إسلامي ومنها اللي بيرجع للعصر الفاطمي ومنها اللي بيرجع للعصر الأيوبي والعصر المملوكي وبيضم كمان آثار عثمانية بترجع لعصر محمد علي أنا صحيح معجب بالشارع ده بس مش معنى كده إني حاسس إنى السحيمي نفسه ثم ضحك عمر ضحكة عالية..

قالت له بلقيس كأنها تعاتبه:

_أنت مش مصدقني ؟

قال لها عمر بدهشة:

_بلقيس أنتِ بتقولي كلام غريب يعني إيه كنتِ عايشة في الزمن ده الكلام ده مستحيل....

قالت له بلقيس:

_طيب أنا عايزه أشرب شاي....

ضحك عمر مرة أخرى ثم أشار إلى ترمس الشاي الموضوع على طرف المائدة البلاستيكية وهو يقول بمكر:

_مش كل مرة هتضحكي عليا وتسيبيني وتمشي.. ثم ذهب ليصب الشاي..

قال عمر لبلقيس في محاولة لاستدراجها حتى تحكي له عن نفسها:

_بلقيس أنا حكيت لك المرة اللي فاتت كل حاجة عني..

نظرت له مبتسمة وهي تقول:

_عايز تعرف عني إيه يا عمر..

قال لها:

_كل حاجة....

قالت له بلقيس وهي تجلس وتضع ساق فوق ساق:

_ماما وبابا ماتوا من ست سنين وماعنديش اخوات بس ليه أربع صديقات ثم قصت له بالتفصيل عن صديقاتها الأربع هايدي وهمسة وفرح وفريدة كل شيء عنهم أين يعملون أين يسكنون أعمارهم، أوصافهم وعندما انتهت من كلامها ضحك عمر وقال لها:

_الحقيقة أنتِ عاملة شلة غريبة توليفه عجيبة مافيش بينكم وبين بعض أي ترابط أو تشابه إزاي انتم أصحاب....

ضحكت بلقيس ثم قالت:

_أنا باحبهم وهما بيحبوني....

سكتت بلقيس لبعض ثواني ثم قالت لعمر:

_قولي يا عمر... أنت ليه ماتجوزتش لحد دلوقتي ؟

تفاجأ عمر بسؤالها فابتسم برقة وقال لها بعذوبة:

_بتسألي ليه يا بلقيس.... يهمك إنك تعرفي الجواب..

قالت له وكأن الجواب لا يعنيها أو يهمها في شيء:

_أنا بس شايفة إنك عندك كل حاجة تخليك زوج مثالي..

قال لها عمر بهمس وهو ينظر داخل عينيها :

_مش يمكن ماكنتش لاقي البنت اللي تسرق قلبي...

قالت له وهي تنظر بعينيه:

_وهي لازم تسرق قلبك عشان تتجوزها ...

قال لها عمر وهو ينظر بعينيها ولا يزال يهمس:

_أيوه يا بلقيس لازم تسرق قلبي عشان أتجوزها...

اقتربت بلقيس قليلًا من عمر ثم تراجعت بسرعة إلى الوراء وهي تقول له بنعومة:

_ريحتك حلوة.... البارفان بتاعك ده خطر..

ضحك عمر وهو ينظر إليها بمكر ويقول لها:

_خطر إزاي....

obeikandl.com

نظرت إليه بعينيها المتوحشتين وهي تقول له بصوت هامس يكاد يسمعه:

_يعني ... مش عارف إزاي...

تعلق عمر بعينيها لثواني.. لدقائق... لساعات لا يدري كم من الوقت قد مر عليه كأنها قد التهمته بعينيها تلك .... كأنه يسبح في بحر أمواجه عالية وهو لا يجيد السباحة به يوشك على الغرق بل هو يغرق بالفعل... لا يدري لما كلما نظرت إليه بتلك العينين وتلك النظرات فإنها تدمره .... أفاق عمر على صوتها الناعم تقول له:

_عمر ممكن شاي تاني....

قال لها عمر مبتسمًا وهو يذوب رقة:

_حاضر يا بلقيس من عينيا....

صب عمر لبلقيس كوبًا آخر من الشاي ثم صب لنفسه أيضًا وجلس بجوارها يحتسيان الشاي....

قال لها عمر بحنان:

_بلقيس أنتِ مش بردانة..

قالت له مبتسمة:

لا.. الحقيقة أنا حاسة إن الجو حلو اوعي تكون أنت بردان

قال لها عمر:

_لو حسيتي أي وقت إنك بردانة ممكن ندخل جوه .. سكت عمر ثواني ثم قال لها وهو يريد أن يعرف عنها المزيد:

أنتِ حكيتِ لي عن أصحابك بس أنا عايز أعرف عنك أنتِ كل حاجة

قالت له بدلال:

_اسأل وأنا أجاوب..

قال لها عمر:

_أنتِ مالكيش أقارب يا بلقيس..

قالت له بلا اكتراث:

_ماما كانت فرنساوية زي ما قلت لك قبل كده, يعني كل أقاربها في فرنسا باشوفهم بس على أوقات متباعدة لما بسافر.. أما أقارب بابا فأنا ليا عمين

obeikandl.com

وعمه.. عمي الكبير وعمتي شايفين من وجهة نظرهم إني أنا بنت قليلة الآدب وبابا ماعرفش يربيني وماما خواجايه بوظتني؛ مع إن ماما كانت شديدة جدًا في تربيتها أكثر من بابا بكثير والرولز بتاعتها مستحيل أكسرها لكن هو ده كان رأيهم فيا وفي ماما؛ أما عمي الصغير فهو حنين ولطيف جدًا وأنا بحبه هو ومراته لكن للآسف هاجر هو ومراته ومن فترة طويلة وكل ولاده اتولدوا هناك في استراليا بس إحنا بنتكلم مع بعض على طول والسنة اللي فاتت سافرت لهم شهر.. ثم ضحكت بلقيس وقالت:

_حاجة غريبة اللي بيحبوني مسافرين آخر الدنيا واللي بيكرهوني قاعدين في أرابيزي هنا في مصر....

قال لها عمر باهتمام وهو يريد أن يعرف عنها أكثر:

_أنتِ بتشتغلي يا بلقيس....

هزت بلقيس كتفيها وهي تقول:

_وليه اشتغل.....

ابتسم عمر وهو يقول لها:

_طيب بتقضي وقتك إزاي....

نهضت بلقيس من كرسيها وهي تقول:

إزاي يا عمر العصافير بتقضي وقتها....

قال لها عمر مندهشًا وقد نهض بدوره أيضًا:

_مش فاهم تقصدي إيه....

قالت له وقد استدارت ووقفت تواجهه وجهًا لوجه وهي تقول بثقة:

_أنا بكره القيود وبعشق الحرية مستحيل أتحمل إني أصحى كل يوم عشان أروح اشتغل في نفس المكان وأشوف نفس الناس وأروح البيت كل يوم في نفس الميعاد .. أنا بحب أعمل اللي أنا عايزاه في الوقت اللي أنا عايزاه...

قال لها عمر بنبرة تدل على قوة شخصيته:

_بس على فكرة يا بلقيس العصافير بتصحى كل يوم الفجر في نفس الميعاد وبترجع على أعشاشها في نفس الميعاد قبل غروب الشمس كل يوم... ربنا خلق الكون ماشي بنظام وترتيب ما ينفعش أبدًا نعمل اللي إحنا عايزينه في أي وقت

سواء كان تصرفنا ده مناسب في الوقت ده ولا لأ... ابتسم عمر لبلقيس ثم قال لها بثقة:

_يعني حتى العصافير عندها التزام وبتتحمل المسئولية....

صمتت بلقيس ولم تدري ما تقوله لعمر وقد شعرت بأنه يتحدث بمنطق قوي.. عندما طال سكوت بلقيس قال لها عمر وهو يتكلم بنبرات هادئة حتى يقنعها بما يقول:

_كل إنسان يا بلقيس لازم يكون عنده هدف في حياته عشان الحياة يبقى لها طعم ويكون لها معنى... وإلا هنعيش ونموت وإحنا على الهامش وجودنا في الحياة دي زي عدم وجودنا بالإضافة إلى أن الحياة هتكون بالنسبة لينا بدون هدف كأنها رحلة طويلة ومملة بننتظر نهايتها بفارغ الصبر... نظرت بلقيس إلى عمر نظرة طويلة كأنها تراه لأول مرة .. لقد وجدت نفسها أمام رجل مكتمل الرجولة ينضح بالثقة بالنفس والرؤية الواضحة للأمور يتمتع بقوة الشخصية ورجاحة العقل. أطالت النظر إليه لم يعد في نظرها مجرد هذا الرجل الذي ينظر إليها بلهفة وشوق وإعجاب؛ بل هو رجل بكل ما تحمله هذه الكلمة من صفات .... عندما رآها عمر تنظر إليه تلك النظرة الطويلة وهي صامته قال لها بنفس تلك النبرة الهادئة في صوته العميق:

_مش عاجبك كلامي يا بلقيس مش كده؟

ابتسمت بلقيس وقالت له:

_بالعكس يا عمر كلامك بيدل على إنك إنسان ناضج....

اقترب عمر من بلقيس فتراجعت بسرعة إلى الخلف وقالت له بجدية:

_لو سمحت يا عمر بلاش تقرب مني ...أنا قلت لك دايمًا في بيني وبينك أربع خطوات....

وقف عمر في مكانه ثم نظر إلى بلقيس وفي عينيه نظرة عتاب ممزوجة بشوق وقال لها برقة وصوت هامس كأنه لا يرغب في أن يسمعه أحد سواها:

_ليه.. ليه يا بلقيس..

نظرت إليه بلقيس وقالت له:

_ليه إيه يا عمر.. ليه الأربع خطوات..

هز عمر رأسه ببطء ورقة وقال وهو لا يزال يهمس قائلاً:
_ليه بتسيبيني وتمشي..
ابتسمت بلقيس وهي تقول لعمر بغموض:
_كل حاجة وليها نهاية....
نظر إليها عمر بدهشة وهو يقول:
_ليه بتهربي مني دايمًا في الإجابة..
ضحكت بلقيس ضحكة عالية استفزت عمر كثيرًا فجعلته يقترب منها وهو يمد يده إليها في محاولة للإمساك بها مما جعلها تتراجع بعنف إلى الخلف وهي تقول لعمر بصوت فزع وهي ترفع يديها:
_إيه يا عمر أنت عايز إيه ليه بتقرب مني بالشكل ده..
قال لها عمر وهو لا يزال يقترب منها وهي تتراجع إلى الخلف حتى التصقت بجزع نخلة خلفها:
_عايز ألمسك.. لازم أعرف أنتِ حقيقة ولا خيال.. عايشه ولا طيف.. صرخت بلقيس في وجه عمر بشدة:
_ماتقربش مني يا عمر لو سمحت أكتر من كده ..
توقف عمر في مكانه ثم نظر إليها بتحدي وهو يقول بصوت بدا فيه التصميم على ما يريد:
_ليه بقى..
نظرت إليه وهي تقول بتوسل أدهش عمر كثيرًا:
_من فضلك يا عمر أرجوك ابعد عني..
قال لها عمر وهو مندهشًا:
_في إيه يا بلقيس ليه خافيه مني بالشكل ده.. أنا مستحيل إني أأذيكِ.. مالك في إيه..
أغمضت بلقيس عينيها وانهمرت دموعها بشدة.. لم يحتمل عمر أن يراها تبكي فاقترب منها كثيرًا.. عندما شعرت به بلقيس واشتمت رائحة عطرة قريبًا منها كثيرًا فتحت عينيها بسرعة وقالت له بصوت ضعيف:
_أرجوك يا عمر ابعد عني من فضلك.. لو قربت مني أكثر من كده عمرك ما

هتشوفني تاني جاهد عمر نفسه كثيرًا حتى يبتعد عنها. كان يريد أن يحتضنها بشدة يريد أن يشعر بها بين يديه حتى يتأكد إن كانت بلقيس حقيقة هي على قيد الحياة أم طيف يداعب خياله..

تراجع عمر بعيدًا عنها ووقفت بلقيس في مكانها تنظر إليه بعتاب عندما دوى صوت شيء يكسر يأتي من داخل الفيلا انتفضت بلقيس فقال لها عمر وهو يطمئنها:

_ما تخافيش ممكن تكون كوبايه أو أي حاجة وقعت على الأرض...

قالت له بلقيس:

_ طيب أدخل شوف في إيه أحسن تكون داده فردوس حصل لها حاجة..

قلق عمر بشده على داده فردوس ومشى بخطوات سريعة حتى يدخل الفيلا ليرى ماذا حدث.. عندما دخل إلى المنزل وجد داده فردوس وهي تجمع زجاج كوب مكسور من على الأرض عندما شاهدته قالت له وهي مندهشة:

_أنت كنت لسه بره يا عمر..

قال لها مبتسمًا:

_الحقيقة أنا كنت في الجنينة يا داده أصل ماكنش جايلي نوم..

قالت له وقد أنهت جمع الزجاج:

_يا بني الدنيا برد عليك بره أحسن يجيلك برد ولا حاجة قال لها عمر وهو يريد الاطمئنان عليها حتى يعود إلى بلقيس سريعًا:

_داده أنتِ بخير إيه اللي حصل

قالت له تطمئنه:

_مافيش حاجة يا بني الكوبايه اتزحلقت من ايدي وأنا بشرب .. ما تقلقش يا حبيبي اطلع أنت نام.

قال لها وهو يخرج مسرعًا:

_حاضر يا داده.. بس شويه كده لما يجيلي نوم وبعدين أطلع على طول اندهشت فردوس كثيرًا لحال عمر ولكنها لم تعلق على كلامه ولم تضايقه بحصارها له بل تركته ينزل إلى الحديقة كما يحلو له وهي تفكر داخل نفسها وهي تدخل غرفتها لتنام لم يعد عمر صغيرًا بل هو رجل مكتمل الرجولة

فليفعل ما يريد وقتما يحلو له....

نزل عمر وقد نسى لطول المدة التي قضتها معه بلقيس وكثرة حديثها أنها قد ترحل.. خيل إليه أنها باقية معه إلى الأبد.. لم يجد بلقيس في مكانها الذي تركها فيه.

جن جنون عمر فأخذ يدور بالحديقة بعنف يبحث عن بلقيس ولكنها كانت قد اختفت مثل اليوم الذي قبله...

شعر عمر بمدى غبائه كيف لها أن تخدعه هكذا مرة أخرى كان يجب عليه ألا يتركها ويصعد إلى المنزل كان عمر متأكدًا أن هذا الصوت هو مجرد صوت كوب سقط لكنها جعلته بكلامها يقلق على مربيته التي تعلم جيدًا كم يحبها عمر.. أحس عمر بضيق شديد لم يكن يريد لبلقيس أن ترحل لم يكن يشبع من النظر إليها أو الحديث معها....

صعد عمر إلى غرفته وتمدد على فراشه ولكن حاله كان كحاله بالأمس لم يزر النوم عينيه بل أخذ يتقلب في فراشه حتى الساعة السابعة صباحًا.. نهض عمر من فراشه ليستقبل يومًا جديدًا....

obeikandl.com

الفصل السابع

استعد عمر اليوم للخروج من المنزل منذ الصباح الباكر وقد صمم على محاولة معرفة من هي بلقيس على وجه الدقة لن يتركها تلعب به بعد الآن لابد له أن يعرف هل هي ميتة حقًا منذ سنوات وما يراه منها ليس سوى طيف؛ ولكن كيف له أن يرى طيف إنسانة قد ماتت منذ سنوات وهو حتى لم يكن يعرفها أو قد رآها من قبل!!....

كان عمر يقود سيارته وقد قرر الذهاب لمقابلة صديقات بلقيس والتي حكت له عنهن بالتفصيل حتى بات يعرف كل شيء عنهن أعمارهن، أسمائهن، أين يسكنون، أين يعملون كتب عمر اسماءهن وعناوينهن في ورقة حتى لا ينسى شيء لم يكن عمر ينسى كلمة مما تقولها له بلقيس أبدًا كان يسجلها بذاكرته جيدًا....

قرَّر عمر الذهاب أولًا لمقابلة هايدي صديقة بلقيس المقربة والتي حكت له عنها كثيرًا لم يدري عمر أين يذهب لمقابلتها لقد عرف من بلقيس عنوان منزلها وعنوان عملها ولكنه قرر أن يذهب إلى عملها بعيدًا عن المنزل وما قد يسببه من إحراج لها أمام زوجها كانت هايدي مما علمه عنها من معلومات عن طريق بلقيس تعمل بالبنك المصري الأمريكي بحي الزمالك.. أوقف عمر سيارته تحت البنك وجلس بداخلها مترددًا لبعض الوقت لا يدري ماذا سوف يسأل هايدي عن بلقيس أتراها حقًا قد ماتت منذ ست سنوات؟ كما قال له عم مصطفى سوف تنظر إليه بالتأكيد على أنه شخص مجنون كما رأى في نظرات عم مصطفى جلس عمر مترددًا لبعض الوقت يفكر ويفكر فيما سوف يقوله لهايدي ثم قرر أخيرًا النزول من سيارته والتوجه إلى البنك بمجرد دخول عمر سأل عن مكتب هايدي فوصفوه له وعندما وصل إلى مكتبها طرق الباب برقة

وأدب عندما سمع صوتًا نسائيًا هادئًا يقول له من الداخل:

_اتفضل....

فتح عمر الباب برفق ودخل وهو يتساءل داخل نفسه كيف يبدأ مع هايدي الكلام كانت هايدي تشغل منصبًا مرموقًا داخل البنك بالرغم من صغر سنها فهي في التاسعة والعشرين من عمرها أي في عمر بلقيس ولكن يبدو أنها نشيطة وناجحة في عملها.. كان المكتب خاص بها لوحدها وبالرغم من صغر مساحته إلا أنه أنيق ومنظم.. ارتاح عمر كثيرًا عندما وجد أن هايدي تعمل لوحدها داخل هذا المكتب مما يعطيه الفرصة ليتكلم معها بعيدًا عن عيون ومسامع الفضولين.. عندما دخل عمر المكتب وقف أمام هايدي وحياها بأدب شديد قائلاً لها:

_مساء الخيريا فندم.... كانت هايدي خمرية البشرة شعرها بني وبه خصلات ملونة بلون ذهبي كانت ترتدي بدلة سوداء وتحتها قميص أبيض.. كان عمر مرتبك للغاية فبرغم قوة شخصيته وثقته في نفسه إلا أنه لا يدري ماذا يقول لها ابتسمت له هايدي مرحبة به قائله:

_أهلًا وسهلًا تحت أمر حضرتك ..

قال لها عمر:

_أنا آسف على الإزعاج.. بس الحقيقة أنا محتاج أكلم مع حضرتك .. قالت له هايدي وهي تشير إلى الكرسي الموضوع أمام مكتبها:

_طيب اتفضل حضرتك ارتاح...

جلس عمر وهو يفكر فيما سوف يقوله لها.... كانت هايدي تنظر إليه وهي منتظره أن يبدأ كلامه وعندما طال سكوته للحظات قالت له برقه:

_تحت أمرك .... اتفضل حضرتك قول الموضوع هو بخصوص إيه قرض من البنك رفع عمر عينيه إلى هايدي وقد بدا فيهما الحيرة الشديدة وهو يقول لها:

_أنا الحقيقة مش عارف ابتدي الموضوع إزاي ومنين..

ابتسمت هايدي وقالت له وقد بدا عليها الاندهاش:

_هو الموضوع صعب كده .. حضرتك ابتدي الموضوع بالطريقة اللي أنت

عايزها..
سكتت برهة ثم قالت له:
_هو الموضوع بخصوص إيه يا فندم..
نظر إليها عمر وقد قرر أن يسألها وليحدث ما يحدث قال لها كلمة واحدة:
_بلقيس.....
نظرت إليه هايدي وقد اتسعت عينيها من الدهشة ورفعت حاجباها وهي تقول له:
_مش فاهمة تقصد إيه...
قال لها عمر مرتبكًا:
_حضرتك تعرفي بلقيس ..
قالت له هايدي وقد بدا الحزن على وجهها :
_طبعًا كنت أعرفها.... كانت صحبتي الأنتيم ..
قال لها عمر وهو يريد أن يعرف المزيد ويستدرجها لكي تتحدث عن بلقيس:
_أنتِ ليه بتتكلمي عنها بصيغة الماضي..
نظرت إليه هايدي وهي مندهشة ثم قالت له:
_أنا مش فاهمة تقصد إيه..
قال لها عمر وقد قرر أن يحكي لها لكي يرى رد فعلها:
_بلقيس عربيتها اتعطلت عند بيتي على الطريق الصحراوي ولما جت تطلب مساعدة عشان الوقت كان بليل والتوكيل قفل و..... لم يكمل عمر كلامه لأن هايدي قاطعته قاله له بدهشة وعنف:
_أنا مش قادرة أستوعب أنت بتقول إيه مين اللي جت تطلب مساعدتك عشان عربيتها اتعطلت!؟
قال لها عمر وهو ينظر جيدًا إلى ملامحها وجهها حتى يقرأ ما به من تعبيرات يستطيع أن يصل عن طريقها إلى حقيقة بلقيس:
_بلقيس.. بلقيس هي اللي جت عندي البيت لما عربيتها اتعطلت ...
هزت هايدي رأسها ببطء ثم هزتها بعنف أكثر وكأنها تريد أن تفيق:
ثم قالت له وهي لا تزال تنظر إليه بدهشة وريبة:

_أنا مش فاهمة منك حاجة يعني إيه بلقيس جت عندك البيت لما عربيتها اتعطلت... جت إزاي يعني.. أنت بتكلم جد ولا جاي تهزر معايا ..

قال لها عمر بجدية شديد:

_يا فندم أنا والله باتكلم بجد...

قالت له وقد وقفت وهي تشير له نحو الباب:

_لو سمحت أنا عندي شغل ومش فاضية ...

قال لها عمر وهو لا يزال جالسًا:

_لو سمحتي يا مدام هايدي من فضلك اقعدي أنا هاخد من وقتك خمس دقايق بس وبعدين هامشي على طول..

ترددت هايدي وهي تنظر إليه بريبة و شك فقال لها عمر:

_على فكرة أنا مش مجنون.. أنا اسمي عمر عبد الوهاب وأنا أستاذ في كلية الهندسة جامعة القاهرة.... فيلتي في الكيلو ثمانين من طريق مصر إسكندرية الصحراوي من يومين الساعة حداشر بليل بلقيس جت الفيلا عندي وقالت إن عربيتها اتعطلت على الطريق, استضفتها عندي أنا على فكرة مش لوحدي عايشه معايا المربية بتاعتي وهي زي والدتي بالضبط والصبح بلقيس اختفت وسابت لي ورقة مكتوب عليها ..ثم قصَّ عليها عمر باقي ما حدث عند ذهابه إلى قصر بلقيس ومقابلته لعم مصطفى وما قاله له :

كانت هايدي تستمع إليه بدهشة وهي لا تزال واقفة في مكانها عندما قال لها عمر برجاء:

_أرجوكِ ممكن تقعدي بس خمس دقائق وبعدين هامشي على طول..

جلست هايدي وهي لا تستطيع أن تنطق بكلمة واحدة من شدة الدهشة ...

عندما قال لها عمر:

_بلقيس حكت لي عنك كثير كنتم مع بعض في الجامعة الأمريكية وعندك بنت اسمها ياسمين عندها ثلاث سنين وجوزك اسمه حاتم وعنده شركة استيراد وتصدير...

لم يكمل عمر كلامه لأن هايدي قاطعته قائلة له:

_أنت تعرف كل الحاجات دي عني منين ..

قال لها عمر مؤكدًا:

_بلقيس هي اللي حكت لي عنك..

هزت هايدي رأسها وهي تقول له:

_مستحيل.... بلقيس ماتت من ست سنين ولما ماتت أنا ماكنتش لسه اتجوزت ولا خلفت بنتي..

نظر إليها عمر بدهشة وهو يقول:

_بس هي اللي قالت لي كل المعلومات دي عنك.... يا مدام هايدي أنا معرفكيش طيب هاعرف كل الحاجات دي عنك إزاي من غير ما تكون بلقيس حكيت لي عنها

قالت له هايدي بخوف:

_بص بقى أنا أصلًا مش مرتحالك وشاكه فيك أنا مش عارفه أنت عايز مني إيه بالظبط ..

قال عمر وهو يهز رأسه بضيق:

_أنا عايز أعرف إيه حكاية بلقيس ..أنا خلاص قربت أتجنن مش عارف هي عايشه ولا ميتة..

نظرت إليه هايدي بدهشة وهي تقول له:

_أنت أكيد مجنون.. بلقيس ميته من ست سنين

وضع عمر رأسه بين يديه وظل صامتًا بضع دقائق ثم وقف وهو يقول لهايدي:

_أنا آسف على الإزعاج....

مشي عمر نحو الباب وعندما هَم بفتحه قالت له هايدي:

_حاتم كان زميلي أنا وبلقيس في الجامعة الأمريكية, وكان والده عنده شركة الاستيراد والتصدير اللي حاتم فعلًا ورثها بعد كده عنه, وياسمين بنتي عمر بلقيس ماشفتها لأني اتجوزت وخلفتها بعد بلقيس ما ماتت. بس بلقيس كانت عارفة إني لو جبت بنت هاسميها ياسمين؛ لأني بحب زهور الياسمين بجنون وباستعمالها في كل حاجة الصابون والبارفان عشان كده كنت مُصره من زمان إني لما اتجوز وأخلف بنت هاسميها ياسمين سكتت هايدي قليلًا وكانت لا تزال

واقفه خلف مكتبها أما عمر فكان يستمع إليها وهو واقف أمام الباب ويده على المقبض قالت هايدي لعمر وهي تشير إلى الكرسي:

_اتفضل اقعد .. أنا آسفة لو كنت اتكلمت معاك بطريقه مش ظريفة بس أنا معذورة الكلام اللي أنت بتقوله يا باشمهندس مستحيل حد يصدقه..

اقترب عمر وجلس على الكرسي مرة أخرى وهو يقول لها بمنتهى الجدية:

_بس يا مدام هايدي اللي أنا قلته لحضرتك حصل فعلًا بلقيس عربيتها اتعطلت عند بيتي واستضفناها يومها واتكلمت معانا أنا والناس اللي بتشتغل عندي وأكلت معايا وشربت شاي واتكلمنا في حاجات كتير...

كانت هايدي تنظر إلى عمر وهي مندهشة بشدة تهز رأسها غير مصدقة كلمة مما يقولها نظر إليها عمر وحاول أن يبتسم وهو يقول لها:

_أنا شايف في عينيك نظرات بتقول إني مجنون....

وضعت هايدي رأسها بين يديها وهي تقول لعمر:

_الحقيقة يا باشمهندس أنا مش عارفه أقولك إيه أنا آسفة طبعًا بس الكلام ده اللي أنت شفتها و اتكلمت معاها وأكلت وشربت معاك أنا لو مكنتش شايفاك قدامي في منتهى الاحترام والعقل وأستاذ في كلية الهندسة زي ما قلت كنت قلت إنك أكيد مجنون ولا شارب حاجة....

اعتدلت هايدي في جلستها وقالت لعمر وهي تنظر إليه بجديه:

_أنت عايز مني إيه يا باشمهندس ؟

قال لها عمر بسرعة:

_عم مصطفى بواب بيت بلقيس قال لي نفس كلامك إن بلقيس ماتت بس أنا مش قادر أصدق لأني بشوفها كل يوم وهي اللي حكيت لي عنك وعن بقيت صحباتها وعن أهلها عشان كده أنا عايز أعرف الحقيقة أنا خلاص قربت أتجنن....

هزت هايدي رأسها علامة التعجب ثم قالت له:

_الحقيقة إن بلقيس ماتت من ست سنين وأنا حزنت عليها جدًا ولحد دلوقتي كل ما أفتكرها بازعل عليها سكتت هايدي قليلاً ثم أكملت لعمر:

_بلقيس رغم كل عيوبها لكن مستحيل إنك تكرهها لازم تحبها رغمًا عنك..

ابتسمت هايدي ورجعت بظهرها حتى أسندته على ظهر كرسيها وقالت لعمر وهي تنظر نحو شباك مكتبها للخارج:

_بلقيس كان فيها كل العيوب اللي ممكن تتخيلها لكن كان فيها كمان كل الميزات اللي مش ممكن تتصور إنها موجوده في إنسانه واحدة.. أي شخص كان يعرفها كان لازم يحبها..

قال لها عمر بصوت متوتر:

_ممكن يا مدام هايدي تحكي لي عنها..

نظرت إليه هايدي وقالت له وهي لا تزال تبتسم كأنه قد ذكرها بشيء تحبه:

_أول مرة شفت فيها بلقيس كان في أول يوم لينا في المدرسة كنت خايفة وبعيط لما ماما سابتني ومشيت عشان مدرستنا الإنجليزية قالت لها كده... وقتها لاقيت بنت صغيرة في نفس عمري وجميلة جدًا ورقيقة جدًا قربت مني ومسكت إيدي وقالت لي: ماتخفيش ليه بتعيطي تيجي نبقى أصحاب.. أنا اسمي بلقيس وأنتِ اسمك إيه ضحكت هايدي وقالت لعمر:

_لقيت نفسي بكل بساطة بمسح دموعي وباقولها: اسمي هايدي ونسيت خوفي تمامًا ومن يومها بقيت أنا وبلقيس أصحاب.. عمرنا ما افترقنا أبدًا كنا مع بعض في المدرسة وفي الجامعة واكتشفت كمان وقتها إن إحنا في نادي واحد..

سكتت هايدي فقال لها عمر بلهفة وهو يريد أن يعرف المزيد عن بلقيس:

_كملي كلامك يا مدام هايدي ..

نظرت إليه هايدي وقالت له:

_أنت عايز تعرف عنها إيه بالظبط ؟

قال لها عمر:

_كل حاجة ...

ضحكت هايدي وقالت له:

_مستحيل تعرف كل حاجة عن بلقيس ..

نظر إليها عمر بدهشة وقال:

_تقصدي إيه..

قالت له هايدي بهدوء:

_يا باشمهندس عمر بلقيس طول عمرها حتى من وإحنا صغيرين وهي غامضة جدًا عمرك ما تقدر تفهمها ولا تقدر تتوقع تصرفاتها لأنها متناقضة جدًا يوم بتكون في منتهى القسوة والأنانية ويوم تاني بتكون عطوفة جدًا يوم بتكون في غاية الرقة والأدب واليوم التاني بتكون وقحة جدًا وما تقدرش تتحمل تصرفاتها؛ لكن بصراحة أنا كنت بحب بلقيس جدًا رغم كل التناقضات اللي موجوده فيها مش أنا بس لكن أي حد هايعرف بلقيس كويس لازم يحبها....

كان عمر يستمع إليها دون أن يقاطعها كان يحاول أن يعرف أي شيء عن بلقيس وعندما صمتت هايدي قال لها محاولًا أن يجعلها تكمل حديثها:

_بس يا مدام هايدي أنتِ برضه ماقولتيش حاجات كتير عن بلقيس أنا كان نفسي أعرف كل حاجة عنها....

نظرت إليه هايدي بدهشة وقالت له:

_طيب يا باشمهندس وإيه الفايده.. أقصد لو عرفت حاجات عن بلقيس أو ماعرفتش ده هايفيدك في إيه بلقيس خلاص مش موجودة أصلًا.. قال عمر لهايدي وقد أيقن أنه ليس هناك فائدة من محاولة إقناعها بأن بلقيس موجودة وبأنه يراها ويتحدث معها:

_معلش يا مدام هايدي اعتبريني مجنون واتحمليني شويه واحكي لي عنها يعني مثلًا في حد كان في حياتها أقصد كانت بتحب حد أو ارتبطت بحد ضحكت هايدي ثم نظرت إلى عمر وقالت له وهي تهز رأسها بهدوء:

_كتير....

اندهش عمر وقال لهايدي وقد أحس بغيرة شديدة وضيق أشد:

_تقصدي إيه...

قالت له وهي تبتسم :

_بلقيس كانت هوايتها تحطيم القلوب....

تغير وجه عمر وقال بصوت منفعل وهو يحاول أن يغير الموضوع الذي أثار غضبه بشدة:

_واضح إنك عايزه تقولي إن بلقيس كلها عيوب....

نظرت إليه هايدي بغضب وقالت:

_بالعكس بلقيس كانت ملاك....

اتسعت عيني عمر من الدهشة ونهض من كرسيه ثم قال لهايدي بانفعال:

أنتِ عايزه تجنني... أنا مش ناقص.. ملاك إزاي وأنتِ بتقولي إن هوايتها تحطيم القلوب.... استدار عمر وتوجه نحو الباب ومد يده لكي يفتحه وينصرف عندما سمع هايدي تقول له بهدوء شديد:

_يا باشمهندس بلقيس كانت ملاك فعلًا أنا هاحكي لك موقف عنها هاتعرف منه قد إيه هي قلبها كبير.. التفت عمر مرة أخرى ناحية هايدي ونظر إليها وهو صامت يستمع لما تقوله أكملت هايدي كلامها قائلة له:

_بلقيس كان عندها مربية اشتغلت عندهم لما كانت بلقيس عندها سنة تقريبًا كانت مع بلقيس على طول تأكلها وتحميها وتلعب معها ولما بلقيس كملت سبعتاشر سنة الست دي خبطتها عربية والحادثة دي سببت لها شلل ورغم إن الست دي كان عندها ولدين كبارومتجوزين إلا إن اللي كانت بتراعيها عارف مين يا باشمهندس .. بلقيس أصرت إنها تاخدها عندهم في البيت رغم إنها خلاص مابقيتش تقدر تشتغل.. عارف بلقيس كانت بتعمل إيه كل يوم الصبح تجهز لها الفطار وتوديهولها أوضتها وتأكلها بنفسها وبلقيس هي اللي كانت بتحميها بنفسها وتساعدها على دخول الحمام دمعت عيني هايدي وقالت لعمر:

_في حد ممكن يعمل كده .... عارف يا باشمهندس الكلام ده أنا عرفته من داده حليمه نفسها مش من بلقيس رغم إني أنا وبلقيس كنا أصحاب من زمان قوي زي ما قلت لك .... لكنها عمرها ما حكيت لي عن اللي هي بتعمله مع داده حليمه كانت بتحكي لي عنها في بعض الأوقات على إنها مربيتها وبس لحد ما فيوم كنت عند بلقيس في البيت بأزورها.. أنا كنت عارفة إن داده حليمة حصلت لها حادثة لكن ماكنتش أعرف إنها بعد الحادثة عايشه عند بلقيس في بيتهم لحد ما شوفتها هناك كانت بلقيس بتكلم مامتها وأنا حبيت أدخل البلكونة ولما قمت عديت من قدام الأوضة اللي فيها داده حليمه والباب كان مفتوح لاقيتها قاعدة على السرير استغربت جداً ودخلت أسلم عليها لأني عارفاها كويس وكنت دايمًا باشوفها لما أكون عند بلقيس في البيت أو نروح النادي كانت دايمًا بتيجي معاها لما سلمت عليها واستغربت إن هي موجوده حكيت لي عن بلقيس بكل

حب وإنها بتعمل لها كل حاجة بنفسها عارف يا باشمهندس بلقيس فضلت تخدم وتراعي داده حليمة بنفسها لحد ما داده حليمه ماتت ....

عندما وجدت هايدي أن عمر ينظر إليها وهو مندهش قالت له:

_بلقيس عمرك ما هاتقدر تفهمها إنما هاتقدر تحبها وبس!!....

كان عمر يقف أمام هايدي حائرًا لا يدري ماذا يقول لها لقد أتى إليها عله يعرف شيئًا منها عن بلقيس يزيل ما يراه من غموض حولها ولكنه يشعر الآن أن هذا الغموض قد زاد لا يدري من هي بلقيس على وجه الدقة أهي ملاك حنون كما وصفتها صديقتها أم هي شيطان يحطم القلوب ويلعب بها.... أهي على قيد الحياة كما يراها هو يأكل معها ويشرب ويبادلها الأحاديث وتسحره بعينيها وفتنتها وصوتها الناعم أم هي ميتة منذ ست سنوات كما يقول له كل من يعرفها!!....

غادر عمر مكتب هايدي وقد زادت حيرته لكنه صمم مع ذلك على أن يقابل باقي صديقات بلقيس ويتحدث معهن عنها .....

عله يجد عند إحداهن ما يزيل هذا الغموض ويكتشف عندها حقيقة بلقيس.....

الفصل الثامن

عندما نزل عمر من مكتب هايدي بعدما قضى معها أكثر من ساعتين في الحديث عن بلقيس يتخللهما رد هايدي على بعض المكالمات التليفونية الخاصة بعملها أو استئذانها من عمر بضع دقائق تقوم خلالهما بعمل معين ورغم شعور عمر بأنه يعطلها عن عملها وإحراجه من ذلك إلا أنه كان مُصرًا أن يعرف شيئًا عن بلقيس.. كانت بلقيس قد قلبت حياة عمر منذ أن رآها رأسًا على عقب إلا أنه كان يشعر بنشوة غريبة وإحساس رائع يتخلل كيانه كله كان يعيش مع بلقيس مغامرة عجيبة أخرجته من حياته الرتيبة والتي لم يكن بها سوى اهتمامه بعمله ومزرعته وداده فردوس... أحس عمر منذ رؤيته لبلقيس بأنه رجل محروم من الحب بل لم يعد يكفيه حنان وحب داده فردوس له لقد كان يريد دفء الأنثى في حياته....

كان عمر يقود سيارته متجهًا إلى الشركة السياحية التي تمتلكها همسة الصديقة الثانية لبلقيس كان يريد أن يتحدث معها هي الأخرى ربما يكون لديها شيء قد تقوله له خلاف ما قالته هايدي ويعرف منه المزيد عن بلقيس.... لم تكن بلقيس قد أعطت عمر عنوان شركة همسة بالتفصيل ولكنها فقط قالت له أثناء حديثها عن صديقاتها أن همسة صديقتها لديها شركة سياحية تسميها همسة لأنها معجبة بنفسها لم يبذل عمر جهدًا كبيرًا لكنه علم عنوان الشركة بالتفصيل وأرقام تليفوناتها عن طريق الانترنت.. كانت شركة همسة السياحية موجودة بحي الدقي.. كان عمر يتذكر ما قالته له بلقيس عن همسة وهو في طريقه إليها وأنها قد ورثت تلك الشركة من زوجها الثاني والذي كان يكبرها كثيراً في العمر وكانت تعمل لديه موظفة بشركته. أما زوجها الأول فقد تزوجته بعد قصة حب عنيفة بينهما منذ أن كانا معًا في الجامعة وقد أثمر زواجهما عن

ابنة؛ ولكن سرعان ما فتر الحب في قلب الزوج واكتشفت همسة خيانته لها فكرهت حبها له وضعفها أمامه وانقلبت شخصيتها وتغيرت تمامًا وأصبحت تعيش لنفسها فقط .. كانت همسة تعمل في تلك الشركة السياحية منذ فترة وتعلم جيدًا أن صاحبها أرمل منذ عدة سنوات, ومن ثم أحكمت شباكها حوله وجعلته يقع في حبها, ثم سرعان ما تزوجها وأنجبت منه ولدًا كان لزوجها ابنة من زوجته الأولى ضعيفة الشخصية؛ لذا سيطرت همسة عليها تمامًا وعلى الشركة وعلى كل ثروة الزوج بحكم أنها لديها ولد منه.

كانت همسة تحسن معاملة ابنة زوجها لم تكن تسيء معاملتها أبدًا؛ بل كانت تؤكد لها دائمًا بأنها أخت لأبنها؛ حتى إنها عند زواجها كانت تقوم بترتيبات حفلة الزفاف بنفسها وتصرف ببزخ كأنها ابنتها تمامًا حتى أن الفتاة كانت في بعض الأحيان تنسى أن تلك المرأة هي زوجة أبيها وتشعر معها بأنها أمها تمامًا ..

كانت همسة طيبة القلب إلى حد كبير وبها نقاء بالنفس لم تكن تحمل ضغينة أو حقد لأحد سوى زوجها الأول والذي طعنها بعمق في كبريائها وأنوثتها وحبها الجارف له. أبدًا لم تنس مع طول السنين هذا الجرح رغم زواجها الثاني ورغم زواجها الثالث أيضًا من طبيب مطلق وإنجابها منه ولد آخر؛ إلا أنها لم تنس جرحها الأول.... كان عيب همسة الوحيد أنها تهوى السيطرة على كل الأمور وحدها والإمساك بمقاليدها بين يديها هي فقط, وكان هذا ما يضايق ابنها من زوجها الثاني بحكم أن أبوه قد ترك له ثروة كبيرة؛ ولكن أمه هي من تسيطر عليها حتى أكمل عامه الحادي والعشرين وأصبح من حقه قانونًا أن يتسلم ثروته بين يديه؛ عندها بدأت المشاكل بينه وبين أمه فهي تتهمه بأنه لا زال صغيرًا وطائشًا لا يتحمل المسئولية حتى تسلمه ثروته وهويتهمها بأنها أنانية ومتصابية ولا يهمها إلا نفسها, وعندما تزوجت للمرة الثالثة من هذا الطبيب وضربت باعتراض ابنها وابنتها من زوجها الأول عرض الحائط وزادت المشاكل بينها وبين ابنها لم يقف في صفها ويدافع عنها إلا ابنة زوجها الثاني والتي كانت تحبها كثيرًا, وكانت همسة هي الأخرى تحبها وتقربها منها كثيرًا وتعتبرها كصديقة لها تحكي لها كل شيء أكثر من ابنتها الحقيقية من زوجها الأول والتي كانت كلما نظرت في وجهها تذكرت أبوها وما فعله بها وكانت تلك الأبنة بدورها تشعر بما

يختلج في قلب أمها فتبتعد عنها أكثر ويزداد النفور بينهما....

كانت همسة تتسم بقوة الشخصية والثقة بالنفس والإصرار على ما تريد حتى أنها عند وفاة زوجها الثاني وتوليها إدارة تلك الشركة السياحية قامت بتغيير اسمها القديم واسمتها على اسمها رغم اعتراض الكثير من المحيطين بها وقولهم لها بأن هذا يمكنه أن يؤثر على الاسم التجاري للشركة؛ ولكن اتقان همسة لعملها في مجال النشاط السياحي جعل العمل في الشركة يزدهر أكثر رغم تغيير اسمها....

كان عمر يتذكر كل ما قالته له بلقيس عن همسة وعن حياتها وهو في طريقه إليها أوقف عمر سيارته تحت الشركة ثم ظل مترددًا لبضع دقائق ومن ثم عقد العزم على أن ينهي ما جاء من أجله.. اجتاز عمر الباب الرئيسي كانت الشركة كبيرة مما يدل على عراقتها واسمها القديم والكبير في مجال الأنشطة السياحية وليست مجرد مكتب سياحي صغير.. سأل عمر موظفة الاستقبال قائلاً:

_مساء الخير.. يا ترى مدام همسة موجودة..

قالت له الموظفة بأدب زائد قد تعودوا عليه في مجال عملهم:

_أقول لها مين يا فندم....

أخرج عمر الكارت الشخصي الخاص به وأعطاه لها أخذته منه ثم غابت في إحدى المكاتب بضع دقائق عادت بعدها وهي تقول له وتشير إلى إحدى الغرف:

_اتفضل حضرتك من هنا..

دخل عمر المكتب الذي أشارت إليه فوجد فتاة تجلس على مكتب خاص بها ويبدو أنها السكرتيرة الخاصة بهمسة... بمجرد أن رأته قامت وهي تمسك بإحدى يديها الكارت الخاص به وتقول له وهي تشير إلى إحدى المقاعد:

_اتفضل حضرتك هادي مدام همسة خبر حالًا....

دخلت الفتاة ومن ثم خرجت سريعًا وهي تقول له:

_اتفضل يا فندم ...

دخل عمر إلى مكتب همسة وهو في غاية التوتر لقد كان مكتب هايدي صغيرًا مما أعطاه بعض الخصوصية في الحديث أما هذا المكتب فهو كبير ويزيد من توتره أفاق عمر من شروده على صوت نسائي به بحة وخشونة مما

يدل على أن صاحبته تدخن بشراهة قائلة له:

_أهلًا وسهلًا اتفضل يا فندم تحت أمر حضرتك..

جلس عمر على إحدى المقاعد الجلدية الكبيرة والضخمة الموضوعة أمام المكتب الذي تجلس عليه همسة.. تأمل عمر همسة لبضع ثواني فوجدها كما وصفتها له بلقيس تمامًا رغم أنها قد تعدت الخمسين من عمرها و تجاوزتها ببضع سنوات إلا أنها لا تزال تتشبث بأذيال الشباب في ملابسها وماكياجها وتسريحة شعرها. كانت همسة تجلس خلف المكتب فلم ير عمر من ملابسها إلا نصفها العلوي. كانت ترتدي بلوزة برتقالية اللون في أفقع درجات هذا اللون و قرط في أذنيها طويل به فص من نفس لون البلوزة وفي يديها اليمنى أسوره محلاه بفصوص من نفس اللون وكذلك خاتم في إصبعها بفص كبير بنفس اللون أما يدها اليسرى فكان بها ساعة يد استيكها من نفس اللون البرتقالي كان شعر همسة مصبوغ باللون الأشقر الفاتح وكان معقوص في شنيوه أنيق خلف رأسها .كانت همسة في مجملها سيدة أنيقة وإن كانت أناقتها لا تليق بعض الشيء بعمرها.. سألت همسة عمر مرة أخرى عندما وجدته صامتًا لا يتكلم قائلة له:

_تحت أمر حضرتك....

نظر إليها عمر في توتر بالغ ثم قال لها وهو يحاول الابتسام فخرجت ابتسامته خجولة:

_الحقيقة يا مدام همسة أنا محرج جدًا لأن الموضوع اللي عايز أتكلم مع حضرتك فيه أنا عارف مسبقًا رد فعلك عليه أكيد هايكون زي رد فعل مدام هايدي.. رفعت همسة حاجبيها وهي تقول له بدهشة:

_أنت تعرف هايدي.... طيب اتفضل حضرتك فاهمني إيه الموضوع.. أنت جاي من طرفها يعني أنت عايز تشتغل عندنا....

ابتسم عمر للاحتمال الذي تفكر به همسة وقال لها:

_لأ يا فندم أنا أستاذ في كلية الهندسة واسمي عمر عبد الوهاب .. والكارت بتاعي قدام حضرتك ...

نظرت إليه همسة بخجل وقالت له وقد أمسكت الكارت تنظر به :

_أنا آسفة خالص .. ثم ابتسمت وأكملت كلامها قائلة:
_طيب يا باشمهندس إيه الموضوع اللي حضرتك عايز تتكلم معايا فيه هو يخص هايدي....
نظر إليها عمر بتفحص وهو يحاول أن يقرأ جيدًا من ملامح وجهها وقع كلامه عليها وهو يقول لها بهدوء:
_لأ الموضوع ما يخصش هايدي .. إنما يخص بلقيس....
اتسعت عيني همسة من الدهشة ولم ترد عليه ولكنها جلست تنظر إليه وهي صامته ثم قالت له أخيرًا:
_أنا مش فاهمة حاجة أنت قصدك بلقيس مين ؟
نظر إليها عمر وهو مازال يحاول أن يفهم شيئًا من تعبيرات وجهها وقال لها:
_أنتِ تعرفي أكتر من واحدة اسمها بلقيس اعتقد الاسم ده نادر شويه ...
ابتسمت همسة وهي تهز رأسها باستغراب وتقول له:
_أنت معاك حق عشان كده أنا مندهشة جدًا لأني طول عمري ماكنتش أعرف إلا واحدة بس اسمها بلقيس....
هز عمر رأسه علامة الإيجاب وقال لها بنفس الهدوء:
_هي دي اللي أنا أقصدها....
قالت همسة بجدية:
_أنا مش فاهمة الموضوع يخصها إزاي يعني...
قال عمر وهو يعتدل في جلسته:
_أنا يا مدام همسة كنت عايز أكلم معاك شوية بخصوص بلقيس..
لأنها غامضة جدًا في تصرفاتها وكل ما أشوفها بت....
لم يكمل عمر كلامه لأن همسة قاطعته قائلة له بخشونة وهي ترفع يديها علامة الاعتراض:
_كل ما بتشوفها.. هو حضرتك جاي تهزر معايا ولا إيه ..
قال لها عمر بجدية:
_والله يا فندم أنا مش جاي أهزر ولا حاجة ...
قالت له همسة بعنف:

_يبقى أنت أكيد مجنون ..
قال عمر بصوت منفعل بعض الشيء:
لأ .. أنا مش مجنون أنا عايز أعرف الحقيقة..
قالت همسة وهي تهز رأسها يمينًا وشمالًا بصبر نافذ:
_حقيقة إيه..
قال لها عمر:
_بلقيس..
صرخت فيه همسة:
بلقيس ماتت.... أنت مش عارف ولا إيه..
قال لها عمر وهو حائر:
_ماتت إزاي وهي بتتكلم معايا وبشوفها..
قالت له همسة بنبرة استهزاء أثارت غضب عمر:
_بتشوف مين يا مجنون ...
انفعل عمر وقال لها وهو يقف بغضب:
_ياريت تتكلمي معايا بشكل وأسلوب أحسن من كده ...
ثم استدار لكي ينصرف عندما سمع صوت همسة تقول له بأدب وخجل:
_أنا آسفة.... أنا آسفة خالص يا باشمهندس أنا مش قصدي أتكلم مع حضرتك بأسلوب مش مهذب بس أعذرني الكلام اللي أنت بتقوله ده يجنن أي حد.. سكتت همسة بضع ثواني ثم قالت له وهي تشير إلى الكرسي:
_اتفضل ارتاح يا باشمهندس لو سمحت.. تردد عمر قليلاً وهو يفكر أيجلس مرة أخرى أم يترك هذا المكتب وتلك المرأة ويمضي وأخيرًا قرر أن يجلس مرة أخرى ويتحدث معها عن بلقيس علها تحكي له أشياء عنها تزيل كل هذا الغموض....
جلس عمر وهو في أشد الحيرة لا يدري بماذا يبدأ حديثه عن بلقيس مع تلك المرأة الخشنة والتي هي أشبه بصرخة وليست بهمسة كما وصفتها بلقيس تمامًا لقد أحس عمر ببعض الراحة أثناء حديثه مع هايدي نظرًا لشخصيتها الهادئة المتزنة أما تلك المرأة الجالسة أمامه فهي توتره بشدة بسبب عصبيتها

obeikandl.com

الشديدة والتي تبدو واضحة في صوتها العالي وتدخينها بشراهة فهي خلال تلك الفترة القصيرة التي قضاها معها عمر قامت بتدخين سيجارتين....

كان عمر يجلس صامتًا شاردًا يفكر بماذا يبدأ حديثه مع همسة مرة أخرى عندما وجدته همسة شاردًا قالت له بأدب وابتسامة مرسومة بدقة على وجهها:

_تحب حضرتك تشرب قهوة ولا عصير...

قال لها عمر باقتضاب وهو لا يزال مشدود الأعصاب:

لا يا فندم شكرًا أنا مش هاخد من وقت حضرتك كتير..

رفعت همسة سماعة التليفون الموضوع بجوارها والخاص باتصالها بالعاملين داخل شركتها وطلبت قدحان من النسكافية باللبن ثم قالت لعمر وهي تضع السماعة في محاولة لتلطيف الجو بينها وبين عمر وإزالة التوتر الذي حدث:

_أنا طلبت نسكافيه أصل الحقيقة حسن بتاع البوفيه عندنا بيعمله كويس جدًا تحب أطلب لحضرتك كرواسو معاه..

ابتسم عمر وقد أحس بأنها تحاول أن تتلطف معه حتى تزيل الفظاظة التي كلمته بها فقال لها:

لأ يا فندم شكرًا.... الحقيقة أنا هادخل في الموضوع مع حضرتك على طول عشان مافيش داعي أعطلك عن الشغل أكتر من كده سكت عمر لحظات ليستجمع أفكاره ثم قال لها:

_الحقيقة يا فندم من حوالي كام يوم حوالي الساعة حداشر بليل.....بدأ عمر يقص على همسة باختصار شديد ما حدث من قدوم بلقيس إلى منزله وتعطل سيارتها كان يحكي لها فقط بعض الأشياء التي يريد أن يثبت بها لهمسة أنه قد رأى بلقيس وتحدث معها ويختصر الكثير من الأشياء التي يشعر أنها تخصه هو وبلقيس فقط.. عندما انتهي عمر من حديثه كانت همسة تنظر إليه وهي لا تستطيع أن تتحدث وكأن كلامه قد عقد لسانها من الدهشة فهي لا تقوى على النطق هزت رأسها وكأنها لا تستوعب أو تفهم ما يقوله لها عمر ثم مدت يدها إلى كوب النسكافيه الخاص بها والذي كان عامل البوفيه قد أتى

بهما منذ بضع دقائق ثم رشفت منه ببطء وقالت لعمر وهي تشير إلى الكوب الموضوع أمامه وكأنها تحاول أن تتجاهل ما كان يحكيه لها أو ربما لا تصدقه وقد شعرت أن هذا الرجل الجالس أمامها هو بالتأكيد مجنون:

_اتفضل اشرب النسكافية أحسن يبرد....

كان عمر ينظر إليها يحاول أن يقرأ وقع كلامه عليها من ملامح وجهها ولكنه لم يستدل على شيء فعاد يقول لها:

_هو حضرتك مش مصدقاني ولا إيه....

ردت عليه همسة بسرعة:

_طبعًا أكيد مش مصدقاك.. الحقيقة يا باشمهندس أنت مش عارف أنت بتقول إيه بالظبط... أنت عايز تفهمني إن صاحبتي بلقيس اللي ماتت وشبعت موت من ست سنين جت لك واتكلمت معاك وأنت شوفتها وأكلت وشربت معاها كمان ثم ابتسمت همسة في سخرية وهي تقول:

_الحقيقة أنا ماكنتش أعرف إن اللي بيموت بيرجع يصحى تاني لا وكمان ياكل ويشرب ويتكلم ويركب عربية أنا مش فاهمة أنت يعني جاي عايز تجنني.... يا باشمهندس الكلام اللي أنت بتقوله ده مافيش حد عاقل ها يصدقه كان عمر يستمع إليها وهو لا يدري كيف يستطيع أن يقنعها بأن ما قد قصه عليها قد حدث في الواقع.. وأخيرًا قرر عمر بأنه لن يحاول أن يقنعها بشيء بل سوف يجعلها تحكي له فقط عن بلقيس علّه يعرف من كلامها عنها شيء فقال لها بجدية:

_طيب يا مدام همسة مدام حضرتك مش قادره تصدقيني خلاص اعتبريني مجنون أو حصلت لي ظاهرة غريبة من الظواهر اللي بتحصل ومالهاش تفسير أنا كل اللي طلبه منك إنك تحكي لي عنها شويه..

قالت له همسة بدهشة وبنبرة شعر معها عمر بأنها تريد أن تتخلص منه بسرعة حتى لا يصيبها هي الأخرى بالجنون بعد أن تيقنت بأنه مجنون:

_أنت عايزني أحكي لك إيه بالضبط....

قال لها عمر باهتمام:

_ياريت تحكي لي كل حاجة عنها....

ضحكت همسة بصوت عالي ضحكة رنانة ثم قالت له:

_واضح إنك ما تعرفش بلقيس.... أنت عايزني أحكي لك كل حاجة عنها دلوقتي إحنا بقى عايزين سنين طويلة نحكي عنها.... مش هاينفع أحكي لك كل حاجة عنها حدد لي حاجة أكلمك عنها....

قال لها عمر:

_أنا مش عارف أسألك عن إيه بالضبط أنا كان نفسي أعرف كل حاجة عنها.... نظرت إليه همسة نظرة طويلة ثم قالت له:

_شوف يا باشمهندس بلقيس دي عامله زي الدنيا تحبها قوي وتكرها جدًا....

بتديك لأقصى درجة حب ومشاعر ومساعدة وفلوس وحنان لكنها بتاخذ منك كل حاجة عندك في نفس الوقت وبمنتهى القسوة...

اندهش عمر بشدة لكلامها الغريب عن بلقيس وقال لها:

_واضح إنك ماكنتيش بتحبيها....

ردت عليه همسة على الفور وبدهشة أكبر من دهشته:

_بالعكس يا باشمهندس أنا كنت بحب بلقيس جدًا جدًا.... شوف اللي يعرف بلقيس ما يقدرش أبدًا يكرها بالعكس لازم يحبها ويحبها قوي كمان، أنت فهمتني غلط أنا كنت بحاول أوصف لك بلقيس...

عاد عمر يسأل همسة مرة أخرى قائلاً:

_أنا مش فاهم يا مدام همسة يعني بلقيس إنسانه كويسة ولا لأ كلامك عنها غريب ابتسمت همسة وقالت له:

_بلقيس ملاك ماشي على الأرض لكن في نفس الوقت دوامة خطيرة جدًا ممكن تغرق فيها وبسرعة لو مكنتش واخد حذرك منها كويس ومنتبه تمامًا لخطواتك وتحركاتك معاها....

لم يفهم عمر ما تقوله له همسة عن بلقيس فجلس ينظر إليها مندهشًا أما هي فقد ابتسمت ابتسامة غامضة ومدت يدها إلى علبة سجائرها فأشعلت سيجارة, ثم جلست تنفث دخانها بهدوء وهي تكمل له كلامها عن بلقيس قائلة:

_اتعرفت على بلقيس في باريس كانت هي وقتها عندها تمنتاشر سنة وأنا

كان عندي ثمانية وثلاثين, يعني كانت قد بنتي تقريبًا كانت هناك مع مامتها لأن مامتها كانت فرنساوية وكانت بتزور أهلها، وقتها عاجبني فستان في محل هناك وكانت بلقيس في نفس المحل وبرضه كان عاجبها نفس الفستان وكان آخرواحد .. ضحكت همسة وهي تتذكر تفاصيل هذا اليوم وتحكيه لعمر قائله:

_كانت بلقيس بتتخانق معايا بالفرنساوي والحقيقة أنا افتكرتها فرنساوية ملامحها الجميلة وطريقة لبسها ولكنتها زي لكنة الفرنساوين بالظبط طبعًا لأن مامتها فرنساوية ، أنا باتكلم فرنساوي كويس بس مش زي بلقيس أبدًا...

المهم أنا استغربت لما لاقتها مُصره تشتري الفستان بالشكل ده سيبته ومشيت وبعد حوالي ساعتين لاقيت باب الأوضة بتاعتي في الفندق بيخبط ولما فتحت لاقيتها بلقيس ابتسمت لي بمنتهى الرقة والأدب وقالت لي بالعربي:

_تسمحي لي أدخل... بصراحة أنا استغربت جدًا لأنها كانت مختلفة خالص عن البنت الفرنساوية الشرسة اللي كانت في المحل قدمت لي شنطة فتحتها لاقيت فيها الفستان وأصرت بشده إني أخده ومن يومها بقيت أنا وهي أصحاب لحد اليوم المشئوم ده .. بس عارف يا باشمهندس أنا لحد دلوقتي ماعرفتش إزاي بلقيس عرفت مكاني في الفندق وكل ما كنت أسألها تضحك وتقول لي بشقاوه:

_مش هاقولك.. مش هاريحك يا همسة.... ضحكت همسة وقالت:

_ماكانش في بنت في جمال وشقاوة بلقيس, أنا لما كنت باشوفها كنت باحس إني قدام طفلة بريئة رغم إنها كانت شابة مكتملة الأنوثة وفيها جرأة ووقاحة.... نظرت همسة إلى عمروقالت له وهي ترى نظراته المندهشة إليها:

_أنت مستغرب ليه يا باشمهندس أنت لو كنت عرفت بلقيس كنت عرفت إن فيها كل المتناقضات اللي ممكن تتخيلها الفستان اللي اتخانقت معايا عليه هو نفسه اللي ادتهولي هديه وعزمتني كمان يومها على الغداء. كانت حافظه باريس كويس قضينا اليوم كله مع بعض عارف ماخلتنيش دفعت مليم يومها عشان كده حسيت إنها كريمة جدًا؛ لكن استغربت جدًا لما لقيتها رفضت تخليني أحط لواحد من المتسولين اللي بيضربوا موسيقى مبلغ بسيط في البرنيطة بتاعته وقالت لي:

_المفروض يروح يعمل حاجة مفيدة مش مفروض إننا نشجع المتسولين....
قال لها عمر:
_طيب يا مدام همسة ده يعتبر مبدأ كويس في الحياة إحنا فعلاً مفروض مانشجعش المتسولين....
قالت له همسة مؤكده:
_أيوه أنا عارفه بس أنا استغربت لأن بنت صغيره في السن ده وعندها مبادئ قوية بتدافع عنها وكمان بتفرضها وبتقنع بيها غيرها.
سكتت همسة بضع دقائق تلتقط أنفاسها واحترم عمر صمتها ثم أكملت قائلة:
_لما رجعنا مصر بعد حوالي ثلاث أيام اتصلت برقم بلقيس اللي كانت ادتهولي وإحنا في باريس الحقيقة كانت وحشاني وكنت عايزه أشوفها ضحكت همسة وقالت:
_بلقيس يا باشمهندس فيها سحر غريب كده يخليك عايز تشوفها على طول اتصلت بيها ثلاث مرات ماكنتش بترد عليا وفي المرة الرابعة ردت وسلمت عليا ببرود ولما قلت لها إني عايزه أشوفها ونخرج مع بعض ردت عليه بوقاحه غريبة خلتني أزعل منها عارف قالت لي إيه:
_طيب أنا الأيام دي مش فاضيه هبقى أشوف وقتي واتصل بيكي يالا باي وراحت قافلة الموبايل .. ضحكت همسة مرة أخرى بصوت عالي وهي تكمل لعمر:
_عارف إيه اللي حصل بعد كده مش هاتصدق لقيت الموبايل بيرن بعد حوالي نص ساعة وكانت بلقيس هي اللي بتتكلم كنت متغاظة منها قلت لنفسي هارد عليها وأهزقها وبعدين أقفل في وشها وأول ما رديت لقيت صوتها بيقول بمرح:
_ألو أزيك يا هموسه ياله انزلي أنا واقفه مستنياكِ تحت العمارة عربيتي لونها أحمر..
خرجت للبلكونة وبصيت لقيتها واقفه جنب عربيتها وبتضحك وتشاور استغربت هي عرفت عنوان بيتي منين وبعدين افتكرت إن أنا قلت لها عليه في

باريس.... هزت همسة رأسها وهي تضحك وتقول:
_مجنونة.... بلقيس كانت مجنونة بس أنا كنت بأموت في جنانها..
بعد كده إتعودت إني مازعلش منها أبدًا مهما عملت...
شردت همسة وهي تقول لعمر:
_أنا حبيت بلقيس جدًا بس عمري ما قدرت أفهمها... فيوم كنا خارجين مع بعض وإحنا ماشين دخلت شارع وركنت العربية قدام فيلا وقالت لي:
_دقيقة واحدة يا همسة أنا مش هاتأخر عليكِ... ونزلت فتحت شنطة العربية وأخدت منها أكياس ودخلت وبدافع الفضول نزلت من العربية أشوف إيه الفيلا دي لقيت مكتوب عليها إنها ملجأ للأطفال الأيتام وأنا راجعه للعربية لمحت بلقيس وهي في جنينه الملجأ بتوزع الشنط اللي خدتها من عربيتها والأطفال حوالها بيبوسوها ويسلموا عليها كان واضح إنهم يعرفوها كويس وهي خارجه قابلت ست كبيرة في السن رحبت بيها وسلمت عليها فتحت بلقيس شنطة ايدها واديتها ظرف أبيض كان واضح إن فيه فلوس؛ لأن الست شكرتها بشدة ولما جت بلقيس وإحنا ماشين سألتها:
_هو ده ملجأ أيتام...
ردت باقتضاب وكأنها مش عايزه تتكلم في الموضوع وقالت لي:
_أيوه .... تحبي نتغدى فين أنا هاعزمك في رستوران جديد اكتشفته إمبارح بس
ابتسمت همسة وقالت لعمر:
_في نفس اليوم ده وإحنا راجعين بعد ما اتغدينا وقفنا في إشارة مرور جه ولد وفي ايده فوطه يمسح العربية عارف كان رد فعل بلقيس إيه.... بهدلته وقالت له:
_ابعد اديك القذرة دي والفوطة المقرفة دي من على العربية بتاعتي...
ولما قلت لها :
_ليه كده يا بلقيس ايديله جنيه وخلاص ..
قالت لي بتعجرف وقسوة:
_مش هاديله ولا مليم أنا مش بحب الناس القذرة دي عارفه الفلوس

هايشم بيها هيروين الأشكال دي كلها مدمنة....

سكتت همسة لحظات ثم قالت لعمر:

_أنا ماقدرتش أنسى بلقيس رغم إنها ماتت من ست سنين لكن أنا حاسه إن هي لسه عايشه معانا وبافتكرها في كل لحظة وكل موقف؛ لأن أي إنسان هايعرف بلقيس مش ممكن أبدًا هايقدر ينساها....

نزل عمر من مكتب همسة بعد أن شكرها وركب سيارته وقد قرر أن يعود إلى منزله بعد أن شعر بإرهاق نفسي شديد لا يدري إن كان ما يراه حقيقة أم خيال كل من يعرف بلقيس يؤكد له إنها قد ماتت منذ ست سنوات من هي إذًا تلك الساحرة التي تظهر له كل ليلة؟ أيكون قد جُنّ وذهب عقله؟؛ ولكن فردوس ومحسن فإنهم يرونها معه أيضًا ويتحدثون معها....

كان عمر يشعر بأنه قد أصبح على حافة الجنون لا يدري ما الذي يحدث له....

كان عمر يريد أن يقابل باقي صديقات بلقيس ولكنه أجل مقابلته لهن إلى وقت لاحق لأنه لم يعد يقوى على سماع المزيد اليوم فكل ما قد سمعه من هايدي وهمسة قد زاد من حيرته فهم يؤكدون له بأنها قد ماتت وهو متأكد بأنها لا تزال على قيد الحياة وهم يقولون له بأنها ملاك وشيطان في آن واحد وهو لا يدري من هي بلقيس على وجه التحديد لا يفهمها ولا يقوى على إبعادها عن تفكيره....

عندما وصل عمر إلى منزله صعد سريعًا إلى غرفته فهو لم يعد يحتمل أن يتحدث إليه أحد حتى أنه لم يلقي التحية على فردوس رغم أنه قد رآها تقف بالمطبخ لكنه كان يشعر أن رأسه يكاد ينفجر؛ لذلك عندما صعد إلى غرفته ألقى بنفسه على فراشه وراح في نوم عميق لم يكن نوم عمر بسبب شدة تعبه فقط ولكنه كان نوع من الهروب مما يحدث له ولا يستطيع أن يفهمه....

صعدت داده فردوس إلى غرفة عمر للاطمئنان عليه عندما لمحته يصعد السلم وعندما طرقت الباب ولم يرد عليها فتحته ودخلت فوجدته غارقًا في النوم وهو بكامل ملابسه وقفت داده فردوس تنظر إليه بشفقة وحنان وهي لا تدري ما الذي أصابه فهي تشعر بأن هناك ما يُقلقه ويُشغله ويجعله على غير

عادته ولكنها لا تدري ما هو وكلما سألته فإنه لا يجيبها خرجت داده فردوس وأغلقت باب الغرفة خلفها بهدوء حتى لا توقظ عمر ودخلت إلى المطبخ مرة أخرى لكي تكمل عملها....

obeikandl.com

الفصل التاسع

عندما استيقظ عمر من نومه؛ كانت غرفته غارقة في الظلام لم يكن عمر في كامل وعيه بعد فلم يعرف إن كان الوقت صباحًا أم مساءً؛ ولكنه عندما تنبه إلى الظلام المحيط به تيقن أنه ليلًا مدّ يده إلى الأباجورة الموضوعة على الكومودينو بجوار فراشه وأضاءها وهو ينظر في ساعة يده كانت تشير إلى الثانية عشر والربع, انتفض عمر من فراشه وهو مفزوع ودخل الحمام؛ لكي يأخذ دشًا سريعًا ويغير ملابسه لم يستغرق تجهيز عمر لنفسه أكثر من عشرة دقائق فقط .. نزل السلالم سريعًا كان يسابق الوقت وهو يشعر بأن ضربات قلبه قد سمعها العالم بأسره. كان ميعاد بلقيس قد مضى عليه ما يقرب من نصف ساعة, وكان يخاف بشدة أن تكون قد أتت ولم تجده فرحلت... اجتاز الممر المؤدي إلى الحديقة وهو يركض وعندما اشتم رائحة عطر بلقيس تملأ المكان تسارعت ضربات قلبه أكثر وأكثر حتى أصحبت تدوي في أذنيه... دخل عمر إلى الحديقة وأنفاسه تتسارع بسبب ركضه من ناحيه وخوفه أن تكون بلقيس قد غادرت من ناحية أخرى.. وجد بلقيس تجلس على إحدى المقاعد البلاستيكية وتمد قدميها على المقعد الآخر وهي تنظر إليه بدلال شديد ونظرة خطيرة وابتسامة لعوب على شفتيها.. وقف عمر أمامها يلتقط أنفاسه المتسارعة وقد أحس بقلبه كاد أن يقف .. نظر إليها عمر نظرة كلها شوق ونظرت هي إليه نظرة كلها نداء.. اقترب منها فأشارت إليه أن يقف فوقف مكانه لا يتحرك لا يريدها أن تغضب ابتسمت بلقيس برقة وعذوبة وقالت له بصوتها الناعم الذي يلتهم أذنيه فيدخل منها إلى خلايا دمه كلها وينتشر في جسده كله حتى يصل إلى قلبه فيصعقه وإلى أعصابه فيخدرها ومن ثم يقع عمر تحت تأثير تلك الساحرة التي لا يدري من أين أتت هي لتقلب حياته هكذا رأسًا على عقب تكلمت بلقيس

فقالت له وهي تشير إليه بإصبعها بكل دلال:

_ينفع برضه المواعيد دي يا باشمهندس ... قال لها عمر وأنفاسه متقطعة وصوته يقطر آسفا:

_أنا آسف يا بلقيس.... سامحيني....

نهضت بلقيس من مكانها وهي تقول بجدية لعمر:

_على فكرة أنا باحترم مواعيدي جدًا أنا كنت هنا اتناشر بالظبط وأنت اتأخرت عليا نص ساعة.... أنا مابحبش أستني حد عشان كده أنا هامشي..

همت بلقيس أن تتحرك عندما وقف عمر أمامها ليمنعها من التحرك وقال لها بصوت ملهوف:

_لأ يا بلقيس عشان خاطري بلاش تمشي إنتِ ماتعرفيش قد إيه أنا كنت تعبان عشان كده نمت أكثر من سبع ساعات ولما صحيت كانت الساعة اتناشر وربع والله ما حسيت بنفسي من شدة التعب.... بلقيس أنا الأيام دي مش باعرف أنام كويس....

قالت له بلقيس بعجرفة:

_طيب صحيت اتناشر وربع ودلوقتي اتناشر ونص.. ربع ساعة عشان تنزل من أوضتك..

قال لها عمر وهو ينظر بعينيها وصوته يذوب من الرقة:

_لأ.... بس ما حبيتش إنك تشوفيني بالحالة اللي كنت فيها.. كان لازم أخد دش وأغير هدومي....

ضحكت بلقيس بأنوثة وهي تغمض عينيها وتشتم رائحة الهواء:

_وأكيد تحط بارفان.... على العموم أنا بحب الراجل اللي بيهتم بنفسه..

خلاص يا عمر سامحتك....

كان عمر يقف في مكانه يفكر يريد أن يقوم بواجب الضيافة نحو بلقيس ولكنه يخاف أن يتركها ويصعد إلى الفيلا وعندما ينزل يجدها قد غادرت وأخيرًا قرر أن يدعوها لتصعد معه حتى يشربان شيئًا أو يأكلان معًا كما في المرات السابقة قطعت عليه بلقيس حبل أفكاره عندما قالت له بمرح وهي تتقدم نحو المائدة الموضوعة بالحديقة:

_على فكرة يا باشمهندس أنا اللي عازماك النهارده على العشاء عشان ماتقولش إني باجي أكل عندك كل مره....

ضحك عمر من كلامها ثم قال لها بعتاب:

_ليه كده يا بلقيس .. أنتِ موجوده في بيتي والمفروض إنى أقوم بواجب الضيافة.... وبعدين يا ستي أنا باكون مبسوط جدًا لما بتعشي معاكِ.... سكت عمر لحظات ثم قالت لها:

_على فكرة يا بلقيس أنا الأيام دي ما بقيتش أكل حاجة طول اليوم أكلتي الوحيدة بقت معاكِ في الميعاد ده..

توقفت بلقيس عن المشي وقالت له:

_حرام عليك طول اليوم مابتكلش أي حاجة ليه كده..

قال لها عمر وهو يبتسم:

_صعبت عليكِ ..ثم ضحك وقال لها:

_الحقيقة يا بلقيس أنا بانسى نفسي خالص.. مش بافتكر إني جعان إلا لما بشوفك....

ضحكت بلقيس بأنوثة وقالت له وهي تنظر في عينيه مباشرة بجرأة شديدة:

_ليه بقى هو أنت ناوي تأكلني ولا إيه....

خجل عمر من نظرات عينيها والتي بها الكثير من الكلام الصارخ وخفض عينيه بسرعة إلى الأرض وهو يقول لها بحياء أدهشها:

_أنا قصدي إني بأحب أكل معاك أنا مش قصدي أي حاجة تانية.. قالت له بلقيس بصوت هامس شعر فيه عمر بالصدق الشديد والذي قرأه أيضًا في عينيها:

_أنا آسفة يا عمر.. أنا آسفة خالص أنا ماكنتش أعرف إنك خجول بالشكل ده.. على فكرة أنا كنت بهزر معاك بس.. سامحني..

أراد عمر أن يغير الموضوع فقال لها وهو يبتسم ويشير بيده:

_فين هو العشاء اللي أنتِ جبتيه ولا كانت إشاعة..

ضحكت بلقيس وأكملت تقدمها نحو المائدة, ثم مدت يدها إلى شنطة كبيرة أنيقة من الشنط المصنوعة خصيصًا لحفظ الأطعمة كانت قد

وضعتها على إحدى الكراسي الموضوعة حول المائدة فتحتها وبدأت تخرج منها الطعام, اقترب منها عمر لكي يساعدها فوجدها تخرج أولاً مفرشًا أنيقًا قامت بفرشه فوق المائدة, ثم آخرجت طبقين من الفضة وشوكتين وسكينتين وقامت بتجهيزهما أمام الكرسيين الذين سوف يجلسان فوقهما, ثم آخرجت كأسين في غاية الأناقة ووضعت كل كأس أمام الطبق الخاص به, ثم آخرجت شمعدان من الفضة وضعته على طرف المائدة ووضعت به شمعتين معطرتين برائحة الياسمين وبمجرد أن أشعلتهم بلقيس انتشرت رائحة الياسمين تعطر المكان. كان عمر قد اقترب منها كي يساعدها في تجهيز المائدة ولكنه وقف منبهرًا يشاهدها وهي تفعل ما تفعله وقد أحس أنه في حلم جميل..

كانت رائحة الياسمين مع النور الذي تلقى به الشموع يصنع جوًا ساحرًا يدغدغ المشاعر.. كان عمر ينظر إلى بلقيس بإعجاب شديد وهو منبهر بها مفتون وكأنه يشاهد فيلمًا شديد الرومانسية؛ ولكنه يعيش بداخله .. بدأت بلقيس تخرج الطعام كانت أطباق الطعام ملفوفة بأوراق الفويل وكان الطعام موضوع في طبقين بدأت بلقيس تزيح الفويل عن الطبق الأول والذي رأى به عمر كمية كبيرة من حبات الجمبري الجامبو الكبير الحجم جدًا مرصوص بعناية فوق سرفيس من الأرز البني اللون والمزين بحبات اللوز المحمص, أما الطبق الثاني والذي أزاحت عنه بلقيس ورق الفويل فوجد فيه عمر حبه كبيرة الحجم من الإستاكوزا ومرصوص حولها قطع الكابوريا المنزوع عنها العظم والجاهزة تمامًا للأكل.. وأخيرًا آخرجت بلقيس زجاجة بنية اللون مغلقة إغلاقًا محكمًا بغطاء حديدي فتحته بسرعة وعند فتحه أصدر صوت فرقعة خفيفة بدأت بلقيس تصب المشروب من الزجاجة داخل الكأسين.. كان المشروب ينزل من الفوهة لونه نبيتي غامق.. نظر عمر إلى الزجاجة وإلى لون المشروب وقال لبلقيس بريبة وشك :

_ إيه ده يا بلقيس.. هو ده عصير إيه بالضبط..

نظرت بلقيس في عينيه ثم قالت بشقاوة ومكر وقد قرأت أفكاره بسبب شدة ذكائها:

_يعني مش عارف إيه ده يا باشمهندس.. أكيد طبعًا نبيذ..

اندهش عمر بشدة وقال لها:

_أنتِ بتكلمي بجد.. نبيذ..

قالت له بلقيس بهدوء شديد وهي تبتسم وتهز رأسها علامة الإيجاب:

_أه والله نبيذ.. ثم أضافت بدلال شديد قائلة:

_إيه يا باشمهندس أنت مش بتحب الخمور..

كان عمر يقف مشدوهًا مما تقوله وهو لا يدري ماذا يقول لها وقد شعر بالغضب منها عندما انفجرت بلقيس ضاحكة بقوة وهي تقول لعمر بجدية:

_إيه يا عمر أنت ما تعرفش الهزار خالص.. ثم حملت إحدى الكؤوس وهي تقربه منه وتقول له وهي لا تزال تضحك:

_يا عمر ده عصير عنب.. عصير عنب وبس مافيهوش كحول ولا حاجة بس العبوه بتاعته شكلها غريب شويه؛ لأنه مستورد وهما بيهتموا بشكل العبوات.. على فكره عصير العنب في اللغة العربيه اسمه نبيذ يعني أنا مش بكذب عليك هو فعلًا نبيذ بس خالي من أي كحوليات, وبعدين عيب يا باشمهندس إنك تشك فيا بالشكل ده.. أنا الحمد لله بصلي يعني مستحيل إني أكون بشرب خمور.. بس أنا حبيت أهزر معاك لما لقيت نظرات الريبة والشك المرسومة في عينيك .. اتفضل اشرب منه وأنت تتأكد واقرأ كمان المحتويات المكتوبة على العبوة بتاعته..

تناول عمر الكأس من يد بلقيس وقربه من أنفه ثم شرب منه على حذر وبلقيس تراقبه وقد اتسعت ابتسامتها لريبة عمر الشديدة في هذا المشروب والذي لا يزيد عن كونه عصير من العنب الصافي والذي لم يضاف إليه شيء آخر ولا حتى السكر..

ابتسم عمر لبلقيس وهو يقول لها على استحياء بعد تيقنه من عصير العنب:

_أنا آسف يا بلقيس..

ضحكت بلقيس وهي تقول له:

_طيب اتفضل بقى خلينا ناكل أحسن الأكل هايبرد وبعدين أنا مش بحب الحاجات الباردة نطق عمر معها في نفس اللحظة كلمة الحاجات الباردة

وعندما وجدته بلقيس ينطقها معها نظرت إليه وهو بدوره كان ينظر إليها وانفجرا ضاحكين ثم قال لها عمر:

_أنا فاكر كويس إنك مش بتحبي الحاجات الباردة لأنك قلت لي كده وإحنا في المطبخ أول يوم جيتي عندنا فيه..

نظرت إليه بلقيس نظرة ذات معنى وبدأت تضع له الطعام في طبقى وهي تقول له:

_بتحب السي فود يا عمر..الحقيقة أنا بموت فيه بس كنت خايفه أحسن تكون مش بتحبه..

ضحك عمر وهو يقول لها:

_أكيد بحبه يا بلقيس هوه في حد مش بيحب السي فود ده من أجمل الأكلات كان عمر يتلذذ بسماعه لبلقيس وهي تناديه باسمه مجردًا أكثر من تلذذه بتناول تلك المأكولات الفآخرة ملايين المرات....

كان عمر واقع تحت تأثير هذا الجو الساحر ذلك الضي المنبعث من تلك النيران الخافتة المتأججة في تلك الشموع يصاحبها رائحة الياسمين التي تعطر الأجواء مختلطًا برائحة عطر بلقيس الذي يخدره .. أفاق عمر من شروده على صوت بلقيس يقول له:

_تعرف أنا نسيت إيه..

قال لها عمر بدهشه:

_ما افتكرش إنك نسيتي حاجة ثم أشار إلى المائدة وهو يقول:

_كل اللي أنتِ عاملاه ده مستحيل يكون في حاجة نسيتيها

قالت له بلقيس مؤكده:

_لأ.. في حاجة نستها عارف إيه.. نسيت أجيب حاجة نسمع منها سوفت ميوزيك...

نظر إليها عمر مبتسمًا ولم ينطق ولكنه كان يقول في نفسه:

_أكيد كنتي عايزه تخلصي عليا النهارده يا بلقيس حرام عليكِ أنا مستحيل أتحمل كل ده وكمان سوفت ميوزيك..

كان عمر يعشق الموسيقى الناعمة؛ رغم أنه مهندسًا وعمليًا إلا أن الموسيقى

الناعمة كانت تحرك كل مشاعره وأحاسيسه بقوه .. حدّث عمر نفسه قائلاً:
_أنتِ فعلاً خطيرة يا بلقيس مافيش حد يقدر يقاوم تأثيرك أبدًا..
قطعت بلقيس عليه شروده مرة أخرى وهي تقول له وتتناول قطعة من الإستاكوزا:
_خسارة إن مافيش موسيقى أنا كان نفسي أرقص معاك تانجو...
نظر إليها عمر بمكر وهو يقول لها بهدوء وابتسامة ماكرة على شفتيه:
_كنا هانرقص تانجو إزاي.. والقواعد بتاعتك هاتكسريها..
قالت له بلقيس بدهشة:
_قواعد إيه..
قال لها عمر وهو يضع السكين بجوار الشوكة داخل طبقي:
_الأربع خطوات.. ثم ضحك وهو يكمل:
_إزاي هانرقص وإحنا بعيد عن بعض أربع خطوات ...
إغتاظت منه بلقيس وقد شعرت أنه يستهزئ بها فقالت له بحدة:
_أنت بتتريق عليا يا عمر..
رد عليها عمر سريعًا وبجدية وإن كان لا يزال يبتسم:
_لا والله بس أنتِ اللي حطيتي قاعدة الأربع خطوات يا بلقيس..
قالت له بلقيس:
_طيب خلاص مافيش داعي نرقص.. أنت بطلت تأكل ليه؟
وضع عمر يده على معدته وهو يقول:
_الحقيقة الأكل لذيذ جدًا أنا قربت أفرقع خلاص..
بعد انتهاء عمر وبلقيس من تناول طعامهما قالت له:
_أنا عايزه أغسل إيدي أحسن الجمبري ده صعب خالص عايز ميه وصابون مش هاينفع معاه المناديل المعطرة..
ضحك عمر وهو يقول لها ويشير بيده:
_والله أنا كنت هاقولك كده.. اتفضلي
صعدت بلقيس مع عمر إلى الفيلا وقالت له وهما يدخلان من الباب:
_فين داده فردوس..

ضحك عمر وهو يقول لها:

_الساعة واحدة ونص.. داده فردوس نامت من بدري..

دخلت بلقيس إلى الحمام لتغسل يديها.. ودخل عمر إلى حمام آخر صغير بجوار المطبخ فغسل هو الآخر يديه سريعًا, ثم خرج وهو قلق يخاف أن يترك بلقيس بمفردها لبعض الوقت حتى لا تتركه وتمضي لم يشبع بعد من النظر إليها والحديث معها.. عندما خرج عمر من الحمام الصغير وجد بلقيس وهي آتية نحوه تمسح يديها بمنديل ورقي تأملها عمر للحظات وهي تتقدم نحوه كانت ترتدي بلوفرا وردي اللون من الصوف الناعم به خطوطًا سوداء , وبنطلونا أسودا ضيقا على جسدها بشدة حتى أنه يظهر كل تفاصيله, تضايق عمر وشعر بغيرة شديدة عندما واتته فكرة أن الكثير من الرجال سوف يشاهدونها وهي تسير بهذا البنطلون الضيق. قال لها عمر بنبرة بدا فيها الضيق:

_ما ينفعش إنك تخرجي ببنطلون ضيق بالشكل ده..

ابتسمت بلقيس وقالت له بدلال:

_إيه يا عمر أنت بتغير عليا...

تجاهل عمر سؤالها وقال لها وهو لا يزال يشعر بالضيق:

_يعني مافيش حد بيبص عليكِ وأنتِ ماشية في الشارع, أنا عارف إنك بتركبي عربيتك؛ لكن لحد ما تركبيها وأكيد بتنزلي منها وتدخلي أماكن مافيش حد بيبص عليكِ. قالت له بلقيس بثقة وعجرفة ممزوجة بدلال وأنوثة:

_فيه طبعًا.. أي حد بَعَدي من قدامه بيبص عليا ..ثم ضحكت واستدارت تمشي؛ لكنها توقفت ونظرت إلى عمر مرة أخرى فوجدته قد عقد ما بين حاجبيه بشدة وهو ينظر إليها بغضب شديد, اقتربت منه بلقيس مرة أخرى وإن كانت لا تزال تحافظ على الأربع خطوات بينه وبينها وقالت له بهدوء:

_إيه يا عمر مالك في حاجة ضايقتك في كلامي..

اندهش عمر وقال لها:

_أنتِ للدرجة دي مش حاسة بكلامك يا بلقيس مش عارفه إيه اللي ممكن يجرح في كلامك ويضايق..

قالت له ببراءة:

_طيب أنا مش فاهمة أنا جرحتك ولا ضايقتك في إيه يا عمر.. حاول عمر أن يسيطر على أعصابه بشدة حتى لا ينفجر غاضبًا ,فقال لها بصوت حاول أن يجعله هادئًا؛ ولكن كان التوتر واضحًا به:

_تحبي تشربي شاي..

قالت له بسرعه:

_أه ..أنا عايزه شاي هاجي معاك .. يالا نعمله سوا.

دخل عمر وبلقيس إلى المطبخ .. وبدأ عمر في إعداد الشاي أما بلقيس فكانت تعد له الأكواب.. عندما انتهى عمر من صب الشاي خرج هو وبلقيس من المطبخ وضع صينية الشاي على المائدة الصغيرة وجلس على أحد المقاعد أما بلقيس فقد ذهبت وجلست على الأرض ومدت قدميها.. ضحك عمر وقال لها:

_أنتِ هاتقعدي برضه على الأرض..

قالت له بدلال:

_أنا بحب كده بس انتم ليه طافين الدفاية ..

نهض عمر سريعًا من كرسيه وهو يقول لها:

_هافتحها على طول..

قالت له بلقيس وهي تضحك:

_لا يا عمر مافيش داعي أنا مش عايزاها.. الجو حلو النهارده..

ناول عمر بلقيس كوب الشاي ثم جلس بجوارها على الأرض ضحكت بلقيس بشده ضحكة طفولية رنانة أثارت إعجاب عمر كثيرًا فقال لها:

_ضحكتك حلوه قوي .. ثم ابتسم وهو يقول لها: أنتِ بتضحكي قوي كده عشان قعدت على الأرض جنبك..

قالت له بلقيس بنعومة:

_عملت إيه النهارده قضيت يومك إزاي..

ردّ عليها عمر بسرعه وقد تذكر تفاصيل هذا اليوم المشحون:

_كان يوم متعب جدًا.. عارفه شفت مين النهارده.. هايدي صحبتك وهمسة

قالت له بلقيس بسخرية:

_و يا ترى أخبارهم إيه.. رحت لهم ليه يا عمر عشان تعرف أنا عايشة ولا ميتة..

اندهش عمر بشدة وقال لها:

_بلقيس أنا قربت اتجنن.. يعني أنتِ عارفة هما بيقولوا عليكِ إيه؟ قالت له بلقيس بنفس السخرية:

_عارفة.. طبعًا قالولك إني ميتة..

نهضت بلقيس من مكانها وهي تمشي على ركبتيها بدلال فوضعت كوب الشاي على المائدة ثم عادت بنفس الطريقة إلى مكانها مرة أخرى؛ ولكنها في هذه المرة كانت قد اقتربت من عمر.. ثم بدأت تقترب منه أكثر فأكثر حتى تلاشت الخطوات الأربعة وأصبحت تقترب منه كثيرًا . كان عمر يجلس ويمد قدميه أما هي فكانت تقف على ركبتيها ثم جلست وقد ثنت قدميها تحتها حتى إن إحدى ركبتيها كانت تلمس ساق عمر نظر عمر إلى ركبة بلقيس التي تلمسه ثم قال لها بصوت مبحوح متوتر:

_بلقيس.. أرجوكِ قولي لي الحقيقة .. أنا مش قادر أفهم حاجة عشان خاطري أنتِ كده بتعذبيني..

ضغطت بلقيس بركبتها ساق عمر وقالت له بهمس وبعذوبة:

_أنت حاسس إيه.. تفتكر أنا عايشة ولا ميتة ..

كان عمر يشعر بركبة بلقيس تلمس ساقه وكان هذا يوتره بشدة ويتساءل في نفسه:

كيف تكون بلقيس ميته وركبتها تلمسه ويشعر معها بكل هذا التوتر..

قالت له بلقيس وهي لا تزال تهمس:

_غمض عينيك يا عمر..

قال لها بدهشه:

_ليه ..

عادت تقول له مرة أخرى وبنفس الطريقة الهامسة:

_غمض عينيك يا عمر.. وما تفتحهمش إلا لما أقول لك..

أغمض عمر عينيه في استسلام وهو لا يدري ماذا تريد بلقيس أن تفعل..

مضت لحظات ولا يحدث شيء حاول أن يفتح عينيه لكنه سمع صوتها تقول له:

_قلت لك ما تفتحش عينيك..

استسلم عمر مرة أخرى وبعد لحظات أخرى من الهدوء التام فجأة شعر عمر بأصابع يد بلقيس وهي تلمس برقة شديدة وجهه كانت تمشي بأصابعها على جبينه ثم على أنفه ثم على وجنيته ثم على شفتيه ثم على رقبته ثم توقفت لم يفتح عمر عينيه استمر في إغلاقهما, ثم قال لها بصوت هامس يقطر شوقًا وهو لا يزال يغمض عينيه.:

_بلقيس.. كفاية كده حرام عليكِ أنا إنسان مش حجر أنا لحم ودم أنا مش عارف أنتِ بتعملي كده ليه.. ليه بتعذبيني بالشكل ده.. ليه مش عايزه تقولي لي الحقيقة ...

سمع عمر صوت بلقيس يقول له:

_ افتح عينيك يا عمر..

فتح عمر عينيه ونظر إليها كانت تبتسم له برقة أما هو فقد كان في شدة التوتر قال لها وهو ينظر إليها بعتاب:

_ليه بتعملي فيا كده.. أنتِ عايزه توصلي لإيه..

قالت له وهي لا تزال تهمس:

_حسيت بإيه يا عمر..

صمت عمر ولم ينطق؛ ولكنه استمر ينظر بعينيها فأعادت عليه سؤالها مرة أخرى ولكن بصيغة أخرى قائلة:

_أنت حسيت بيا يا عمر؟

نطق عمر بصوت هامس هو الآخر:

_أيوه يا بلقيس حسيت بيكي طبعًا..

مد عمر يده في محاولة للمس شعرها لكنها ابتعدت عنه بسرعه إلى الخلف وقالت له وهي تنهض بسرعه واقفه على قدميها من على الأرض:

_إيه يا عمر..عايز تلمس شعري ليه ؟

قال لها بمكر شديد وهو يبتسم:

_إشمعني أنتِ لمست وشي ورقبتي ..
قالت له بجدية:
_أنا كنت عايزه أثبت لك حاجة..
نهض عمر بدوره من على الأرض ووقف أمامها وهو يقول لها:
_عايزه تثبتي إيه..
قالت له بنفس الجدية:
_إني عايشة مش ميتة كان لازم ألمسك كان لازم تحس بيا ..
غضب عمر وقال لها بصوت منفعل:
_بلقيس أنتِ بتلعبي بيا.. يعني إيه كان لازم تلمسيني عشان أتأكد إنك عايشة, طيب ما أنا شايفك قدامي وبناكل وبنشرب مع بعض وبنتكلم سوا كل ده إيه حلم..
نظرت إليه بلقيس ثم قالت له برقة:
_أنا مش فاهمة أنت زعلان مني ليه مش أنت المرة اللي فاتت كنت عايز تلمسني عشان تتأكد إني عايشة مش ميتة طيب إيه المشكلة أنا النهارده لمستك عشان تتأكد إني عايشة....
صمت عمر ولم يرد عليها وقد إحتار في أمرها كثيرًا وتذكر قول هايدي له:
_بلقيس عُمرك ما هاتقدر تفهمها لكن هاتقدر تحبها وبس!!
شعر عمر بأنه فعلاً لا يستطيع أن يفهم بلقيس, لقد كانت متقلبة وغامضة وغريبة الأطوار إلى حد كبير!!..
أفاق عمر من شروده على صوت بلقيس تقول له:
_يعني ما سألتنيش عملت إيه النهارده
ضحك عمر وهو يقول لها:
_اوعي تكوني رحتي القلعة وحسيتي إنك شجرة الدر , ولا تكوني رحتي المتحف و حسيتي إنك حتشبسوت ...كان يقول لها ذلك لكونها قد ذهبت إلى بيت السحيمي وتشعر أنها قد عاشت هناك من قبل..
قالت بلقيس لعمر وهي تضحك لمداعبته لها :
_ يعني بتعرف تهزر أهو.. لأ يا سيدي أنا مارحتش ولا القلعة ولا المتحف

أنا رحت أصطاد سمك عارف قعدت خمس ساعات وفي الآخر مافيش حاجة طلعت لي ولا حتى فردة جزمة....

نظر إليها عمر طويلًا ثم قال لها بجدية شديدة:

_بلقيس أنتِ حاسة بفراغ كبير في حياتك...

نظرت إليه بلقيس نظرة عابرة ثم قالت له وهي تجلس على الكرسي:

_مين قالك إني حاسة بفراغ أنا بعمل كل اللي أنا عايزاه..

جلس عمر على الكرسي المجاور لها وهو يقول:

_مش كفاية إنك تعملي أي حاجة أنتِ عايزاها.. المهم هو إيه اللي أنتِ بتعمليه ..

قالت له بعصبيه:

_قصدك إيه يا عمر.. أنت شايف إن حياتي فاضيه وتافهة ومافيش فيها حاجة مهمة ..

قال لها عمر بسرعه:

_بلاش تفهميني غلط يا بلقيس .. أنا ماكنش قصدي كده أنا بس قصدي إني حاسس إنك تقدري تعملي حاجات كتير مهمة جدًا في حياتك؛ لكن أنتِ بتضيعي وقتك يا بلقيس ومش بتعملي حاجة لها القيمة اللي أنتِ عايزاها.. أنا حاسس إنك بتدوري على شيء مهم ومش عارفه هو إيه ...كان عمر يقصد من كلامه هذا أن يستفز بلقيس حتى تحدثه أكثر عن نفسها وعما تفعله في حياتها؛ ولكنها لم تبلع الطعم الذي رماه لها لم يثير كلامه هذا استفزازها ولم تحكي له ولكنها سألته قائلة بهدوء شديد:

_أنت سعيد يا عمر؟

اندهش عمر من سؤالها وقال لها:

_تقصدي إيه يا بلقيس..

قالت له:

_أنا سؤالي واضح يا عمر أنت سعيد في حياتك..

قال لها مؤكدًا:

_الحمد لله أنا سعيد في حياتي..

سكت عمر للحظات ثم سألها بدوره قائلاً:
_وأنتِ يا بلقيس سعيدة في حياتك؟
التفتت إليه وقالت له بكل تأكيد:
_لأ.. لأ يا عمر أنا مش سعيدة في حياتي..
اندهش عمر بشده وقال لها بحنان جارف:
_ليه يا بلقيس .. ليه كده.. ليه حاسة إنك مش سعيدة وأنتِ عندك كل حاجة الجمال والشباب والثروة والأصدقاء ليه مش سعيدة..
قالت له:
_إيه هي السعادة؟
قال لها عمر:
_السعادة عُمرك ما هتقدري تعرفيها بمفهوم محدد لأن كل إنسان بيشوف السعادة من وجهة نظر مختلفة عن غيره..
قالت له بلقيس:
_طيب وأنت يا عمر إيه هو مفهومك عن السعادة..
قال لها عمر موضحًا وجهة نظره هو:
_أنا شايف يا بلقيس إن السعادة لازم تكون موجودة في راحة البال وراحة البال مش هتكون موجوده إلا لما الإنسان يكون قنوع وراضي بقضاء الله ويحاول يقوم بكل التزاماته وواجباته كشخص مسئول ويحاول يقدم المساعدة لغيره في وقت احتياجهم له ويخرج من سجن الأنانية ويحب الخير لغيره زي ما بيحبه لنفسه.. والعطاء من غير انتظار مقابل بيحقق سعادة كبيرة..
قالت له بلقيس برقة:
_وأنت بتعمل كده يا عمر..
ابتسم عمر بخجل ونظر إلى الأرض وهو يقول:
_أنا بحاول أعمل كده...
لم يرغب عمر في أن يشكُر في نفسه ويقول لها بثقة نعم أنا أفعل ذلك لكنه كان بحق إنسان راضي وقانع بقضاء الله وكان شخص مسئول يقوم بكل التزاماته على أكمل وجه كما أنه كان يحب مساعدة الغير بكل قوته ويحب لهم

الخيركما يحبه لنفسه.. كان عمريتحلى بالصفات الكثيرة الجميلة والراقية لم يكن أبدًا في يوم من الأيام إنسان أناني أو محب لذاته ....

قالت له بلقيس وهي تنظر إليه بإعجاب:

_وجهة نظرك حلوة قوي يا عمروبتدل على إنك فاهم الحياة كويس.. بس ليه في ناس بتكون سعيدة رغم إنهم ماعندهمش حاجة, وناس تانية بتكون غير سعيدة وهما عندهم كل حاجة..

نظر إليها عمروهو يقول لها بهدوء:

_الناس عادة بيبحثوا على الشيء اللي ناقص عندهم ويجعلوه هو سبب تعاستهم يعني اللي ربنا أعطى لهم الصحة؛ لكن مافيش عندهم أولاد بيكون ده سبب تعاستهم واللي عنده أولاد ومافيش عنده فلوس بيكون عدم وجود الفلوس هو سبب عدم سعادته في الحياة وهكذا.. لكن يا بلقيس الناس اللي بتكلمي عنهم وبيكون مافيش عندهم حاجات كتير؛ لكن رغم كده سعداء ده بيكون بسبب رضاهم بقضاء الله وبإن ربنا جَعلهم حياتهم أفضل ما يكون بالنسبة لهم ونتيجة إيمانهم ده بيتولد عندهم إحساس كبير براحة البال بيجعلهم سعداء زي ما قلت لك قبل كده؛ لكن الناس التانية اللي رغم وجود كل شيء عندهم غيرسعداء ده بيكون أكيد نقص في إيمانهم..

قالت له بلقيس معترضة:

_بس يا عمرأنا مؤمنة بالله إيمان كامل ومع كده أنا حاسة إني مش سعيدة.. ومش عارفه إيه اللي ناقصني عشان أحس بالسعادة..

نظر إليها عمربحنان وقال لها:

_أكيد ناقصك إنك تعرفي الطريق الصحيح اللي أنتِ محتاجه تمشي عليه بجد... نظرت إليه بلقيس مستفسرة وقالت له:

_مش فاهمه تقصد إيه أي طريق اللي أنا المفروض أمشي عليه..

قال لها عمر:

_أقصد هدفك في الحياة يا بلقيس اللي ناقصك فعلًا هو إنك مش عارفه تحددي هدفك الحقيقي في الحياة دي.. أنتِ مش عارفه أنتِ عايزه إيه....

نظرت إليه بلقيس نظرة طويلة وقد شعرت أن عمر نفذ إلى أعماقها كثيرًا

وقرأ جيدًا ما ينقصها لكي تشعر بالسعادة.. هي بالفعل لا تدري ما هو هدفها من هذه الحياة بل إن الحياة برمتها لم يعد لها معنى لديها لم تعد تشعر بلذتها لم تعد تحبها لقد فعلت كل شيء بها ولم يعد هناك المزيد لتفعله وتشعر معه بالإثارة والبهجة.. لقد سافرت إلى جميع أنحاء العالم وأكلت ألذ وأفخر الأطعمة وحطمت من القلوب الكثير.. حقًا لم تحب يومًا ولم يدخل إلى قلبها حب حقيقي ولكنها كانت تستلذ بتحطيم قلوب الرجال ... لديها أفخر الثياب وأفخر الأثاث وتركب أغلى السيارات لكنها لا تشعر بالسعادة تحاول أن تجدها ولكنها لا تعرف أين هي لو كانت تباع لاشترتها حتى ولو كانت بأغلى الأثمان ولكنها لا تدري من أين تأتي بها..

دائمًا وأبدًا كان هذا هو السؤال الذي يسيطر عليها ولا تعلم له إجابة ما هي السعادة؟ وأين يمكن أن تجدها؟ ولماذا هناك أناس سعداء رغم افتقارهم لكل شيء وهناك أناس تعساء رغم امتلاكهم لكل شيء!!.. كانت بلقيس لا تعرف حقًا أهي لا تزال على قيد الحياة أم قد فارقتها وإن كانت لا تزال على قيد الحياة فلما لا تشعر بالسعادة رغم كل ما تمتلكه ولما لا تعرف كيف تحدد لها هدفًا بها رغم ثقافتها الواسعة وعقلها الراجح وإن كانت هي ميتة بالفعل فمن إذًا هي تلك التي تمشي وتتحرك وتأتي وتذهب وتقابل عمرو تأكل معه كل ليله وتتحدث معه حتى حلول فجر يوم جديد .. اختلطت الأمور كثيرًا ولم تعد بلقيس تدري ما هي الحياة وما الغرض منها وما هي السعادة وكيف نشعر بها.. وما هو الموت وهل به راحة لم تعد تعرف كيف نحيا وكيف نموت وكيف نعيش سعداء..

لم تعد بلقيس تعرف أهي لا تزال على قيد الحياة أم هي ميتة بالفعل!!!!..

تنبهت بلقيس من شرودها الطويل على صوت عمر يقول لها ضاحكًا:

_بلقيس أنتِ نمتي و أنتِ مفتحه عنيكي ولا إيه..

قالت له وهي لا تزال شاردة:

_إيه يا عمر في حاجه..

قال لها وهو يبتسم برقة:

_أنا بكلمك وأنتِ سرحانه خالص بتفكري في إيه كل ده..

قالت له وهي تنظر إليه وتبتسم بدورها:

_بفكر في كلامك .. الحقيقة عاجبني كلامك يا عمر اقتنعت برأيك في موضوع السعادة عارف مافيش حد أقنعني برأيه في الموضوع ده كل ما كنت أسأل حد يقولي إجابه تافهة وسطحية.. حد يقولي السعادة في الفلوس وبالفلوس نقدر نشتري كل حاجة والتاني يقول لي السعادة في النجاح وغيره يقول السعادة في الحب وفي ناس تقول في الأولاد وغيرهم في الحرية لكن رأيك أنت عاجبني وأقنعني..

ابتسم عمر وهو يقول لها:

_الحمد لله إن فيه حاجة عجبتك يا بلقيس..

اندهشت بلقيس وقالت له:

_تقصد إيه..

قال لها:

_مش عارف أنا دايمًا حاسس إن تصرفاتي وكلامي مش بيعجبك..

ضحكت بلقيس ضحكة عالية وقالت له وهي تنهض من كرسيها:

_عندك سديهات موسيقى..

قال لها عمر وهو ينهض بدوره:

_عندي.. أنا بحب الموسيقى جدًا عايزه أي نوع..

قالت له وقد بدأت تقترب منه بدلال:

_سوفت ميوزيك..

ابتسم عمر لإصرارها على سماع الموسيقى الناعمة تلك الليلة وقال لها برقة:

_طيب اتفضلي اختاري اللي أنتِ عايزاه..

أشار لها عمر إلى غرفة مكتبه وتقدمها وقال وهو يفتح درجًا كبيرًا:

_أنا بحب أسمع الموسيقى جدًا وأنا بشتغل عشان كده كل حاجة خاصة بالموسيقى موجوده عندي في المكتب..

تأملت بلقيس غرفة مكتب عمر وقالت له:

_أنا لاحظت إنك منظم قوي يا باشمهندس..

قال لها وهو يبتسم:

_ميرسي يا بلقيس.. في الحقيقة أنا بحب النظام جدًا يا ترى أنتِ برضه بتحبي النظام.. كان عمر يسألها بدوره يريد أن يعرف عنها كل شيء..

قهقهت بلقيس بضحكة طفولية رائعة جعلت عمر ينظر إليها بإعجاب وقالت له:

_هو أنا كل ما أسألك سؤال تسألني زيه على العموم أنا هاجوبك على سؤالك بصراحة.. لأ.. لأ يا باشمهندس أنا مش بحب النظام خالص.

في الحقيقة أنا إنسانة فوضوية جدًا, بحب أغير هدومي وأرميها على الأرض وأكل وأشرب وأسيب كل حاجة مكانها .على العموم أنا عندي جيش من الخدم عشان ينظفوا ويرتبوا ورايا..

اندهش عمر كثيرًا لكلامها؛ ولكن أعجبته صراحتها الشديدة وإن كان قد إحتار كثيرًا في أمرها أهي صراحة أم عجرفة شديدة..

أخذت بلقيس تقلب الأسطوانات الكثيرة ثم استقرت على إحداها وناولتها لعمر كي يديرها أخذها عمر من يدها وأدارها وهو يحدث نفسه مندهشًا:

_يعني يا بلقيس سيبتي كل الأسطوانات واختارتِ أكثر أسطوانة أنا بحبها والموسيقى بتاعتها ناعمة قوي زيادة عن اللزوم.. إشمعنى دي اللي اختارتيها...

قطعت عليه بلقيس حبل أفكاره قائلة له بنعومة عندما بدأت الموسيقى تنساب برقة زائدة تملأ أجواء الغرفة:

_عمر تسمح لي أرقص معاك..

نظر إليها عمر برقه شديدة وقال لها بصوت أرق:

_والقاعدة بتاعتك... الأربع خطوات..

قالت له بعذوبه:

_هاكسرها النهارده .. الأربع خطوات هالغيهم .. كانت بلقيس تتقدم نحو عمر بدلال زائد ثم قالت بصوت ناعم شديد الخطورة ونظرة أخطر كأنها ألسنة لهب تلتهم كل ما يقابلها:

_إيه يا عمر أنت مش عايز ترقص معايا..

قالت له بلقيس ذلك عندما وجدته يقف مكانه لا يتحرك.. لكن عمر كان

يريد بشدة أن يقترب منها ويرقص معها ويشم رائحتها عن قرب؛ ولكنه كان يخاف بشدة من تأثيرها الخطير عليه, كانت بلقيس تتقدم نحو عمر ببطء شديد وهي تفتح بأصابعها أزرار البلوفر الوردي الذي ترتديه.. عندما رآها عمر تفعل ذلك توتر بشدة واندفعت الدماء حارة تغلي في عروقه وتسمرت قدماه فوق الأرض وعقدت الدهشة لسانه فلم ينطق وهو يتابع بعينيه أنامل بلقيس وهي تنزل على أزرارها تفتحها زرًا زرًا كانت بلقيس تنظر إلى عمر وتشعر بما يختلج بصدره وبجميع أنحاء جسده جيدًا وتتلذذ بتأثيرها عليه....

شدَّ عمر الكلمات بمجهود كبير من بين شفتيه وهو يقول لها بصوت مرتعش من شدة التوتر:

_بلقيس أنتِ بتعملي إيه....

قالت له بلقيس بتوحش ناعم وهي تتكلم ببطء شديد:

_زي ما أنت شايف يا عمر.. أنا حاسة إني حرانه خالص.. البيت عندك هنا دافئ قوي..

وصلت أصابع بلقيس إلى آخر زر وكاد قلب عمر أن يتوقف وقد تخيل أنها سوف تخلع ملابسها أمامه.. خلعت بلقيس البلوفر بعد أن فكت أزراره وهدأ عمر قليلًا بعد أن وجدها ترتدي تحته بلوزة قطنية ورديه اللون، حقًا هي ضيقة وتظهر تفاصيل جسدها ولكنها في كل الأحوال ليست عارية....

اقتربت بلقيس من عمر ووقفت أمامه مباشرة وهي تبتسم له وقالت ببراءة:

_واضح إنك مش عايز ترقص معايا حتى أنت مش عايز تتحرك من مكانك..

قال لها عمر بسرعه وبنبرة صادقة بدت واضحة في صوته:

_بالعكس يا بلقيس أنا نفسي أرقص معاك..

أحاطت بلقيس رقبة عمر بذراعيها واقتربت منه كثيرًا حتى أنه اشتم رائحة عطرها مختلطة بدفء جسدها.. كانت الموسيقى الناعمة تملأ أجواء الغرفة تدغدغ مشاعر كل من يسمعها استسلم عمر تمامًا بين يدي بلقيس وبدأ يتحرك معها ببطء على أنغام الموسيقى الهادئة وقد اقترب منها أكثر حتى شعر بخصلات شعرها على وجهه واشتم العبير الفواح المتصاعد منه كان يشعر بأنفاس بلقيس الدافئة على رقبته.. لم يعد عمر يحتمل كل هذا.. فهمس

بشوق في أذنيها وبصوت تسمعه هي فقط وطوق بذارعيه خصرها:
_بلقيس....
تراجعت بلقيس برأسها إلى الخلف ونظرت إليه وهي صامتة:
فقال لها عمر وهو ينظر بعينيها ويهمس برجاء:
_بلاش تسيبيني وتمشي..
ضحكت بلقيس وقالت له برقة:
_يعني عايزني أقعد هنا على طول يا عمر..
قال لها بلهفه :
_ياريت يا بلقيس..
قالت له بلقيس وهي لا تزال تضحك برقة:
_طيب ممكن تستضيفني النهارده عندكم عشان أنا كسلانه أروح النهارده
اندهش عمر حتى أنه توقف عن الرقص وقال لها بفرح:
_بجد يا بلقيس..
هزت رأسها وهي تقول بجديه ولكنها لا تزال تبتسم له:
_بجد يا عمر..
علا صوت أذان الفجر معلنًا بدء يوم جديد بمجرد أن سمعت بلقيس صوت الأذان بعدت عن عمر ثم ذهبت فأطفأت الموسيقى وهي تقول بصوت ملائكي:
_خلينا نسمع الأذان أحسن....
ابتسم عمر وقد إحتار بشدة في أمر تلك البلقيس لا يدري من هي على وجه الدقة لقد كانت منذ وقت قصير تحاول أن تغويه وها هي الآن قد تحولت إلى ملاك شديد البراءة .. وقف عمر ينظر إليها وقد شبك يديه على صدره وكلمات هايدي ترن في أذنيه:
_بلقيس عمرك ما هاتقدر تفهمها..
عندما استيقظ عمر من نومه كانت ساعة يده تشير إلى العاشرة صباحًا تذكر تفاصيل ليلة أمس الطويلة مع بلقيس وشعر بفرحة تغمره لأنها قد قضت ليلتها عندهم.. ابتسم وهو يتذكر ملامح وجه بلقيس وقد تحولت من الأنوثة الطاغية إلى البراءة الكاملة بعد أذان الفجر ولم تنطق بكلمة حتى أثناء

صعودهما السلم حتى يوصلها عمر إلى الغرفة التي سوف تنام بها وقال لها وهو يبتسم:

_اتفضلي يا بلقيس الأوضة بتاعتك اللي نمتي فيها قبل كده..

دخلت بلقيس إلى الغرفة وقالت له باقتضاب وهي تغلق الباب في وجه عمر والذي لا يزال يقف أمامه:

_طيب ميرسي.. تصبح على خير..

اندهش عمر لحظتها من طريقة كلامها الرسمية وعدم نطقها لاسمه وكأنها قد وضعت حاجزًا زجاجيًا بينه وبينها..

وضع عمر يديه في جيوب بنطلونه ومشى نحو غرفته وهو مندهش لتقلب بلقيس الغريب وشخصيتها التي لا تستقر على حال ولكنه كان يبتسم لأنه سوف يراها صباحًا واتسعت ابتسامته عندما تذكر داده فردوس وماذا سوف يكون رد فعلها عندما ترى بلقيس..

obeikandl.com

الفصل العاشر

عندما أنهى عمر ارتدائه لملابسه خرج من غرفته ووقف أمام غرفة بلقيس مترددًا ثم طرق طرقًا خفيفًا على الباب وعندما لم يجبه أحد شعر عمر بالقلق وأحس أن بلقيس ربما تكون قد غادرت.. مدّ يده إلى مقبض الباب كي يفتحه؛ لكنه تراجع فقد منعه حيائه أن يفتح الباب ربما تكون بلقيس لا تزال داخل الغرفة تذكر عمر فجأة أنه إلى الآن لا يعرف رقم موبايل بلقيس واندهش لحاله كيف أنه قد نسى تمامًا أن يطلبه منها ثم عاد يقول لنفسه:

_بلقيس تنسي أي حد حتى اسمه..

نزل عمر إلى المطبخ فوجد داده فردوس مشغولة كعادتها بداخله ابتسم لها وهو يقول:

_صباح الخير يا داده وحشتيني خالص ..إمبارح تقريبًا ماشفتكيش...

ضحكت داده فردوس وقالت وهي تتصنع الغضب:

_أنا زعلانه منك يا عمر أنت خلاص نسيت داده فردوس خالص.

اقترب منها عمر وقبلها على جبينها وهو يقول لها ضاحكًا:

_وأنا أقدر يا داده إزاي أنساكِ بس يا قمر..

قهقهت فردوس لدعابة عمر وقالت له:

_طيب يا سيدي خلاص سامحتك.. ثم أضافت بجدية:

_أنت يا بني ما أكلتش إمبارح ولا إيه.. الأكل في الثلاجة زي ما هوا..

ابتسم عمر وقال لها:

_معلش يا داده أصلي اتعزمت على العشاء إمبارح..

فكر عمر في طريقة يجعل بها فردوس تدخل إلى غرفة بلقيس فقال لها:

_داده شوفي لي كده كتاب كبيروجلدته خضراء متهيألي أنه موجود في أوضة النوم الكبيرة نظرت إليه فردوس مندهشة وقالت له:

_بس يا بني الأوضة دي مافيش حد بيقعد ولا بينام فيها من فترة طويلة من يوم وفاة والدك الله يرحمه مافيش حد دخلها من قريب إلا الضيفة اللي كانت عندنا الحلوة دي اللي كان اسمها غريب قوي أنا حتى مش فاكره كان إيه.. أنت يعني حطيت الكتاب ده فيها من قريب.. أنا يا بني بنضف الأوضة وأقفلها على طول..

قال لها عمر:

_طيب يا داده اطلعي شوفيه وخلاص وأنا كمان هاجي معاك أدور عليه كانت فردوس مندهشة فهي بسبب معرفتها الجيدة بعمر تشعر أن هناك شيء ما ولكنها لا تدري ما هو.... أطاعت فردوس عمر وصعدت إلى الغرفة ثم فتحتها ودخلت وقف عمر بالباب وعندما سمعها تقول له:

_تعالى يا عمر شوف الكتاب بتاعك معايا أنا مش عارفه هو فين بالضبط..

دخل عمر إلى الغرفة بسرعة وهو يشعر بالضيق الشديد لقد غادرت بلقيس مثل كل مرة دون أن يراها وهي تغادر.. تساءل عمر في نفسه لما تفعل هذا به.. لما تأتي له كل ليلة ثم تتركه وتغادر دون أن تقول له أو حتى تكلف نفسها أن تودعه لما تجعله كل ليلة هكذا حائرًا لا يدري إن كانت على قيد الحياة هي أم ميتة كما يقولون عنها لما تتركه ملهوفًا عليها هكذا لا يدري إن كانت ستأتي له مرة أخرى أم لا..

كان شاردًا يحدث نفسه عندما تنبه على صوت فردوس تقول له:

_أنا مش لاقيه الكتاب يا عمر وبعدين أنت يا حبيبي واقف في مكانك ومش بدور معايا .. إيه الظرف ده قالت داده فردوس تلك العبارة ثم انحنت على الفراش وأمسكت بمظروف وردي ناولته لعمر وهي تقول له:

_الجواب ده بتاعك يا عمر ثم ضحكت وهي تقول:

_الجواب ده فكرني باليوم اللي جت فيه البت الحلوة الجريئة دي هي كان اسمها إيه يا عمر..

لم يرد عمر على فردوس لأنه كان مشغولًا يقرأ ما كتبته له بلقيس قائله:

_أنا آسفة خالص يا عمر إني مشيت كده بس افتكرت إني عندي حاجات مهمه لازم أعملها.. ميرسي خالص على الوقت الحلو اللي قضيناه مع بعض وميعدنا الساعة اتناشر..

ملحوظة: من فضلك يا عمر بلاش تتأخر عن الميعاد..

قرأ عمر كلمات بلقيس ثم حدث نفسه قائلاً:

_يا ترى أنتِ دائمًا بيكون معاكِ أظرف وورق جوابات.. بلقيس أنا مش قادر أفهم أي تصرف من تصرفاتك..

حقًا لقد تضايق عمر من مغادرة بلقيس لكنه شعر بالارتياح والسعادة لأنها سوف تأتي اليوم في ميعادها لقد وعدته بذلك في كلماتها التي تركتها له..

قالت فردوس لعمر:

_يابني أنا مش لاقيه الكتاب بتاعك ده خالص مش عارفه أنت حطيته فين .. ضحك عمر وهو يقول:

_أنتِ لسه بتدوري على الكتاب يا داده خلاص مافيش داعي تتعبي نفسك..

قالت له داده فردوس وهي تبتسم لعمر عندما وجدته يضحك:

_طيب يا حبيبي ربنا يسعدك يا رب.. أنت من كذا يوم يا عمر بتنزل يابني من غير فطار.. إيه رأيك نفطر سوا النهارده وبلاش تقول لي ماليش نفس..

قال لها عمر وهو يهز رأسه موافقًا:

_حاضر يا داده هافطر معاكِ النهارده..

كان عمر يشعر بالسعادة تغمره من لقائه مع بلقيس وحديثه معها الذي طال لساعات وعشاءه الرومانسي معها على أضواء الشموع ورائحة الياسمين ثم تلك الرقصة التي جمعته ببلقيس والتي شعر معها بمشاعر وأحاسيس لم يشعر بها من قبل في حياته.. كان عمر شاردًا يتذكر تفاصيل ما كان يشعر به من لمسات أنامل بلقيس على وجهه ورقبته وكم أحس مع تلك اللمسات بالذوبان الكامل الذي يسحقه مع كل لمسه منها....

أفاق عمر من شروده على صوت فردوس وهي تقول له ضاحكة:

_الحمد لله يا بني إن نفسك مفتوحة النهارده..

وجد عمر نفسه قد أنهى كل طبق البيض المقلي الذي وضعته أمامه داده

فردوس حقًا لقد كان يأكل وهو شاردًا لكنه يشعر بأن شهيته مفتوحة وبأنه جائع لقد انعكست عليه سعادته والتي يشعر بها منذ ليلة أمس فلم يكن اليوم مهمومًا حزينًا كالأيام السابقة لكنه كان سعيدًا ولا يدري على وجه الدقة سبب تلك السعادة .. ربما كان سببها شعورًا جارفًا وجديدًا عليه يولد بقلبه.....

قال عمر لداده فردوس وهو ينهض من على مائدة الطعام:

_ياريت يا داده تعملي أكل النهارده يكون مميز شويه..

نظرت إليه فردوس مستفسرة وقالت له:

_في حاجة معينه يا حبيبي نفسك تاكلها..

فكر عمر قليلاً وهو وحائر يريد أن يجهز عشاءً غير تقليدي لبلقيس مثل ما فعلته له ليلة أمس لكنه لا يدري ماذا يجهز لها فهو ليس خبيرًا في مثل تلك الأمور لكنه خطر على باله شيء فقال لفردوس:

_الحقيقة يا داده أنا عايزك تتبللي لحمه وتجهزي الشواية والفحم تحت في الجنينة عشان في ناس هاتيجي تتعشى وتسهر معايا شويه ...

قالت له فردوس:

_ناس كتير يعني يا حبيبي أجهزلك كمية قد إيه وعشان أكون معاك برضه يمكن تحتاج أنت وأصحابك أي حاجة.

قال لها عمر بسرعه:

_مافيش داعي يا داده إنك تتعبي نفسك وتسهري هو في الحقيقة شخص واحد بس وبعدين هايجي متأخر

قالت له فردوس:

_برضه يابني أنت مش هاتعرف تتصرف في الأكل والحاجات دي..

ضحك عمر وهو يقول لها:

_ليه بقى يا داده هو أنا طفل صغير.. مافيش داعي تقلقي نفسك أنتِ اعملي الأكل اللي أنتِ عايزاه لكي وارتاحي أنتِ ونامي في ميعادك وخلينا إحنا على راحتنا..

شعرت داده فردوس بأن عمر يريد أن يكون لوحده مع ضيفه فقالت له:

_طيب يا عمر على راحتك يا بني أنا هاجهزلك كل حاجة اللحمة هاتبلها

واحطاها في الثلاجة وهعمل لك مهلبيه وعصير والشواية هاجهزها في الجنينة .... كان عمر يقود سيارته متجهًا إلى عمله كان لديه الكثير من العمل اليوم الذي يريد أن ينجزه سريعًا حتى يعود إلى المنزل فيأخذ قسطًا من الراحة حتى يكون مستعدًا للسهر مع بلقيس ليلًا.. كان عمر يريد أن ينهي ما ورائه من أعمال ويعود إلى المنزل في وقت مبكر بعض الشيء لا يريد أن ينهك نفسه كما حدث في اليوم السابق حتى لا يستغرق في النوم بشده ويتأخر على ميعاد بلقيس...

أنهى عمر إلقاء محاضرته في الجامعة حوالي الساعة الثانية والنصف ثم ذهب سريعًا لإلقاء نظره على مشروع بناء مجمع سكني كبير كان عمر من ضمن القائمين على بنائه. كانت الساعة حوالي الخامسة عندما كان عمر يدخل إلى منزله.. ألقى التحية سريعًا وهو ويصعد السلم على دادة فردوس والتي كانت تجلس تشاهد فيلمًا قديمًا لإسماعيل ياسين يعرض على شاشة التليفزيون..

همت فردوس بالوقوف وهي تقول لعمر:

_هاقوم أجهزلك الغداء بسرعه يا حبيبي.

أشار لها عمر بيده لكي تجلس وهو يقول لها:

_لا يا داده شكرًا أنا مش هاتغدى دلوقتي..

قالت له فردوس:

_أنا يا ابني جهزت لك اللحمة والشواية والحاجات اللي أنت عايزها بس لازم تأكل حاجة دلوقتي فين على صاحبك ما هيجي بالليل هاتفضل قاعد كده من غير أكل..

أراد عمر أن ينهي هذا الحوار سريعًا وفي نفس الوقت لا يريد لداده فردوس أن تقلق عليه فقال لها وقد وقف على آخر سلمة:

_طيب يا داده ممكن تعملي لي سندويتش سريع .. لأني عايز أنام شويه ..

قالت له داده فردوس وهي تتحرك إلى داخل المطبخ:

_حاضر يا حبيبي أنا هعملك سندويتش فراخ بانيه عشان تاكل بسرعه وتنام..

استيقظ عمر من نومه على رنات منبه الموبايل والذي كان قد ضبطه على

الساعة التاسعة والنصف.. نهض سريعًا من فراشه ودخل إلى الحمام لكي يأخذ دشًا ويغير ملابسه لكي يستعد لاستقبال بلقيس..

لقد كانت تلك الساعات عند عودة عمر من أعماله تكاد تكون الوحيدة التي يخلد بها إلى النوم لإراحة جسده وعقله قليلًا.. منذ معرفة عمر ببلقيس انقلبت حياته رأسها على عقب وتغير نظام يومه تمامًا مواعيد أكله وشربه ونومه كلها ربطها بميعاد لقائه ببلقيس فقط ميعاد عمله هو الوحيد الميعاد الذي بقى ثابتًا في حياة عمر وخلاف ذلك فهو مرتبط ببلقيس..

عندما نزل عمر من غرفته إلى الطابق السفلي كانت داده فردوس لا تزال مستيقظة ابتسمت عندما رأته مقبلًا عليها وقالت له:

_ما شاء الله يا حبيبي شكلك زي ما تكون عريس النهارده..

ضحك عمر وقال لها:

_ليه يعني يا داده..

ضحكت فردوس وهي تقول له:

_أصلك زي القمر ووشك منور كده..

احتضن عمر مربيته وقبلها على رأسها وقال لها مبتسمًا:

_أنتِ بس عشان بتحبيني يا داده شايفاني زي القمر مش بيقولوا القرد في عين أمه غزال..

خبطت فردوس على صدرها وقالت ببساطه:

_بعد الشر قرد إيه يا عمر ده أنت قمر يا بخت اللي هاتتجوزك هاتاخد شاب زي القمر و باشمهندس قد الدنيا..

ضحك عمر من قلبه وقال لها وهو يدخل إلى مكتبه:

_والله ده أنتِ اللي زي القمر يا داده.. ياريت تعملي لي نسكافيه بإيدك الحلوة دي..

فتح عمر نافذة مكتبه ووقف ينظر منها كان الجو جميلًا رغم أنه لا يزال ليلة من ليالي الشتاء وكان القمر ينير السماء والهدوء يعم المكان كان عمر يرتشف من كوب النسكافيه الذي صنعته له فردوس وهو يفكر ببلقيس ويحدث نفسه:

_ياترى أنتِ فين دلوقتي يا بلقيس...

أنهى عمر مشروبه ونظر في ساعة يده كانت تشير إلى العاشرة والربع كان يستعجل الوقت حتى يقابلها شرد يفكر بها ويحدث نفسه:

_أيمكن أن تكون بلقيس ميتة.. مستحيل لقد أحسست بها بين ذراعي ليلة أمس وهي تراقصني.. لقد شممت رائحتها عن قرب وشعرت بأنفاسها الدافئة على رقبتي.. لقد كان شعرها يداعب وجهي.. مستحيل.. مستحيل تكوني ميتة يا بلقيس.. أخذ عمر يفكر فيما قالته له هايدي وهمسة وعم مصطفى لقد أجمعوا على أنها قد ماتت فمن هي إذًا التي تأتي له كل ليلة.. إن لم تكن بلقيس فمن تكون إذًا...

أفاق عمر على صوت داده فردوس وهي تقول له:

_عمر.. هو صاحبك جاي الساعة كام يا حبيبي..

قال لها عمر:

_الساعة اتناشر يا داده..

اندهشت فردوس وقالت له:

_ياه.. هو جاي متأخر قوي كده ليه..

ابتسم عمر وهو يقول لها:

_معلش يا داده أصله بيحب يسهر..

قالت له وهي مستنكرة:

_إيه يا بني ده.. لما هو جاي الساعة اتناشر هايمشي الساعة كام؟!..

نظر إليها عمر مبتسمًا ولم يرد فقالت له:

_طيب يا بني.. أنت متأكد إنك مش هاتحتجني أعمل لك حاجة.. هاتعرف تتصرف ضحك عمر وقال لها وهو يربت على كتفها بحنان:

_هاعرف أتصرف يا داده بلاش القلق ده يا حاجه.. اطلعي نامي وارتاحي قالت فردوس بحنان الأم:

_بس يا بني أسيبك كده مع صاحبك لايص وأطلع أنام.. ينفع الكلام ده يا عمر؟

قال عمر لداده فردوس وهو يقهقه من الضحك:

_لايص إيه يا داده بس.. دي شوية لحمة هاتتشوي على الفحم ..

وبعدين يا ستي أنتِ جهزتي كل حاجة.. يا داده هو أنا لسه طفل..

قالت له فردوس وهي تربت على كتفه بحنان:

_طيب يا حبيبي أنا هاطلع أنام ولو احتجت مني أي حاجة صحيني على طول..

ابتسم عمر وهو يقول لفردوس برقة:

_شكرًا يا داده.. تصبحي على خير..

صعدت فردوس إلى حجرتها وهي تحدث نفسها بأن عمر لم يعد صغيرًا ومن حقه أن يستمتع بوقته كما يحلو له .. عادت فردوس تفكر مرة أخرى بأن الوقت قد حان ويجب على عمر أن يتزوج ويأتي بفتاة تشاركه حياته لقد تأخر كثيرًا في الزواج..

كانت داده فردوس دائمًا تُحدث عمر بفكرة الزواج منذ أن أنهى دراسته الجامعية وحتى قبل سفره إلى الخارج وحصوله على درجة الدكتوراه وكثيرًا ما كانت تقول له:

_يا عمر يا بني العمر بيجري هاتفضل كده عايش لوحدك..

ودائمًا يكون رده عليها ضاحكًا:

_إزاي عايش لوحدي.. والقمر ده مش عايش معايا برضه ثم يقبلها ضاحكًا..

وعندما كانت فردوس تضغط على عمر بضرورة زواجه حتى أنها كانت تبحث له بنفسها عن بعض العرائس كان عمر يقول لها بجدية:

_يا داده أنا والله عايز أتجوز.. بس لازم تعرفي إني مش هاتجوز إلا بنت تسرق قلبي وتعرف إزاي تحرك مشاعري أنا مش هاتجوز لمجرد الجواز أنا مش عايز بنت عادية أنا عايز بنت تعرف إزاي تخليني مش قادر أستغنى عنها.. يا داده لو على البنات صدقيني هما مالين الدنيا بس أنا مش لاقي البنت اللي بدور عليها..

لم تكن فردوس تفهم ما يقوله لها عمر كانت دائمًا تنظر إليه وهي لا تدري عن ماذا يتحدث لم تكن تفهم أنه يبحث عن فتاة بعينها فكل الفتيات في نظرها سواء لا يهمها إلا أن تكون عروسة عمر فتاة حلوة ومؤدبه ومن عائلة عريقة تليق بعمر ولكن عمر كان يبحث عن مواصفات أخرى.. حقًا هو لم يكن يميل إلى الفتيات الجريئات ودائمًا كانت تروق له الفتاة الهادئة الرقيقة ولكنه كان

في أعماق نفسه يبحث عن فتاة تكون هي الحلم الذي لا يدري حقًا ما هو.....

يبحث عن أنثى تثير بداخله نيران الرجولة الكامنة في أعماقه تحت هذا المظهر الهادئ العميق.. يبحث عن ملاك طاهر يخاف أن يجرح براءته بنظرة.. يبحث عن زهرة تجرحه أشواكها..... يبحث عن عقل يحاكي عقله ببراعة ...

يبحث عن طفلة تثير جنونه بشقاوتها.. ربما كان عمر يبحث عن فتاة تكون هي الدنيا بالنسبة له بجمالها وغرورها.. بغموضها ووضوحها بآمالها وأحلامها.. بعطائها وأخذها.. بحنانها وقسوتها.. بجموحها الذي هو بلا حدود..

كان عمر ينهي بعض الرسومات الهندسية الخاصة بعمله وينظر إلى ساعة يده من وقت إلى آخر حتى أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشر والنصف.. نهض عمر من على الطاولة الخاصة بأعماله وأغلق نور مكتبه ونزل إلى الحديقة وبدأ في إشعال الفحم الموضوع فوق الشواية وبعد أن اشتعل الفحم جيدًا صعد مرة أخرى وأحضر إناء اللحم المتبل وفي أثناء نزوله تذكر أن بلقيس تحب الموسيقى الناعمة فأحضر معه جهاز الكاسيت وإحدى الأسطوانات.. عندما نزل عمر أدار الموسيقى الناعمة وبدأ في رص قطع اللحم على الشواية وجد عمر أن داده فردوس قد صنعت له أيضًا بعض أصابع الكفتة ووضعتها له في أسياخ صغيرة كذلك بعض صدور الدجاج المتبلة ابتسم عمر وشعر بالسعادة لما صنعته داده فردوس كان منهمكًا في وضع الأشياء فوق الشواية فلم يشعر بقدوم بلقيس إلا عندما سمع صوتها الناعم وهي تقول له برقة شديدة:

_الله .. إيه الريحة الحلوة دي أنا شمتها من قبل ما أدخل..

ضحك عمر واقترب منها وهو يمسح يديه بمنديل ورقي ويقول لها:

_عجبتك فكرتي..

قالت له بدلال:

_فكرتك حلوه خالص أنا بحب المشويات..

وقف عمر يتأمل بلقيس بانبهار شديد كانت اليوم في قمة فتنتها وجمالها في فستان أبيض ينساب على جسدها في نعومة فائقة كان طويل نسبيًا عما كانت ترتديه من قبل وكانت ترتدي في قدميها بوت أبيض أما شعرها فقد رفعته إلى أعلى وأحاطته بتاج من الفل وارتدت في أذنيها قرطًا طويلًا من اللؤلؤ الأبيض

كانت بلقيس بحق تبدو كأميرة قد توجت حديثًا على عرش مملكتها.. كان فستانها الأبيض وبشرتها البيضاء مع شعرها الأسود الفاحم يصنعان براءة شديدة ممزوجة برومانسية ساحرة.. كان عمر يقف مشدوهًا مفتونًا بها وقد نسى نفسه وكل شيء حوله.. اللحم الموضوع فوق الشواية والموسيقى التي تناسب من الكاسيت والكلام الذي يريد أن يقوله لبلقيس لدقائق نسى عمر من هو وأين يقف وما الذي يفعله توقف الزمن حوله لبضع دقائق ثم أفاق على صوت بلقيس تقول له بنعومة مخدرة وصوت هامس وابتسامة رقيقة على شفتيها:

_مالك يا عمر.. أنت بتبص كده ليه..

خجل عمر من نفسه فمشى نحو الشواية يتفقد اللحم الموضوع فوقها ولم ينطق.. تبعته بلقيس وقالت له بعذوبة:

_تحب أساعدك..

ضحك عمر وقال لها:

_بتعرفي تشوي..

قالت له ضاحكة:

_أجرب..

قال لها عمر مبتسمًا وهو يعطي لها شيء مصنوع من المعدن:

_امسكِ ده يا بلقيس.. هاتقلبي بيها قطع اللحمة وأنا هطلع أجيب السلطات والعيش... بس خلي بالك من نفسك أحسن نار الشواية حامية..

ضحكت بلقيس بشقاوة وهي تقول له:

_ماتخفش عليا يا عمر..

وقف عمر ينظر إلى بلقيس وهو متردد في تركها مع الشواية يخاف عليها وعندما وجدته مترددًا قالت له ضاحكة:

_فين السلطات يا عمر.. ويا ريت تجيب العيش عشان نسخنه على الشواية..

جاء عمر بعد حوالي عشر دقائق وهو يحمل صينية عليها السلطات التي صنعتها فردوس وأكواب وزجاجة ماء معدنية وعصائر وضعها كلها فوق الطاولة ثم أخذ الطبق الموضوع به الخبز وناوله إلى بلقيس وهو يقول لها

مبتسماً:

_ياترى عرفتي تتصرفي ولا حرقتي اللحمة..

ضحكت بلقيس بشقاوة طفلة صغيرة وقالت لعمر ببراءة شديدة:

_أنت ماعندكش ثقة فيه يا عمر.. أنا شطوره خالص.. أنا هاكلك أحلى لحمه مشويه ..

ضحك عمر ونظر إليها وهو مندهشًا كانت بلقيس في تلك اللحظات كأنها طفلة بريئة وقف يراقبها وهي تقلب اللحم وتنظر إليه من وقت لآخر وهي مبتسمة برقة ممزوجة بشقاوة حدث عمر نفسه قائلاً:

_أنا فعلاً مش قادر أفهمك يا بلقيس... أنا حاسس زي ما أكون واقف قدام طفلة بريئة مش عارفه أي حاجة في الدنيا.. أنت فعلاً كل يوم بشخصية جديدة .. أفاق عمر من شروده على صوت بلقيس وهي تقول بفرحة وهي تضع قطع اللحم والدجاج فوق سرفيس كبير:

_يا سلام عليكِ يا بلقيس.. تسلم ايدك.. شفت بقى يا عمر أنا شطوره إزاي..

ضحك عمر من قلبه لشقاوتها وقال لها وهو لا يزال يضحك:

_أنت مبسوطة قوي بنفسك يا بلقيس.. أنت يا دوب قلبتي اللحمة.. قالت له معترضة وقد اتسعت عينيها ببدهشة بريئة وطفولية:

_لا يا عمر أنا شويت اللحمة..

اقترب منها عمر وهو مبتسمًا وقد تملكه شعور بأنه يريد أن يداعبها كما يداعب الإنسان طفلة صغيرة في الثالثة من عمرها فقال لها بإصرار:

_لأ يا بلقيس أنت قلبتيها بس..

قالت له بتحدي طفولي:

_لأ يا عمر أنا اللي شويتها..

انفجر عمر ضاحكًا مرة أخرى على طريقتها التي تتحدث بها بجدية شديدة وإصرار وهي تنظر إليه بعينيها الواسعتين ببراءة شديدة .. عندما وجدته بلقيس يضحك بشدة اغتاظت وقالت له بإصرار وكأنها طفلة صغيرة على وشك البكاء:

_أنا يا عمر اللي شويتها.. أيوه أنا اللي شويت اللحمة..

لم يستطع عمر أن يتوقف عن الضحك لإصرارها العجيب وتشبثها بشيء

ليس له أهمية قالت له بلقيس وقد بدأ وجهها يحمر من الغيظ: أنت بتضحك عليا يا عمر والله أسيبك وأمشى ....

أشار لها عمر بسرعة بيديه وقال لها وهو يحاول السيطرة على نفسه حتى لا يستمر في الضحك ويغيظها:

لأ يا بلقيس أنا مش بضحك عليكِ.. أنا بس مستغرب بصراحة أنتِ عاملة زي البيبي الصغيرة خلاص ياستي ولا تزعلي أنتِ اللي شويتي اللحمة.. أكيد هاتطلع حلوة عشان شوتيها بإيدك الحلوة دي..

أغمضت بلقيس عينيها ورفعت رأسها بثقة شديدة وهي تقول:

_أكيد طبعًا..

ابتسم عمر وهو يقاوم نفسه بشدة حتى لا يضحك فتغضب منه بلقيس .... بعد انتهاء عمر وبلقيس من تناول عشاءهما بشهية كبيرة قال لها مداعبًا:

_تسلم ايدك..

ضحكت بلقيس ضحكة عالية وهي تقول له بدلال:

_ميرسي يا عمر.. عاجبك طبخي..

هز عمر رأسه وهو يقول لها مبتسمًا:

_هايل..

قالت بلقيس لعمر وهى تتلفت نحو أحواض الزهور:

_ريحة الزهور جميلة جدًا... أنت زارع عندك مجموعة حلوه منها..

قال لها عمر وهو ينظر بعينيها:

_أنتِ بتحبي الزهور..

قالت له بلقيس برومانسية:

_بحبها جدًا.. أنا عندي في الجنينة بتاعتي كل أنواع الزهور حتى النادر منها

نهض عمر من كرسيه وهو يقول لها:

_الحقيقة يا بلقيس أنا عندي بس الزهور البلدي والقرنفل والياسمين.. أنا مش بفهم قوي في أنواع الزهور لكن أكيد بتعجبني جدًا ريحتها..

نهضت بلقيس بدورها ومشت بجوار عمر وهي تقول له:

_مش بتفهم في أنواعها.. لكن يا ترى بتفهم في لغتها..

نظر إليها عمر وقال بهمس:

_تفتكري إن الزهور لها لغة فعلًا زي ما بيقولوا..

قالت له بلقيس برقة شديدة وهي تنظر داخل عينيه برومانسية حالمة:

_أكيد يا باشمهندس الزهور لها لغة... لأن كل حاجة في الدنيا بيكون لها لغة الطيور لها لغة والحشرات لها لغة والعيون لها لغة..

نظر عمر بدوره داخل عينيها وهو يقول لها:

_بس يا بلقيس لغة الزهور دي إحنا اللي عاملناها.. أقصد الناس هي اللي حطيت أبجديتها...

قالت له ولا تزال تلك النظرة الحالمة بعينيها:

_مش مهم مين اللي عمل اللغة دي.. المهم إن بقى فيه لغة للزهور يقدروا العشاق يتفاهموا بيها..

وقف عمر مكانه وهو ينظر إليها كانت بلقيس تنطق تلك الكلمات بطريقه رومانسية هامسة وشديدة الرقة تفتح أي قلب موصد وتدخل إليه بسهولة حتى أن عمر استدار نحو حوض الزهور ليقطف لها زهرة .. مد يده نحو زهرة جميلة ومتفتحة لونها أحمر وعندما كان يقطفها انغرست أشواكها بأصبع عمر فتألم بصوت خافت ولكن سمعته بلقيس فاقتربت من عمر وهي تقول له بقلق:

_مالك يا عمر..

ناولها الزهرة وهو يبتسم لها وقال:

_شوكها جرحني..

أخذت منه بلقيس الزهرة وهي تبتسم له بعذوبه وتقول له:

_ميرسي يا عمر خالص.. بس وريني ايديك..

وضعت بلقيس الزهرة على كرسي كان قريبًا منها ثم أمسكت بيد عمر تتفحصها فوجدت أن الشوكة قد جرحت إصبعه حتى أنه آخرج قطرات من دمه فانزعجت بلقيس وقالت له:

_ده دم يا عمر الشوكة جرحتك..

قال لها عمر برقة:

_ده جرح بسيط يا بلقيس..

ذهبت بلقيس إلى الطاولة الموضوع عليها حقيبتها فآخرجت منها مناديلها المعطرة وأخذت واحدًا منها ثم ذهبت إلى عمر الذي كان لا يزال يقف في مكانه وهو يراقبها صامتًا.. أمسكت بلقيس بيده مرة أخرى ثم أخذت تمسح قطرات الدم من إصبعه بمنتهى الرقة ثم رفعت إصبع عمر إلى شفتيها وقبلته برقة شديدة وعذوبة أشد وهي تقول له بهمس:

أنا آسفة خالص يا عمر.. أنا حاسة إني أنا السبب لأن الوردة دي كانت ليه..

بس لازم تخلي بالك وتعرف إن الزهور الحلوة لازم بيكون عليها أشواك بتجرح.. اندهش عمر بشدة لما فعلته بلقيس بتقبيلها لإصبعه بتلك الرقة وكاد أن يذوب من حرارة شفتيها والتي كان لا يزال يشعر بها على إصبعه ولمساتها الحانية وهي تمسح له قطرات الدم برقه شديدة لكن لم يفهم عمر ما تقصده بلقيس بكلماتها تلك أتقصد أشواك الزهرة التي أعطاها لها بكل بساطة أم أنها ترمي بكلامها هذا إلى أشياء أبعد وأعمق من مجرد أشواك زهرة جرحت إصبعه.. كانت دائمًا كلمات بلقيس مغلفة بالغموض وترمي إلى أشياء أعمق من مجرد تلك الكلمات التي تخرج من بين شفتيها دائمًا كانت لكلماتها معنى قريب يفهمه جيدًا و معنى بعيد لا يفهمه أبدًا....

رفعت بلقيس إصبع عمر إلى شفتيها وقبلته مرة أخرى بنفس تلك الطريقة الرقيقة لم يتحمل عمر كل تلك الرقة فأمسك بيد بلقيس وقبلها بشوق ثم مسح بيدها على وجهه ورفع ذقنها بيده الأخرى وهو ينظر بعينيها بلهفة واقترب منها أكثر عندئذ سحبت بلقيس يدها من يد عمر وابتعدت عنه وهي تقول له ببرود وكأنها قد تحولت إلى إنسانة أخرى غير تلك التي كانت تقبل إصبعه منذ دقائق:

_أنت نسيت القواعد ولا إيه يا عمر..

نظر إليها بدهشة شديدة وقال لها:

_قواعد إيه يا بلقيس؟!

قالت له بنفس البرود وهي تبتعد عنه:

_الأربع خطوات..

صُدم عمر من كلامها فأشاح بوجهه إلى الناحية الأخرى ولم يرد عليها ولكنه استمر يمشي بجوارها وهي تبتعد عنه تلك المسافة التي وضعتها هي..

قطعت بلقيس الصمت قائلة لعمر:

_أنا عايزه أطلب منك خدمة يا عمر.. أو يعني هي مش خدمة بالضبط هو شغل..

قال لها عمر وهو يحاول أن يتصنع البرود وإن كان بداخله يغلي من تحول شخصية بلقيس بتلك الطريقة من النقيض إلى النقيض:

_عايزه إيه يا بلقيس..

قالت له بجديه وهي تشير إلى الكراسي الموضوعة:

_تعالى نقعد لأن الموضوع مهم بالنسبة ليا..

اندهش عمر وشعر بالفضول فتبعها وجلسا على كرسيين متقابلين.. قالت له بلقيس:

أنا عايزاك يا عمر تعملي رسم هندسي لمجمع فيه مدرسة ودار للأيتام وجامع ومشغل ومصنع يعني اعملي التصميم بتاعه.. وعايزه مستشفى كمان..

قال لها باهتمام:

_أنا مش فاهم أنت عايزه تصميم زي ده ليه؟

قالت له:

مش أنت قلت لي إن لازم يكون ليا هدف في الحياه.. أنا النهارده طول النهار وأنا بفكر في كلامك ليا إمبارح ولقيت إن أنا فعلًا ماليش هدف يا عمر حياتي كلها تافهة..

اندهش عمر لكلامها وقال لها بحنان:

_مش للدرجة دي يا بلقيس مافيش حد كل حياته تافهة...

نظرت إليه وهي تقول بحزن:

_أنا يا عمر.. أنا كل حياتي تافهة ومالهاش لازمه.. أنا اكتشفت السبب اللي مخليني مش سعيدة..

قال لها عمر باهتمام شديد:

_إيه هو يا بلقيس.. إيه هوه اللي مخليكِ مش سعيدة
قالت له:
_أنت عارف يا عمر أنت اللي قلت لي عليه.. إني ماليش هدف
ابتسم عمر برقة وقال لها بهدوء:
_يعني عرفت هدفك يا بلقيس بالسرعة دي..
قالت له:
_الموضوع مش صعب أبدًا كل الحكاية إن الإنسان محتاج يفكر شويه وبجدية في اللي هو عايز فعلًا يعمله في حياته.. سكتت بلقيس قليلًا ثم أكملت كلامها قائلة:
_الحياة يا عمر أقصر من اللي إحنا متصورينه.. يعني لو متنا وإحنا عندنا ستين سنه زي ما نموت وإحنا عندنا ثمانين سنه زي ما نموت وإحنا عندنا ثلاثة وعشرين سنة مش هاتفرق لأن السنين بتجري وبتعدي بسرعه وإحنا مش حاسيين بيها ومعاك حق ما دُمنا مش عارفين هدفنا ولا إحنا عايزين نعمل إيه في الحياة دي بالضبط هانفضل عايشين وكأننا ميتين مش حاسيين بالسعادة..
قال لها عمر:
_أنت النهارده فيلسوفة..
قالت له بلقيس باستعطاف:
_أنا عايزاك تساعدني يا عمر..
قال لها عمر على الفور:
_أنا تحت أمرك يا بلقيس قولي لي عايزه إيه وأنا أعمله على طول..
قالت له:
_ما أنا قلت لك يا عمر..
قال لها:
_تقصدي تصميم المجمع .. بس أنا مش فاهم إشمعنى مدرسه ودار أيتام وجامع ومصنع قالت له مبتسمه:
_الحقيقة يا عمر أنا طول عمري بيصعب عليا الناس الفقراء وخصوصًا لما

يكون فقيروجاهل لأن فقره بيحرمه من حاجات كتيروجهله بيخليه مش فاهم حاجات أكترولما بيجتمع مع الأثنين دول المرض بتكون المصيبة أكبر..

أنا بكره الجهل عشان كده فكرت في المدرسة ونفسي إن كل إنسان فقير يقدر يلاقي علاجه بسهوله عشان كده فكرت في المستشفى والجامع عشان يصلوا ويتعلموا دينهم والمصنع عشان يشتغلوا ويعملوا حاجة مفيدة يكسبوا منها فلوس بدل ما هما قاعدين في الشوارع يمسحوا عربيات..

قال لها عمر

_إيه يا بلقيس أنت بتحلمي بالمدينة الفاضلة ولا إيه..

قالت له بغضب:

_في إيه يا عمر مش عاجباك فكرتي.. ليه بتستخف بيها أنا طول عمري مش عارفة أنا عايزه إيه بالضبط وإيه الطريق الصحيح اللي أنا عايزه أمشي عليه.. النهارده الصبح بس حسيت إني عرفت إيه هو أول الطريق ده.. على العموم لو أنت مش عايز تساعدني أنا ممكن أروح لأي مهندس تاني يعملي الشغل اللي أنا عايزاه..

ابتسم عمر وقال لها بصدق:

_أنا آسف يا بلقيس.. أنا مش قصدي أستخف بفكرتك بالعكس ده حلم جميل جدًا...

قاطعته قائلة:

_ده مش حلم ..هايبقى حقيقه إن شاء الله

نظر إليها عمر وهو يقول بجديه:

_بس أنتِ عارفه مشروع زي ده هايكلف كام..

قالت له بعدم اهتمام وهي تهز كتفيها:

_مش مهم.. يكلف زي ما يكلف..

قال لها عمر:

_هايكلفك كتير قوي يا بلقيس.. ملايين..

نهضت بلقيس من فوق كرسيها وأخذت تمشي ببطء وهي تقول لعمر ببطء وهدوء:

_أنا مستعدة يا عمر أصرف كل ثروتي.. أدفع كل فلوسي وأشتريها بأي ثمن..

فنهض عمر بدوره وسار خلفها وقد اندهش من كلامها ولم يفهم ما تقصده فقال لها مستفسرًا:

_هي إيه يا بلقيس اللي أنتِ مستعده تشتريها بكل فلوسك؟!..

استدارت بلقيس ووقفت في مواجهة عمر وقالت له بإصرار عجيب:

_السعادة.. السعادة يا عمر.....

استغرب عمر لكلامها ولم ينطق ووقف ينظر إليها بضع دقائق ثم قال لها بهدوء شديد:

_طيب.. أنتِ عرفتي منين إن سعادتك هتكون في المشروع ده.. مش يمكن يكون مش ده هدفك..

اقتربت بلقيس من عمر خطوة واحدة ونظرت داخل عينيه نظرة جعلته يشعر أنه يقف أمام امرأة عمرها قرون ثم حدثته بصوت سمع صداه في أذنيه كأنه يجئ عبر العصور قائلة له:

_يا عمر أنا عشت كل متع الدنيا.. عملت كل حاجة ممكن تتصورها وزرت كل مكان تقدر تتخيله شفت ناس كتير وحبوني ناس كتير وكرهوني ناس أكتر.. أكلت كل حاجة نفسي فيها ولبست أي حاجة أنا عايزاها.. لكن رغم كل ده يا عمر دايمًا كنت بحس إن فيه حاجة ناقصاني ومش عارفه هي إيه .. في الآخر أنا مش سعيدة.. السعادة كنت بحسها في أوقات بسيطة جدًا لما كنت أساعد إنسان ضعيف محتاج مساعده أو شخص فقير محتاج فلوس.. النهارده يا عمر أنا لفيت في الشوارع بعربيتي حوالي خمس ساعات دخلت أحياء فقيرة واتفرجت على الناس هناك وحسيت بشعور غريب إني لازم أحاول أساعد الناس دي.. يا عمر ثروتي ما قدرتش تخليني أحس بالسعادة عشان كده أنا فرحت قوي لما جت لي فكرة المجمع ده وأنا بتفرج على الناس دي.. يمكن ثروتي تقدر تساعدهم ومن خلال مساعدتي ليهم يمكن أحس بالسعادة... تعاطف عمر مع بلقيس كثيرًا وقرر أن يساعدها بكل قوة.. فقال لها بحماس:

_حاضر يا بلقيس أنا هاصمم لك المُجمع اللي أنتِ عايزاه وهاساعدك عشان تبنيه زي ما أنتِ عايزه..

ابتسمت بلقيس بفرحة حقيقية وقالت لعمر برقة متناهية:

_ميرسي خالص يا عمر.. أنا كنت عارفه إنك هاتساعدني لآنك إنسان نبيل..

وقف عمر عن المشي ووضع يديه داخل جيوب بنطلونه الجينز وقال لبلقيس بعطف وهو ينظر إليها بحنان:

_بس أنتِ يا بلقيس لسه صغيره .. يعني إيه عشت كل متع الدنيا وعملت كل حاجة وزرت كل مكان أكيد لسه في حاجات كثيرة حلوه في الدنيا..

قالت له بلقيس: تديني كام سنة يا عمر؟..

ضحك عمر وقال لها:

_تفتكري في ست تسأل السؤال ده..

قالت له بلقيس وهي تتمشى بدلال:

_أنا.. تديني بقى كام سنة..

قال لها عمر بابتسامة عذبة:

_مش عارف يا بلقيس.. يمكن خمسه وعشرين..

اقتربت بلقيس من عمر خطوة ونظرت إليه تلك النظرة المتوحشة والتي تفيض بتلك الأنوثة الخطيرة والتي يخشاها عمر كثيرًا لأنها تسمره في مكانه وتجعله يغيب عن كل شيء حوله إلا تلك العنين التي تلتهمه التهاما.. قالت له بصوت شديد النعومة وهي تقترب منه ببطء شديد:

_لأ.. غلط.. مش خمسة وعشرين.. تفتكر كام..

كانت بلقيس تقطع كلامها بدلال وهي تتحرك نحو عمر حتى إنها قد اقتربت منه كثيرًا وأطاحت بقاعدة الأربع خطوات التي وضعتها ووقفت أمام عمر تكاد تلتصق به لا يفصلها عنه سوى مسافة صغيرة رفعت رأسها إليه ونظرت بعينيه وهي تقول له بهمس حرك مشاعر عمر بعنف وجعله يشعر أنه لم يعد يحتمل ما تفعله به بلقيس :

_إيه.. مش عارف تديني سن ...

صمت عمر ولم ينطق كان ينظر إليها وهو يفكر لماذا تفعل به بلقيس كل هذا لماذا تتلاعب بمشاعره بتلك الطريقة تقترب منه وتبتعد وقتما تريد لا يهمها ما يشعر هو به ..أفاق عمر من أفكاره على صوتها تقول له وهي لا تزال تهمس:

_إيه.. الموضوع صعب قوي كده.. أنا يا عمر عندي ٨٠٣٥,٥ سنة إيه رأيك شفت أنا صغيرة إزاي...

اندهش عمر بشده ووقف ينظر إليها وهو لا يدري ما الذي تقصده بلقيس كيف يمكن أن يكون عمرها ٨٠٣٥,٥ عامًا كيف يمكن هذا.. هل هي تستهزئ به.. انفجرت بلقيس ضاحكة عندما وجدت عمر مندهشًا إلى هذه الدرجة بدأت تبتعد عنه مرة أخرى حتى وقفت مسافة أربع خطوات بعيده عنه ثم قالت له بجدية ولكنها لا تزال تبتسم:

_أنا يا عمر عمري الحقيقي تسعة وعشرين سنة لكن من وقت ما كان عندي سبع سنين وأنا باستمتع بكل يوم في حياتي بعمل كل اللي أنا عايزاه يعني بقالي اثنين وعشرين سنه بعمل كل حاجة أنا عايزاها ووقت ما تخطر على بالي .. والسنة ٣٦٥,٢٥ يوم لو حسبناها ٢٢ سنة × ٣٦٥,٢٥ يوم يبقى ٨٠٣٥,٥ يوم وبما إني باستمتع بكل يوم من عمري وكأنه سنة يبقى أنا عندي ٨٠٣٥,٥ سنة عشان كده يا عمر أنا حاسة إني عشت كتير قوي...

لم يرد عليها عمر كان غارقًا في أفكاره مندهشًا لأمر بلقيس التي تتحدث وكأنها فيلسوفة بل هي بحق تفلسف الأمور بطريقة مدهشة ولكنها على الرغم من استمتاعها بحياتها ورجاحة عقلها وجمالها وشبابها وثروتها لا تشعر بالسعادة.. تعجب عمر كثيرًا كيف لتلك المخلوقة الرائعة ألا تشعر بالسعادة رغم أنها تمتلك كل مقوماتها.. تولد لدى عمر شعور بأنه يريد أن يجعلها سعيدة بل لقد خالجه شعور قوي بأنه مسئول عن سعادتها....

قطعت بلقيس عليه أفكاره وهي تقول له مبتسمة وقد بدأت تقترب منه مرة أخرى:

إيه الحكاية يا عمر.. أنت ساكت خالص من فترة طويلة سرحان في إيه أنا عماله أتكلم وأنت بتبص لي وبس..

كانت بلقيس قد اقتربت من عمر مرة أخرى وطوت تلك الخطوات الأربع ووقفت تنظر إليه بتلك الطريقة والتي يشعر معها عمر بالخطر ولكنها هذه المرة رفعت إصبعها وأخذت تمشى به ببطء مثير على شفتي عمر وهي تنظر بعينيه نظرة فجرت داخل عمر مشاعر كثيرة متناقضة فهو يريد أن يضمها إلى صدره

ويريد أن يصفعها على وجهها لأنها تتلاعب به بتلك الطريقة.. أمسك عمر إصبعها بقوة وأنزل يدها إلى جانبها وهو يقول لها بحزم:

_أنا مش هاسمح لك أبدًا إنك تلعبي بيا بالطريقة دي..

اندهشت بلقيس وتراجعت إلى الخلف وهي تقول له بعجرفة:

_يعني إيه بقى مش هاتسمح لي... أنا يا عمر أعمل اللي أنا عايزاه في الوقت اللي أنا عايزاه..

غضب عمر من كلامها وقال لها بعنف وقد استفزته كلماتها:

_مش معايا يا بلقيس.. لازم تعرفي إني مش لعبه في ايدك..

شبكت بلقيس يديها على صدرها ووقفت تنظر إلى عمر وكأنها نمرة على وشك الانقضاض وقالت له بهدوء مستفز وعجرفة وغرور أثارا غضب عمر بشدة:

_بس يا عمر أنا حاسة إنك لعبه في إيدي....

شعر عمر بإهانة بالغة وتملكه غضب شديد من كلام بلقيس المهين له والذي لم يتخيل أن تقوله له.. ورغم هدوء عمر الشديد إلا أنها قد أثارت غضبه بشده حتى أن صوته قد ارتفع وهو يقول لها بغضب ويشير بإصبعه ناحيتها:

_عارفه لو ما كنتيش بنت كنت عرفت أتصرف معاكي..

قالت له ببرود شديد:

_يعني كنت هاتعمل إيه هاتضربني.. طيب اضربني .. ثم بدأت تقترب منه..

استشاط عمر غيظًا وقال لها وهو يشير نحو باب الحديقة:

_امشي يا بلقيس من قدامي دلوقتي..

احمرّوجه بلقيس من الغضب وقالت له بحدة:

_أنت بتطردني من بيتك يا عمر.. مش عيب كده..

قال لها عمر بعنف:

_أنتِ أصلاً ما تعرفيش العيب, فاكره إنه من حقك تهيني الناس وقت ما أنتِ عايزه... امشي من قدامي يا بلقيس.. أنا مش عايز أشوفك..

تجمعت الدموع في عيني بلقيس ومن شدة غضبها وقفت تتلفت يمينًا

ويسارًا كأنها طفلة غاضبة تريد أن تكسر أي شيء.. وقعت عينيها على الطاولة فاندفعت ناحيتها وأطاحت بها بعنف فانقلبت على الأرض بما عليها من أطباق وأكواب كانت موضوعة فوقها وبقايا عشاءها هي وعمر ثم خرجت تجري مندفعة من باب الحديقة إلى البوابة الرئيسية..

جلس عمر على أقرب كرسي له وقد علت أنفاسه من شدة الغضب وهو لا يتصور أبدًا ما حدث كيف لبلقيس أن تهينه بتلك الطريقة.. كيف تقول له أنه لعبة في يديها كان يتملك عمر غضب شديد من بلقيس حتى أنه تركها تخرج من الحديقة بعد أن طردها ودون أن يخرج خلفها.. شعر عمر أنها قد أهانته بشدة فحدث نفسه قائلاً وهو يسمع صوت محرك سيارة بلقيس يدار والعجلات تحتك بعنف فوق الأسفلت :

_أنا مش عايز أشوفها تاني أبدًا..

نظر عمر إلى الطاولة المقلوبة على الأرض والأطباق وبقايا الطعام المتناثرة يمينًا ويسارًا وهز رأسه وهو يقول:

_البنت دي أكيد مجنونة..

صعد عمر إلى غرفته وارتمي على فراشه وهو يشعر بأنه منهك نفسيًا وجسديًا ومن العجيب أنه راح في سبات عميق.. كان نوم عمر بمثابة الهروب مما يعانيه نفسيًا مما فعلته به بلقيس لقد أحس عمر بأن بلقيس قد أهانت كبريائه وجرحت كرامته بشدة.. كان عمر يمتاز بالرجولة الشديدة وبأن كرامته وكبريائه تاج فوق رأسه لم يكن يسمح أبدًا لأي إنسان مهما كان بأن يقترب من هذا التاج أو أن يحاول أن يخلعه من فوق رأسه لذلك انفعل عمر بشده على بلقيس لأنه أحس بأنها قد مدت يدها إلى هذا التاج الذي يتحلى به بل وقد خلعته من فوق رأسه بكلماتها تلك وأطاحت به بعيدًا....

الفصل الحادي عشر

عندما نهض عمر من فراشه في صباح اليوم التالي كان يشعر بأنه منهك تمامًا بسبب ما يعانيه من آلام نفسيًا انعكست بدورها على جسده فشعر أنه ثقيل لا يطاوعه حتى على النهوض من الفراش..

كان عمر مستلقيًا على ظهره يحدق بسقف الغرفة وليست لديه أي رغبة في النهوض من فراشه فهو لا يرغب اليوم في الذهاب إلى عمله أو مقابلة أحد من أصدقائه ولا يرغب حتى في رؤية داده فردوس أو الحديث معها سوف تسأله عما به وهو لا يريد أن يتحدث إلى أحد ..

سمع دقات على الباب وصوت فردوس يقول له:

_إيه يا عمريا حبيبي أنت لسه نايم.. الساعة بقت عشرة أنت اتأخرت قوي..

لم يرد عمر عليها أحس بها وهي تفتح باب الغرفة فتظاهر بالنوم لا يريد أن يتحدث مع أحد... دخلت فردوس واقتربت منه وربتت على رأسه بحنان وهي تقول بصوت هامس:

_عمر.. مش هتصحى يا حبيبي..

لم يرد عمر واستمر في تظاهره بالنوم وهو يغمض عينيه.... خرجت فردوس من الغرفة وهي تحدث نفسها قائلة بصوت منخفض وإن كان عمر قد سمعه جيدًا:

_والله ما أنا عارفه إيه اللي حصل لك يا عمريا بني.. ربنا يصلح لك الحال..

ثم أقفلت ورائها الباب بهدوء..

عندما شعر عمر بخروجها نهض ببطء من فراشه وهو يشعر بحزن غريب كان يراوده شعور بالتعاسة والإحباط كأنه كان على وشك أن يمسك بشيء ظل

يبحث عنه طيلة عمره ثم فجأة ضاع منه قبل أن يدركه .. لم يخرج عمر من غرفته طيلة اليوم وعندما كانت داده فردوس تصعد إليه تجده إما مستلقى على فراشه يحدق بالسقف أو هو واقف بالشرفة وقد عقد يديه على صدره وينظر إلى الفضاء أمامه وإما جالس على كرسي وقد وضع رأسه بين يديه شاردًا لا يشعر حتى بدخولها وفي كل تلك الأحوال لم يتحدث معها إلا بضع كلمات قليلة وهي تحاول أن تعرف ما به لكنه لم يقول لها أبدًا بل يكتفي بقوله:

_أنا كويس يا داده..

لم تقتنع فردوس برده هذا لأنها تراه بعينيها ليس عمر الذي تعرفه لم يكن هذا حاله أبدًا حتى الطعام كانت تصعد له به ثم تنزل بعد قليل وهي تحمل الصينية لم يلمس منها شيء.. شعرت فردوس بالقلق الشديد على عمر ثم فكرت في أن محسن البواب ربما يعرف شيء فخرجت وهي تنادي عليه.. كان محسن ينظف سيارة عمر عندما وجد فردوس مقبلة عليه فقال لها:

_صباح الخير يا حاجة.. هو الباشمهندس عمر مش ناوي يروح الشغل النهاردة ..

قالت له فردوس:

_أنت لسه بتنضف العربية دلوقتي يا محسن أنت مش عارف إن الباشمهندس بيخرج بدري..

قال لها محسن وهو لا يزال يلمع زجاج السيارة:

_والله يا حاجة أنا منضفها من الساعة ستة.. بس لاقيت التراب اتكوم عليها تاني.. وخفت أحسن الباشمهندس ينزل دلوقتي..

اقتربت فردوس من محسن وقالت له وهي تحاول أن تجعل صوتها منخفضًا بعض الشيء حتى لا يسمعها عمر أو زوجة محسن:

_قلِ يا محسن أنت شفت الضيف اللي جه إمبارح لعمر..

توقف محسن عن مسح زجاج السيارة ونظر إليها ببلاهة ولم يرد فعادت تقول له:

_قصدي صاحب عمر اللي زاره إمبارح بالليل واتعشى معاه ..إتخانقوا مع بعض ولا حاجة.. قصدي يعني ماسمعتوش قال عمر حاجة إمبارح زعلته..

استمر محسن ينظر إليها بتلك البلاهة ثم مسح على رأسه وهو يقول لها:
_مش فاهم يا حاجه.. يعني تقصدي إيه..
انفعلت فردوس من غبائه وقالت له بحدة:
_أنت يا واد أنت عبيط.. أنا يا بني باقول فزورة.. إيه اللي أنت مش فاهمُه.. باقولك الضيف اللي جه إمبارح لعمر زعله في حاجة ولا أنت كنت نايم ومش دريان بعشتك..
قال لها محسن:
_الحقيقة يا حاجة أنا كنت نايم، بس صحيت بعد كده على صوت حاجات بتكسر وبعدين لما خرجت من أوضتي شفتها وهي بتجري وركبت عربيتها ومشيت بسرعة اندهشت فردوس بشدة وقالت له باستغراب:
_هي مين دي يا عبيط أنت... الضيف اللي كان موجود إمبارح واحد صاحب عمر..
حكّ محسن رأسه وقال لها بغباء:
_ما أنت يا حاجة عمالة تلخبطيني وتقولي ضيف وهي ضيفة .. ست مش راجل..
اتسعت عيني فردوس من الدهشة وقالت له:
_ست..
قال لها محسن مؤكدًا:
_أيوه يا حاجة فردوس.. دي بتيجي تزور الباشمهندس وتقعد معاه أديلها يجي خمس ليالي..
عقدت الدهشة لسان فردوس فلم تنطق فقال لها محسن:
_أنتِ ماكنتيش تعرفي إنها بتيجي..
ردت عليه فردوس وهي شاردة تفكر وكأنها تحدث نفسها:
_هي مين دي اللي بتيجي..
قال لها محسن:
_الست الحلوة دي يا حاجة اللي كانت جت يوم المطرة وعربيتها اتعطلت
نظرت فردوس إلى محسن باستغراب شديد وقالت له:

_بلقيس..

ضحك محسن وأشار بإصبعه ناحيه داده فردوس وهو يقول:

_أيوه أنا عمال أفتكر في اسمها الغريب ده..

اقترب محسن من فردوس وقال لها بصوت منخفض كأنه سوف يدلي لها بسر:

_أصل يا حاجه الباشمهندس كان قال لي إني أسيب البوابة مفتوحة كل يوم الساعة اتناشر بليل وأدخل أنام وهي كانت بتيجي كل يوم في نفس المعاد عشان كده أنا لما سمعت الحاجات دي بتكسر وشفتها بتجري خفت أروح أسأل الباشمهندس أحسن يزعق لي.. حاكم هو طيب وزي العسل بس لما بيزعل بقى بخاف أكلمه ..نظرت فردوس إلى محسن ولم ترد عليه لأنها كانت مشغولة الفكر لا تدري لما تأتي إليه بلقيس في منتصف الليل كل يوم ولما لم يقل لها عمر ذلك بل كان يُخفي عنها هذا الأمر أفاقت على صوت محسن يقول لها:

_على العموم أنا لميت كل الحاجات اللي اتكسرت ونضفت الجنينة..

لم ترد فردوس واستدارت عائدة إلى داخل المنزل وهي لا تزال مندهشة وشاردة تفكر فيما قاله لها محسن....

كانت فردوس تشعر بمزيج من القلق الشديد على عمر وفي نفس الوقت فهي تشعر ببعض الغضب منه؛ لأنه يخفي عنها هذا الأمر فهي تحب عمر كأنه ابنها تمامًا وتشعر بأن من حقها عليه أن يحكي لها كل شيء.. فهي تتمنى سعادته من كل قلبها.. أخذت فردوس تفكر وتفكر كثيرًا فهي تعلم جيدًا أن أخلاق عمر ورجولته يمنعانه من ارتكاب شيء خطأ لما إذن يخفي عنها ما يربطه ببلقيس...

مضى اليوم ثقيلاً على قلب عمر لم يذق فيه لقمة واحدة شاردًا طوال الوقت لا يدري إن كان نائمًا أم يقظًا.. لم ينتبه عمر إلا على دقات ساعة الحائط وهي تدق الثانية عشرة عند منتصف الليل.. غير ملابسه سريعًا في أقل من ثلاث دقائق ثم هبط السلالم جريًا يراوده شعور باللهفة الشديدة لرؤية بلقيس حتى وإن كان يشعر بالغضب منها مما فعلته به ليلة أمس.. وصل عمر إلى الحديقة لم يشتم رائحة عطر بلقيس فعرف أنها لم تأتي بعد.. جلس عمر على الكرسي يفكر فيما سوف يقوله لها عندما تأتي هل يعتذر لها عن

طرده إياها ليلة أمس من منزله.. لا لن يعتذر بل هي التي يجب أن تعتذر له عما بدر منها من إهانة بالغة له .. إنه لا يزال يشعر بالغضب الشديد منها..

كان عمر يفكر وهو يتوقع دخول بلقيس عليه في أي وقت.. كان ينتظر مجيئها إليه بفارغ الصبر رغم غضبه منها.. نظر إلى ساعة يده وهو يستعجل مرور الوقت كانت لا تزال تشير إلى الثانية عشر والثلث.. كان الوقت يمر بطيئًا قام عمر من مجلسه وأخذ يمشي بالحديقة وهو يشتم راحة الزهور من حوله ويتذكر تلك الزهرة التي جرحت أشواكها إصبعه ليلة أمس عندما كان يقطفها لبلقيس ثم تذكر ما قالته له وهي تتحسس إصبعه.. هز عمر رأسه بأسي وهو يقول محدثًا نفسه:

_كان لازم فعلاً أعرف إن الزهور الحلوة بيكون عليها أشواك بتجرح ..نظر عمر إلى إصبعه الذي انجرح بالأمس وهو يشعر بأن هذا الجرح قد وصل إلى قلبه أغمض عينيه ببطء وهو يتذكر لمسة شفتي بلقيس على إصبعه.. وعندما فتح عينيه كانت ترتسم بداخلهما نظرة شوق عميقة لصاحبة تلك اللمسة.. نظر عمر مرة أخرى إلى ساعة يده وقد بدأ صبره ينفذ كانت تشير إلى الثانية عشرة وخمس وثلاثون دقيقة... أخذ عمر يمشي مرة أخرى بالحديقة وينظر إلى ساعة يده كل بضع دقائق وهو شارد بخياله يتذكر ملامح وجه بلقيس ونظراتها التي تدمره....

عندما وصلت الساعة إلى الواحدة بعد منتصف الليل أحس عمر بالقلق الشديد لم تتأخر بلقيس أبداً في لياليها السابقة عن موعدها معه لقد كانت تأتي في الثانية عشرة تماماً ما الذي حدث ساعة كاملة بعد موعدها معه.. بدأت عقارب الساعة تتخطى الواحدة بعشرة دقائق.. ثم عشرون دقيقة.. ثم ثلاثون دقيقة.. ثم ستون دقيقة ساعة أخرى كاملة بعد موعد بلقيس.. كانت الدقيقة تمر ثقيلة على عمر وكأنها ساعة كاملة.. جلس عمر على الكرسي واجمًا عندما أتمت الساعة الثالثة تمامًا وقد شعر أن خنجرًا قد طُعن في قلبه عندما خالجه شعور قوي بأنها لن تأتي لقد مضت ثلاث ساعات كاملة على موعدها ولكن استمر عمر ينتظرها وقد تحول الغضب الشديد الذي كان يشعر به تجاه بلقيس إلى قلق أشد وخوف يعصف به عندما لاحت له فكرة أنه

يمكن ألا يراها ثانية أبدًا....

انتفض عمر من مكانه عندما سمع صوت أذان الفجر.. لقد كان هذا موعد رحيل بلقيس كل ليلة.. إذًا هي لن تأتي اليوم.. ربما غدًا.. نعم هي بالتأكيد لا تزال غاضبة منه لطرده إياها ولكنها غدًا سوف تهدأ وتأتي بالتأكيد سوف تأتي.. راوده الأمل في اليوم الجديد فنهض كي يتوضأ ويصلي الفجر ويدعو الله أن تأتي ويراها ثانية....

نهض عمر في اليوم التالي وهو يشعر بأنه لا يريد أن يبرح المنزل لكنه ذهب إلى عمله وأشغاله من موقع شعوره بالمسئولية لا يريد أن يقصر في عمله إن طلابه في الجامعة وعملائه في مكتبه ليس لهم ذنب فيما يعانيه من مشكلة شخصية.... كان عمر يتحمل المسئولية لدرجة تجعله يمارس أعماله بشكل طبيعي حتى وإن كان ممزق نفسيًا..

عندما عاد عمر من عمله كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة وكان يشعر بإرهاق شديد فهو لم ينم منذ ليلة أمس بالإضافة إلى أنه لم يتناول الطعام أيضًا بدأ عمر يشعر ببعض الدوار لذلك عندما عرضت عليه فردوس الطعام وألحت عليه تناول بعضًا منه دون شهية منه؛ ولكن فقط حتى يتقوت به ويستطيع أن يقف على قدميه.. نام عمر بعمق شديد كأنه طفل صغير من شدة التعب وعندما استيقظ ارتدى ملابسه وجلس ينتظر موعده مع بلقيس بلهفة شديدة حتى أنه نزل إلى الحديقة منذ الساعة الحادية عشرة لعلها تأتي مبكرًا.. ولكن مرت تلك الليلة أيضًا مثل ليلة أمس في انتظار وترقب ولهفه شديدة وشوق أشد؛ ولكن بلقيس لم تأتي تمامًا كالليلة أمس وانطفأ الأمل في قلب عمر من مجيء بلقيس وعلا صوت أذان الفجر مشيرًا لبدء يوم جديد.. ولمع بريق الأمل مرة أخرى في قلب عمر من مجيء بلقيس في هذا اليوم الجديد... وحدث عمر نفسه يصبرها بأن بلقيس ربما تكون لا تزال غاضبة منه ولكنها بالتأكيد سوف تأتي اليوم.. مستحيل أن تغيب اليوم أيضًا.. ولكن أمل عمر لم يتحقق.. لم تأت بلقيس لليلة الثالثة.. مرت تلك الليلة على عمر أشد وأقسى من الليلتين السابقتين.. ثم مرت الليلة الرابعة ولم تأتي بلقيس أيضًا.. ثم مرت الليلة الخامسة لم يعد عمر يحتمل عدم رؤيتها أكثر من ذلك كان كل ليلة ينزل

إلى الحديقة وينتظرها في نفس الموعد حتى أذان الفجر ولكنها لا تأتي ومرت الليلة السادسة ولم تظهر بلقيس.. صعد عمر إلى غرفته وهو لا يطيق نفسه أخذ يلومها كان يجب عليه أن يحتمل بلقيس أكثر من ذلك .. جلس يحدث نفسه ويقسو عليها وهو يشعر بذنب كبير من طرده لها.. وضع عمر رأسه بين يديه وهو يشعر بأنه يكاد يجن ماذا لو لم تأتي له بلقيس مرة أخرى.. ماذا سوف يفعل إذا لم يراها مرة أخرى لا يمكن أبدًا أن يحتمل فراقها لن يستطيع أن يعيش بدون أن يراها ويسمع صوتها وينظر في عينيها وتلتهمه بتلك العينين ويشتم رائحتها.. لكم يشتاق إليها.. لم يستطع عمر أن يتوقف عن التفكير في بلقيس كل تلك الليالي في ليل أو نهار تذكر تلك الجلابية الزرقاء والتي علقت بها رائحة بلقيس فقام مسرعًا ليفتح دولابه حيث خبئها بعيدًا عن عيون داده فردوس .. يريد أن يشتمها.. يشتم رائحة بلقيس العالقة بها لعلها تهدئ من تلك النار التي يشعر بها تكوي ضلوعه.. لم يجد عمر الجلابية الزرقاء.. أخذ يفتش بعصبيه عنها حتى أنه قلب دولابه الذي كان مرصوص بعناية بالغة لكنه لم يجدها فنزل مسرعًا ينادي على فردوس والتي خرجت بدورها من غرفتها وهي قلقة عليه وقالت له:

_إيه يا حبيبي.. عايز حاجه يا عمر..

قال لها بعصبية واقتضاب:

_فين الجلابية الزرقاء اللي كانت في دولابي..

اندهشت فردوس من سؤاله عن تلك الجلابية والتي كانت دهشتها أشد دهشة عندما وجدتها في دولابه وهي تضع له بعض قمصانه فقالت له وهي تنظر إليه مندهشة:

_الجلابية الزرقاء يا بني أنا غسلتها من كام يوم..

صرخ عمر في وجه داده فردوس بعصبية شديدة بعد ما أحس أن رائحة بلقيس قد ضاعت منه للأبد:

_أنت مالك ومال الجلابية يا داده.. أنا قلت لك اغسلها... حاجة موجوده في دولابي أنتِ مالك بيها..

انتفضت داده فردوس من صوت عمر العالي والذي يصرخ في وجهها وانتابتها

الدهشة والقلق الشديدين على عمر إنها لم تراه من قبل أبدًا في تلك الحالة منذ أن كان طفلًا صغيرًا.. إنه لم يصرخ في وجهها أبدًا أو علا صوته أمامها من قبل في يوم من الأيام ما الذي أصابه إذًا!؟

قالت له بصوت مرتعش من شدة الانفعال:

_إيه يا بني مالك في إيه يا عمر.. أنا يا حبيبي استغربت بس إن الجلابية دي موجودة في دولابك وافتكرت إن أنا نسيت وحطيتها عندك بالغلط .. أنا ماعرفش إنك عايزها.. سكتت فردوس قليلاً كان عمر خلالها ينظر إليها بغضب لم تعرف أبدًا فردوس سببه وتساءلت في نفسها لما كل هذا الغضب.. ثم قالت له بهدوء وهي تحاول أن ترسم ابتسامة على شفتيها خرجت باهتة ومرتعشة:

_بس يا بني أنت عايز الجلابية دي في إيه..

قال لها عمر ومازال صوته غاضبًا بشدة وهو يرمقها بنظرات غيظ:

_وأنتِ مالك يا داده أنتِ كل حاجة عايزه تعرفيها هو أنا ماليش خصوصيات خالص..

دمعت عيني فردوس من كلام عمر وقالت له بصوت منكسر:

_أنا آسفة يا بني... أنا اتعديت حدودي معاك أكتر من اللازم..

أفاق عمر من نوبة غضبه الشديدة تلك ووجد أنه قد تخطى حدود الأدب مع مربيته التي هي في مقام أمه ولا يصح أبدًا أن يتكلم معها بتلك الطريقة وبهذا الصوت العالي وهي لم تخطئ في شيء فاحتضنها بحنان وقَبل رأسها ويديها وهو يقول لها بصوت منخفض وأدب شديد:

_أنا آسف خالص يا داده.. سامحيني.. أنا عارف إن أنا قليل الأدب..

أسرعت داده فردوس تحتضنه وتربت على رأسه وهي تقول له بحنان:

_لأ يا حبيبي بلاش تقول كده.. قليل الأدب إيه كفانا الشر.. دا أنت الأدب كله يا عمر..

قال عمر لها وهو ينظر إلى الأرض ويشعر بالذنب الشديد:

_لأ يا داده أنا غلطت .. أنا اتكلمت معاكِ بأسلوب بايخ.. سامحيني ..أمسكت فردوس بيد عمر وربتت عليها بحنان وهي تقول له بطيبة:

_أنا سامحتك يا حبيبي خلاص.. أنا مش ممكن أزعل منك يا عمر ده أنت

ابني اللي طلعت بيه من الدنيا دي.. بس أنا قلقانة عليك يا حبيبي مالك... قَبل عمر رأس داده فردوس مرة أخرى وقال لها وهو يحاول الهروب من الإجابة:

_أنا بخير يا داده.. ممكن تعمل لي فنجان قهوة من ايدك الحلوة دي عشان عندي شغل في المكتب..

جلس عمر في مكتبه يرشف من فنجان القهوة الذي صنعته له فردوس وقد قرر أن يبدأ في تصميم المجمع الخيري الذي طلبته منه بلقيس علها تأتي في أي وقت فتجده جاهزًا كما طلبته منه..

وضع عمر فنجان القهوة الفارغ جانبًا وقام إلى طاولته الهندسية وأوراقه وبدأ يفكر ويخطط أولى خطوط مجمع بلقيس الخيري..

كانت يديه تجري على الأوراق ترسم خطوطًا واضحة.. أما عينيه فكانت ترى بلقيس طيف يَلوُح له من بعيد وصوتها يتخلل أذنيه ولا تفارق رائحتها أنفه وكأنها قد احتلته بالكامل وجعلت من قلبه مستعمرة لها....

obeikandl.com

الفصل الثاني عشر

نهض عمر من نومه وهو يشعر بتكاسل شديد.. كانت عقارب الساعة تشير إلى الحادية عشر صباحًا... اندهش عمر في بادئ الأمر ثم تذكر أنه قد نام حوالي الساعة السادسة صباحًا؛ أي أنه لم ينم سوى خمس ساعات. كان عمر مشغولًا في تصميم مجمع بلقيس حتى أن الوقت قد مر عليه دون أن يشعر إلا والساعة تدق السادسة..

نظر عمر إلى نفسه في مرآة الحمام وقد اندهش لحاله كثيرًا لم يعد عمر الذي يسير وفق نظام دقيق في حياته.. لم يعد عمر الذي يستيقظ في الساعة السابعة تمامًا من كل صباح فيتناول فطوره ويرتدي ملابسه ويذهب إلى عمله ويعود منه في الخامسة وفق روتين يتكرر كل يوم بدقة متناهية.. انقلبت حياة عمر رأسًا على عقب أصبح نهاره ليلًا وليله نهار.. كان عمر يقود سيارته متجهًا إلى عمله لكنه وجد نفسه يقف بسيارته على جانب الطريق بجوار قصر بلقيس لا يدري عمر ما الذي أتي به إلى هذا القصر هو يعلم جيدًا أنه لن يصل إلى شيء من وجوده هنا فحراس هذا المكان يصرون أن بلقيس قد ماتت.. إذا ما الذي أتى به إلى منزلها ربما هو الشوق إلى تلك الطاغية التي امتلكته بالكامل.....

كان عمر ينظر بشوق إلى قصرها وهو يشعر بالضياع لم يراوده مثل هذا الشعور المدمر من قبل كأنه قد فقد شيئًا عزيزًا عليه ولا يدري كيف الوصول إليه.. حقًا هو قد فقد من قبل أمه وأباه وأخته الصغيرة وقد شعر بالحزن الشديد الذي أبكى عيونه لكنه كان على يقين تام بأنهم قد ماتوا ولا سبيل إلى رجوعهم إلى تلك الدنيا مرة أخرى, وكان الزمن كفيل بأن يخفف من وطأة هذا الحزن حتى أصبح ذكرى بعيدة؛ لكنه مع بلقيس لا يدري إن كانت ميتة هي أم على قيد الحياة تظهر هي وتختفي كأنها سراب يلوح له من بعيد لا يدري كيف

الوصول إليه هو يراه بعينيه لكنه لن يمسك به أبدًا....

كانت الأفكار تتزاحم بعقل عمر حتى أنه لم يشعر بأن هناك شخص يقف بجوار سيارته إلا عندما سمع طرقًا على زجاج السيارة، التفت بسرعة وفتح الزجاج فوجده عم مصطفى حارس القصر العجوز كان ينظر إلى عمر بدهشة ثم بادره قائلاً:

_أنت يا بني مش جيت قبل كده هنا...

وقبل أن يرد عليه عمر قال له مرة أخرى:

_أنت ليه مش عايز تصدق إنها ماتت..

اندهش عمر من كلامه لأنه لازال يذكره ويذكر تمامًا حديث عمر معه.. قال له عم مصطفى مرة أخرى عندما وجده ينظر إليه فقط ولا ينطق:

_يا بني أنا هاقولك نصيحة لوجه الله.. بلاش تجري وراء الشيء اللي عمرك ما هاتقدر توصله..

لم يفهم عمر ما يقصده عم مصطفى فقال له مستفسرًا:

_تقصد إيه.. أنا مش فاهم قصدك ....

ابتسم مصطفى لعمر بغموض وقال له بهدوء:

_يا ترى يا بني اللي بيموت بيرجع تاني...

قال له عمر بإصرار وتحد:

_يا عم مصطفى بلقيس لسه عايشه وأنا متأكد من كده.. بس اللي أنا مش فاهمه ليه أنت مُصر إنها ماتت؟..

هز مصطفى رأسه ليؤكد ما يقوله ثم ربت على كتف عمر وهو يقول:

_لأنها ماتت..

ثم استدار حتى يمشي في طريقه ويترك عمر لكنه كان ينظر إليه نظره غريبة لم يفهمها عمر وإن كان قد أحس بأنه يحذره من شيء ما.. انطلق عمر بسيارته بعيدًا عن قصر بلقيس الذي يتسم هو والعاملين به بالغموض مثل صاحبته....

أنهى عمر أعماله في هذا اليوم وكأنها عبئًا ثقيلًا عليه كان يشعر بالإحباط الشديد وكأنه يعيش بداخل كابوس سخيف لا يدري كيف و متى سوف يستيقظ منه.. جلس بعد عودته إلى منزله يحاول أن يعصر ذاكرته في محاوله

لتذكر تفاصيل ما قالته له بلقيس يوماً عن صديقاتها ربما تكون إحداهن تدري عنها شيء, ولكن عاوده اليأس مرة أخرى عندما تذكر ما قالته له صديقتها هايدي وهمسة وإصرارهن على أن بلقيس قد ماتت.. لكنه عاد يقول لنفسه أنه لم يتحدث مع صديقتها الآخرتين ماذا كان اسميهما وماذا كن يعملن تذكر عمر بعد مجهود بأن إحداهن كان اسمها فريدة وهي لديها محل لبيع ملابس المحجبات والأخرى كان اسمها فرح وهي طالبة بكلية الطب ولكن كيف الوصول إليهن؟ لم يجد عمر الورقة التي كتب بها المعلومات التي قالتها له بلقيس, حاول عمر أن يتذكر اسم المحل التجاري الذي تمتلكه فريدة وأخيرًا تذكر اسمه.. جلس إلى الانترنت يبحث عن هذا المحل وبعد وقت قصير كان قد استخرج عنوانه ورقم تليفونه وقد قرر بأنه سوف يذهب إليها صباحًا ليتحدث معها بخصوص بلقيس.. كان عمر يجلس بمكتبه يعمل على تصميم مجمع بلقيس وعندما دقت الساعة الثانية عشرة ترك ما بيده ونزل إلى الحديقة يراوده الأمل في مجيء بلقيس لكنها لم تأتي كليالها السابقة.....

في صباح اليوم التالي دخل عمر إلى المحل التجاري الذي تمتلكه فريدة.... كان يشعر بالحرج الشديد فكل العاملات به من السيدات والمترددات عليه من الزبائن سيدات اقتربت منه إحدى العاملات بالمحل عندما لاحظت ارتباكه وهو ينظر يمينًا ويسارًا وقالت له بابتسامة رقيقة:

_حضرتك بتدور على حاجة معينة.. قولي وأنا هاقدر أساعدك..

ابتسم عمر بدوره بأدب وقال لها:

_الحقيقة أنا كنت عايز أسأل على مدام فريدة.. يا ترى هي موجودة؟

هزت العاملة رأسها بهدوء وقالت له:

_موجودة يا فندم تحب أديها خبر إن حضرتك عايز تقابلها...

قال لها وقد شعر ببعض الارتياح:

_ياريت من فضلك..

غابت العاملة بضع دقائق ثم عادت وهي تقول لعمر:

_اتفضل حضرتك .. مدام فريدة موجودة في المكتب اللي قدامك على طول

تقدم عمر ببطء ناحية المكتب وهو يفكر كيف يبدأ الكلام مع فريدة..

عندما دخل إلى مكتبها كانت تنهي مكالمة تليفونية قالت وهي تبتسم بود:

_اتفضل يا فندم.. ارتاح.. كانت فريدة تشير له إلى إحدى الكراسي الموضوعة أمام مكتبها.. جلس عمر وقد شعر بألفة نحو تلك السيدة..

كانت فريدة من النوع الذي تشعر أنك تعرفه منذ زمن طويل.. ملامحها هادئة وابتسامتها مُرحبة.. كانت فريدة رغم أنها محجبة شديدة الأناقة وكان محلها التجاري يعمل في ملابس محجبات الطبقة الراقية من المجتمع حتى العاملات بهذا المحل من المتعلمات المهذبات..

قالت له فريدة بصوت هادئ رزين وابتسامتها لا تفارق شفتيها:

_ أقدر أخدم حضرتك في إيه...

فكر عمر ثواني ثم وجد أن أنسب شيء أن يدخل في صلب الموضوع فقال لها وهو يناولها كارته الشخصي ليعرفها بنفسه:

_الموضوع بخصوص صديقة لحضرتك.. كنت عايز أسأل عنها ...

نظرت فريدة إلى الكارت الخاص بعمر ثم قالت له:

_تحت أمرك يا باشمهندس.. عايز تسألني عن مين؟

قال لها وهو يترقب انفعالات وجهها:

_بلقيس..

اختفت ابتسامة فريدة وقالت له بجدية:

_عايز تعرف إيه عن بلقيس..

تعجب عمر كثيرًا لأنها لم تندهش مثل صديقتيها السابقتين ولم يكن رد فعلها عنيفًا مثلهما فاستمر في كلامه قائلاً:

_مدام هايدي ومدام همسة كانوا قالولي إن بلقيس ماتت لكن أنا... لم تدعه يكمل كلامه لأنها قاطعته قائلة له بنفس الجدية:

_يا باشمهندس أنا ماليش دعوة بكلام هايدي وهمسة أنت بتسألني أنا دلوقتي وأنا باقولك عايز تعرف إيه عن بلقيس؟

قال لها عمر وهو يشعر بالحيرة لرد فعلها الغريب والهادئ في نفس الوقت:

_أنا عايز أعرف هي فعلا ماتت ولا لسه عايشه!؟ ولو لسه عايشه هي فين.. أقدر أوصلها إزاي؟

نظرت فريدة إلى عمر نظرة طويلة ثم قالت له:

_أنت عايز إيه من بلقيس.. أقصد لو هي عايشه فعلًا أنت بتدور عليها ليه!؟

اندهش عمر لسؤال فريدة له فقد كان سؤالًا مباشرًا للغاية حتى إن عمر تساءل بداخل نفسه لماذا هو بالفعل يبحث عن بلقيس.. لماذا هو متمسك بشدة أن يجدها.. لماذا يريد أن يراها ويسمع صوتها.. لماذا أصبح يتنفسها.. كان عمر غارقًا في تساؤلاته لنفسه لكنه أفاق على صوت فريدة وهي تكرر سؤالها مرة أخرى قائلة:

_أنت ما قلتليش أنت بتدور عليها ليه.. عايز منها إيه بالظبط؟

نطق عمر بسرعه وكأنه قد أمسك بشيء:

_يعني هي عايشه فعلًا.. أنا كنت متأكد من كده..

لكنها أسرعت قائلة له:

_أنا ماقلتش إنها عايشه.. أنا بسألك أنت ليه بتدور عليها ومهتم بيها قوي كده وخصوصًا إنك سألت هايدي وهمسة كمان.. أحس عمر أن ما يشعر به تجاه بلقيس ليس من حق أحد أن يطلع عليه أو يسأله عنه فقال لها ببعض الحزم الذي أظهر مدى قوة شخصية عمر:

_ياريت حضرتك تردي على سؤالي ببساطة .. بلقيس عايشه ولا ميتة؟

نظرت فريدة إلى عمر بتوتر وقالت له بصوت متردد وباختصار شديد:

_ميتة....

انزعج عمر بشده من كلمتها تلك وقال لها بانفعال:

_ليه بتكذبي؟

قالت له فريدة بغضب بدا واضحًا في نبرة صوتها الهادئ:

_أنا مش كذابة يا باشمهندس..

أحس عمر أنه قد تخطى حدوده معها فقال لها بأدب:

_أنا متآسف يا مدام فريدة.. مش قصدي إنك كذابة.. بس أنا حاسس إن في حاجة أنتِ مش عايزه تقوليها..

أخذت فريدة تعبث ببعض الفواتير الموضوعة فوق مكتبها وهي تتحاشى النظر إلى عمر حتى تشعره أنها مشغولة.. أحس عمر بأنها لا تريد أن تقول

له الحقيقة.. لا تريد أن تقول له إن كانت بلقيس حية أم ميتة فقال لها باستعطاف حتى يستدرجها لتحكي له عن بلقيس:

_يا ترى يا مدام فريدة أنتِ كنت من الناس اللي بتحب بلقيس ولا من الناس اللي بتكرها؟

رفعت فريدة عينيها من فوق الفواتير التي تعبث بها ونظرت إلى عمر بدهشة وقد رفعت حاجبيها علامة الاستنكار وقالت له بتعجب:

_إيه الكلام الغريب ده.. أنا طبعًا كنت بحب بلقيس جدًا وبعدين مين اللي قالك إن في ناس ممكن تكون بتكرها.. هزت فريدة رأسها يمينًا ويسارًا وهي تقول له:

_يا باشمهندس عمر مستحيل يكون في إنسان بيكره بلقيس.. قال لها عمر وهو يحاول أن يجعلها تتحدث عن بلقيس أكثر:

_بس هي يا مدام فريدة اللي قالت لي بنفسها إن في ناس بتحبها وناس بتكرها..

ابتسمت فريدة وقالت له وقد بدا في صوتها نبرة حنان:

_هي بلقيس كده دايمًا طول عمرها فاكره إن في ناس بتكرها لكن الحقيقة إن كل الناس بتحبها..حتى اللي كانوا بيختلفوا معاها نتيجة تصرفاتها الغريبة كانوا برضوا بيحبوها رغم إنهم مش قادرين يفهموها لأن بلقيس صعب قوي إنك تقدر تفهمها لكن رغم كده كان كل اللي بيعرفها كان لازم يحبها.....

كان عمر يستمع إلى كلام فريدة وهو صامتًا ويبدو أنه قد لاحت في عينيه نظرات شوق إلى بلقيس جعلت فريدة تتعاطف معه وتحكي له المزيد عنها فقالت له:

_عارف يا باشمهندس المحل ده بلقيس هي اللي ساعدتني إني أفتحه...

نظر إليها عمر متسائلًا فأكملت له قائلة:

_من حوالي سبع سنين كنت بدأت أحس بالملل في حياتي رغم إن جوزي بيحبني وأنا بحبه وبعشق أولادي جدًا لكن كنت عايزه أعمل حاجة لنفسي وبما إني بحب التجارة جدًا فكرت في المشروع ده لكن كان عندي عقبة وهي إني مافيش عندي رأس مال يكفي مشروع زي ده وجوزي رغم إنه بيحبني ومرتاح

ماديًا وناجح في شغله لكنه ماكانش موافق على مشروعي وشايف إنه بيوفرلي كل احتياجاتي.. الوحيدة اللي وقفت معايا وساعدتني كانت بلقيس..

سكتت فريدة بضع دقائق لتلتقط أنفاسها ثم أكملت لعمر قائله:

_في يوم الصبح لاقيت بلقيس عدت عليا في البيت وقالت لي أنزل معاها في مشوار مهم ولما نزلت معاها جابتني المحل ده وفرجتني عليه وهو زي ما حضرتك شايفة موجود في مكان مميزوراقي وأنا لوحدي مستحيل كنت هقدر أجيب مكان زي ده وأكترمن كده كتبت عقد شركة بيني وبينها ليه نصف الأرباح وحق إدارة المكان والتصرف فيه رغم إنها هي اللي بتمتلك كل حاجة هنا؛ لكنها دايما بتحسسني إني أنا صاحبة كل حاجة وعمرها ما حاولت تتدخل في إدارة المكان أو سألتني عن الأرباح وكل مرة بروح أديها نصيبها في الأرباح بتاخدها مني بالعافية وتقول لي:

_يا فريدة أنا مش عارفه أنتِ مُصره تديني الفلوس دي ليه..

ولما كنت أقول لها:

_ده حقك يا بلقيس ...نصيبك في الأرباح..

تقول لي:

_أنا مش عارفه أنتِ ليه مكبره الموضوع.. حاجة واديتها لصاحبتي هديه أنا كتبت معاكِ عقد الشركة لأنك أنتِ اللي مصره تكتبيه.. بس أنا حاسة إن المحل بتاعك أنتِ اللي بتشتغلي فيه وبتعملي كل حاجة أنا يادوب دفعت فلوس..

اعتدلت فريدة في جلستها وقالت لعمر:

_أنا عمري ما شفت حد قلبه فيه نقاء وطيبة وحب زي بلقيس ...

ثم ضحكت وقالت:

_بس على فكرة هي مجنونة قوي وعاملة زي الأطفال ردود أفعالها بتتغير في ثانية..

ثم هزت رأسها وهي لا تزال تضحك وقالت له:

_أي إنسان كان عايز يكسب بلقيس كان لازم يعاملها زي الأطفال وما يزعلش أبدًا من تصرفاتها الغريبة والمُهينة في بعض الأوقات لأنها عمرها ما

كانت بتقصد إهانة حد لكنها هي كده طفلة في تصرفاتها..

شرد عمر في موقفه الأخير مع بلقيس وتمنى من صميم قلبه لو كان قد تحملها أكثر وتعامل معها كطفلة تخطئ لكنه لم يتحمل إهانتها له لم يفهمها بالقدر الكافي.. صمتت فريدة لحظات ثم نظرت في ساعة يدها وقالت له بخجل:

_أنا آسفة خالص.. بس أنا مضطرة أمشي دلوقتي عشان عندي مشوار مهم..

قام عمر بسرعة من كرسيه عندما وجدها قد همت بالوقوف وقال لها:

_أنا آسف يا مدام فريدة إني عطلتك.. بس أنا كان نفسي أعرف حاجات كتير عن بلقيس..

كانت فريدة تنظر إليه وهي صامته ولكن كانت بعينيها كلمات كثيرة لم تقولها أبدًا..

عندما عاد عمر إلى منزله كان يشعر بالضيق الشديد فحديثه مع فريدة لم يعرف منه إن كانت بلقيس حية أم ميتة لقد أحس بأن فريدة لا تريد أن تتحدث معه رغم أنه متأكد بأن لديها الكثير لتقوله..

أحس بأنه يكاد يُجن لماذا كل من يعرفها من صديقاتها أو حارس قصرها يؤكدون له بأنها قد ماتت؟! وكيف تكون قد ماتت وهو يراها بعينيه ويشتم رائحتها.. كيف تكون قد ماتت وقد أحس بأنفاسها في يوم على رقبته.. لقد ضمها بين ذراعيه عندما كان يراقصها مستحيل تكون هي طيف لقد كانت لحم ودم بين يديه لقد أحس بحرارة جسدها.. لماذا إذا يقولون له ذلك وكيف الوصول إليها إن كانت لا تزال على قيد الحياة.....

أخذ عمر يدق بيده على حائط غرفة نومه بعنف شديد لم يكن من شيم عمر لكنه كان يريد أن يُخرج ما بداخله من بركان ثائر يتخبطه بعنف للحظات أحس بأنه داخل كابوس مزعج سوف يستيقظ منه في أي وقت ويعود إلى سابق عهده يعيش حياة هادئة ما بين عمله ومنزله وحديقته ومربيته لكنه لا يريد أن يعود إلى تلك الحياة المملة لقد أحب تلك المغامرة التي يعيشها مع بلقيس حتى وإن كانت تعذبة ولا يعرف كيف ستكون نهايتها.....

نظر عمر إلى ساعة يده كانت عقاربها تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل

وكان لا يزال واقفًا بالحديقة ينتظر قدوم بلقيس لكنها لم تأتي..

مرت الليلة الثامنة دون قدومها عندها لاحت لعمر فكرة مجنونة قرر أن ينفذها فورًا.. استقل سيارته وقد قرر أن يذهب مرة أخرى إلى قصرها سوف يراقبه ربما يرى شيئًا يعرف منه الحقيقة وصل عمر إلى قصر بلقيس وأوقف سيارته بعيدًا بعض الشيء عن بوابة القصر حتى لا يراه عم مصطفى أو الحراس الآخرين ووقف منتظرًا كانت بوابات القصر وأسواره عالية تخفي ما بداخله تمامًا.. مرت ساعة ونصف ولم يحدث شيء غريب.. كان عمر يرى من مكانه عم مصطفى وهو يشرب الشاي ويتحدث ويضحك مع الحارسين الآخرين.. عندما وصلت الساعة إلى الثالثة والنصف هَم عمر أن يتحرك بسيارته عائدًا إلى منزله عندما سطعت أنوار سيارة قادمه مرت بجواره مسرعة ثم توقفت أمام بوابة القصر كان عمر يرى من يقود السيارة من الخلف فقط لقد خيل إليه أنها امرأة لكنه لم يرى ملامحها وعندما وقفت أمام البوابة قام عم مصطفى يتحدث مع الشخص الموجود بتلك السيارة وسمع ضحكات امرأة تأتي من تلك السيارة لقد كانت ضحكتها تشبه ضحكة بلقيس ..حقًا هو لم يرى وجه من تقود تلك السيارة أو يسمع صوتها ولكن ضحكتها كانت تشبه ضحكة بلقيس تمامًا ..فتحت أبواب القصر ودخلت السيارة بسرعة ثم أغلقت ورائها الأبواب.. كان عمر يجلس مكانه مذهولًا لا يدري ماذا يفعل لقد قال له عم مصطفى بأن القصر ليس به سكان وبأن بلقيس قد ماتت من هي إذًا تلك المرأة التي دخلت القصر لقد أحس بأنها بلقيس حتى وإن لم يرى وجهها ولكن تلك الرنة في ضحكتها لم تكن تخطئها أذنه ثم أي امرأة تقود سيارتها وتعود إلى منزلها في تلك الساعة المتأخرة من الليل وحدها لم يكن يفعلها سوى بلقيس بجنونها وجموحها الذي ليس له حدود....

اقترب عمر بسيارته في إصرار شديد من بوابة القصر ووقف أمام عم مصطفى تمامًا والذي نظر إليه في دهشة شديدة ثم اقترب منه وقال له بعنف:

_أنت أكيد مجنون يا بني.. عايز إيه الساعة دي..

قال له عمر بتحدي:

_أنت لسه صاحي للساعة ثلاثة ونصف يا عم مصطفى ...

ابتسم عم مصطفى بغموض وقال له:
_أنا بانام بعد ما أصلي الفجر..
قال له عمرو وهو يشير إلى بوابة القصر:
_بلقيس لسه عايشه يا عم مصطفى .. أنا شفتها لسه داخله ممكن بقى تقول لها إني عايز أكلمها..
نظر عم مصطفى إلى عمرو قد تغير لون وجهه من الغضب وقال له بصوت أجش اندهش له عمر:
_أنت هاتمشي من هنا ولا أبلغ البوليس..
قال له عمر بإصرار:
_أنا مش هامشي إلا لما أتكلم مع بلقيس..
قال له عم مصطفى ببرود وبنظرة غريبة مطلة من عينيه:
_بلقيس مين يا بني اللي أنت عايز تكلمها.. أنا مش قلت لك إنها ماتت.. أنت ليه مش عايز تصدق..
فتح عمر باب سيارته ونزل منها وقال له وهو يشير إلى بوابة القصر:
_يا عم مصطفى أنا لسه شايفها داخله وكانت بتتكلم معاك...
هز مصطفى رأسه وقال بنبرة صوت غريبة وكأنه يحذره:
_اركب يا بني عربيتك وروح بيتك مافيش داعي تعذب نفسك بالشكل ده.. لأن مافيش حد دخل دلوقتي من باب القصر.. القصر ده مافيهوش حد..
ثم نادي إحدى الحارسين قائلاً:
_تعالى يا محمود قل الباشا مين اللي دخل القصر دلوقتي..
اقترب الحارس الشاب من عمرو قال له بهدوء:
-مافيش حد دخل دلوقتي يا باشا ..القصر ده فاضي مافيهوش سكان..
ربت عم مصطفى على كتف عمرو قال له بحنان:
_صدقت بقى يا بني إن مافيش حد عايش في القصر ده..
وإن المكان ده فاضي مافيهوش سكان.. روح يا بني بيتك واستهدي بالله ومافيش داعي تجري ورا سراب...
كان عمر ينظر إلى عم مصطفى تارة وإلى الحارس الآخر تارة أخرى وهو

مندهشًا لا يدري أهم يقولون الحقيقة أم يكذبون لقد رأى السيارة بعينيه فلابد أنهم يكذبون نطق عمر أخيرًا وقال وهو ينظر لعم مصطفى:

_يعني مافيش عربية دخلت دلوقتي يا عم مصطفى..

هز مصطفى رأسه وقال:

_لأ يا ابني مافيش عربية دخلت دلوقتي..

ركب عمر سيارته ولم ينطق بكلمة واستدار عائدًا إلى منزله وقد صمم على أن يعرف حقيقة ما يحدث لقد رأى السيارة تدخل إلى القصر بعينيه مستحيل أن يكون واهمًا إلى تلك الدرجة إنه لا يزال بعقله لم يجن بعد..

obeikandl.com

الفصل الثالث عشر

كانت الساعة التاسعة صباحًا عندما كان عمر قد ارتدى ملابسه واستعد للخروج.. لقد قرر أن يكرث وقته للبحث عن بلقيس ومعرفة حقيقة ما يجري.. لن يذهب اليوم إلى عمله بل لن يذهب إلى أي مكان حتى يجدها ولكن أين يبحث عنها لقد أحس أنه يدور في حلقة مفرغة لم تترك له بلقيس أي خيط يمكنه الوصول إليها عن طريقه.. لم يعرف لها عنوان سوى هذا القصر الغريب بحراسه.. لم تعطيه رقم تليفون أو موبايل يستطيع أن يحدثها به.. لماذا لم يطلب رقم تليفونها كيف استطاع أن ينسى أمر مهم كهذا كان عمر يحدث نفسه بكل هذا وهو يقود سيارته على طريق مصر إسكندرية الصحراوي ويفكر من أين يبدأ البحث عن بلقيس؟

واتته فكرة فأوقف سيارته على جانب الطريق ثم تناول تليفونه المحمول واتصل برقم محل فريدة وعندما جاءه صوت إحدى العاملات قال لها سريعًا:

_أكلم مدام فريدة لو سمحتي ..

بعد حوالي دقيقة جاءه صوت فريدة تقول على التليفون:

_الو.. مين معايا

قال لها عمر ببعض الارتباك:

_أنا آسف على الإزعاج يا مدام فريدة الحقيقة أنا المهندس عمر كنت اتكلمت مع حضرتك بخصوص بلقيس..

قالت له فريدة بصبر نافذ:

_تحت أمرك يا باشمهندس في حاجه..

قال لها بسرعه حتى ينهي الأمر:

_أنا عايز رقم تليفون فرح.. يا ترى حضرتك تعرفيها..

لم ترد فريدة لثواني.. مما جعل عمر يعتقد أنها لم تسمعه فقال لها:
حضرتك معايا على الخط.. أنا كنت عايز..
لم تدعه يكمل وقالت له:
_أنا سمعتك يا باشمهندس بس كنت بشوف رقم فرح.. أعطته فريدة رقم موبايل فرح ثم أغلقت سريعًا وكأنها لا تريده أن يسألها عن شيء آخر..
جلس عمر مترددًا بضع دقائق، ثم طلب رقم فرح وعندما سمع الجرس فكر أن يغلق الموبايل لكنه سمع صوت فتاة تقول على الناحية الأخرى:
_ألو..
رد عمر بخجل:
_آنسة فرح..
جاء الصوت يقول برقة:
_أيوه يا فندم مين حضرتك..
قال لها عمر:
_الحقيقة يا آنسة فرح أنتِ ما تعرفنيش بس أنا كنت عايز أقابلك عشان عايز أتكلم معاك في موضوع مهم...
قالت له بدهشة:
_طيب مش تقول لي مين حضرتك الأول.. إزاي يعني تتوقع إني هاقابل شخص مش عارفه هو مين..
قال لها عمر بأدب:
_أنا آسف خالص.. أنا اسمي عمر.. المهندس عمر عبد الوهاب
قالت له فرح:
_أهلاً وسهلاً يا باشمهندس.. كنت عايز تتكلم معايا بخصوص إيه ..
قال لها عمر:
_الحقيقة مش هاينفع التليفون علشان كده أنا كنت عايز أقابلك في أي مكان تختاريه
قالت له فرح باستنكار:
_أقابلك إزاي يا باشمهندس هو أنا أعرفك أصلاً إزاي تتوقع يعني إني أنا..

تدخل عمر بسرعة وقال لها:

_يا آنسة فرح أنا عايز أكلم معاك في موضوع مهم بخصوص صحبتك بلقيس..

صمتت فرح تمامًا ولم ترد عليه فقال لها عمر:

_ألو.. أنتِ سمعاني..

قالت له:

_مين اللي إداك رقم تليفوني..

قال لها عمر بهدوء:

_مدام فريدة ...

اطمأنت فرح وقالت له:

_أنت تعرف فريدة.. طيب.. أنا هاخلص محاضراتي الساعة ثلاثة بعد كده هاروح أتغدى في اسبكترا بتاع شارع مراد ممكن أقابلك هناك بس الساعة ثلاثة ونصف بالضبط لأني هاتغدى وأمشي على طول عشان عندي محاضره بعد كده..

أغلق عمر الخط بعد أن وعدها بأنه سوف يكون هناك في الميعاد بالضبط عندما دخل عمر إلى المطعم أخذ يتلفت على الموائد وهو يفكر لابد بأن فرح سوف تكون وحدها ولكنه لا يعرف شكلها ونسى أن يسألها ماذا ترتدي رن جرس تليفونه وجاءه صوت فرح تقول:

_باشمهندس عمر..

وعندما قال لها:

_أيوه..

وجد فتاة تقف عند إحدى الموائد وهي تشير له.. اقترب عمر منها وقال لها بابتسامة:

_أنتِ أنقذتني من موقف محرج..

ابتسمت وقالت له:

_اتفضل.. الحقيقة أنت مواعيدك مضبوطة..

كانت فرح في حوالي التاسعة عشر من عمرها.. شعرها طويل وناعم وترتدي

نظارة طبية. كان مظهرها شبابي وعصري فهي ترتدي بنطلون من الجينزوفوقه جاكت جلد.. قالت له فرح بهدوء:

_تحب تاكل إيه يا باشمهندس..

رد عليها عمر:

_لأ شكرًا.. الحقيقة أنا هاكلمك في عشر دقايق وبعدين هاسيبك تاكلي براحتك كانت فرح تنظر إلى عمر مستفسرة عما يريد أن يسأل عنه.. لكنه لمح نظرات حزن عميقه بعينيها لم يعرف سببها واندهش بأن تكون فتاة في مثل عمرها بعينيها كل هذا الحزن.. كان عمر يشعر بأن وجه فرح مألوف لديه بعض الشيء لكنه لم يراه من قبل قال لها عمر موضحًا سبب مجيئه:

_أنا كنت عايز أسألك بخصوص بلقيس..

اندهش عمر عندما وجد أن فرح بمجرد سماعها لأسم بلقيس قد ترقرقت الدموع بعينيها وانتقل الحزن من عينيها حتى كسى ملامح وجهها بالكامل..

جلست تنظر إليه دون أن تنطق بكلمة..

أراد عمر أن يتلطف معها حتى تحدثه دون تحفظ فقال لها:

_أنتِ في كلية إيه يا فرح..

فقالت له بصوت متحشرج من الدموع:

_أنا في كلية الطب..

ابتسم عمر وقال لها:

_هاتبقى دكتوره يعني..

ردت عليه فرح:

_لسه بدري.. أنا لسه في سنه ثالثة..

اعتدل عمر في جلسته وقال لفرح بجديه:

_ممكن أسألك سؤال؟

قالت له فرح:

_اتفضل..

قال لها عمر:

_إيه نوع الصداقة اللي ربطت بينك وبين بلقيس .. في فرق في العمر بينك

وبينها حوالي عشر سنين.. أقصد اهتماماتك غير اهتماماتها وشخصيتك كمان مختلفة عن شخصيتها..

نظرت إليه فرح بحزن ثم قالت له وهي تمسح دمعة نزلت من عينيها:

_لو كنت عرفت بلقيس كويس مستحيل كنت سألت سؤال زي ده..

قال لها عمر بدهشة:

_مش فاهم.. تقصدي إيه؟

قالت له وهي تنظر بعيدًا:

_بلقيس كان عندها القدرة إنها تصاحب أي إنسان وفي أي عمر.. ممكن تكون صديقتها عندها ستين سنه وممكن يكون عندها ست سنين.. بلقيس مش إنسانة عادية.. بلقيس حلم جميل بتعيش فيه لكن للآسف بتصحى في يوم وتلاقيه ضاع منك..

انهمرت دموع فرح غزيره كأنها شلال حتى أنها خلعت نظارتها ووضعتها جانبا فوق الطاولة التي يجلسان حولها، أخذت فرح تمسح دموعها التي لم تستطع السيطرة عليها، اندهش عمر بشدة لحزن فرح الشديد ودموعها المنهمرة فقال لها بارتباك:

_آنسة فرح أنتِ ليه بتبكي بالشكل ده، أنا مش عارف أنتِ ليه زعلانه..

رفعت فرح عينيها إليه وقالت له بحزن:

_أنا كنت بحاول أكمل حياتي من غير وجودها معايا، أنت ليه جيت وفكرتني تاني بيها.. صحيح أنا عمري مانسيتها لكن كنت بحاول أتأقلم مع عدم وجودها..

انزعج عمر وقال لها:

_تقصدي إيه بعدم وجودها؟

قالت له فرح بنفس نبرة الحزن الملازمة لصوتها:

_أنا اتعرفت على بلقيس من سنين طويلة.. كنت وقتها طفلة صغيرة مش عارفه كان عندي كام سنة بالضبط، كانت دايمًا بتلعب معايا في حمام السباحة في النادي ولما كنت بازورها في بيتها كان عندها حمام سباحه كبيرة كنا دايمًا بنعوم مع بعض ونضحك ونلعب ..وأنا صغيرة كنت بحس إنها من سني طفلة معايا ولما كبرت بقيت أحكي لها كل حاجة حتى أسراري كانت عارفه عني

كل حاجة.. سكتت فرح بضع دقائق ثم أكملت:

_بلقيس هي اللي شجعتني إني أدخل كلية الطب دايمًا كانت بتقولي يا فرح أنتِ أذكى بنت شفتها في حياتي خسارة إن تفوقك يضيع في أي حاجة لازم تبقي دكتورة ناجحة..

كان عمر يستمع إلى فرح وهو صامت لم يرغب في أن يقاطعها كان يريد أن يعرف أي شيء يدله على بلقيس.. صمتت فرح مرة أخرى ولكن هذه المرة صمتها طال بعض الشيء فقال لها عمر حتى يحثها على أن تكمل حديثها:

_طيب يا فرح إيه هي المشكلة أنتِ صداقتك مع بلقيس جميلة جدًا ليه بقى زعلانه.. أنتِ اتخانقتي معاها؟

نظرت فرح إلى عمر نظرة طويلة، ثم ارتدت نظارتها مرة أخرى وأمسكت بشنطة يدها وهمت بالوقوف فقال لها عمر بسرعة:

_في حاجة ضايقتك يا آنسة فرح.. أنتِ مش كنت هاتتغدي ليه هاتمشي..

قالت له بضيق:

_أنا عايزه أمشي.. نفسي اتسدت.. مش قادره أكل حاجة..

قال لها عمر برجاء:

_من فضلك يا فرح أنا عايز أكلم معاكِ شوية.. أنا معرفتش لسه أي حاجة عن بلقيس..

نظرت فرح إلى عمر وقالت له بضيق:

_حرام عليك .. أنا بحاول أهرب من أحزاني وأنت جاي تفكرني ..

قال لها عمر مستفسرا.

_أحزان إيه اللي أنا فكرتك بيها... أنا بس عايز أسألك عن بلقيس... أطلقت فرح زفرة ضيق وقالت له وهي تعيد حقيبتها إلى مكانها فوق الطاولة:

أنا مش عارفه يا باشمهندس أنت إيه حكايتك بالظبط.. هتستفيد إيه من كلامك عن بلقيس..

قال لها بجدية:

_انا بحاول أعرف مكانها.. ياريت تساعديني أنتِ صاحبتها وأكيد عارفه هي فين ..

نظرت إليه فرح بدهشة شديدة ثم هزت رأسها وهي تبتسم بسخرية ممزوجة بتعجب وقالت لعمر:

_أنت بتتكلم بجد يا باشمهندس ولا بتهزر..

قال لها بهدوء:

_أنا باتكلم بجد طبعًا.

قالت له ولا تزال تلك الابتسامة السآخرة على شفتيها:

_يعني أنت مش عارف بلقيس فين..

قال لها عمر بجدية:

_أنا لو عارف بلقيس فين كنت رحت لها فورًا.. أنا بادور عليها ومش قادر أوصل لها ياريت تساعديني يا فرح..

أخذت فرح تنظر إلى عمر بتفحص في محاولة لمعرفة إن كان يتكلم بجدية أم أنه يمزح ثم فجأة قالت له:

_لو أنت فعلاً مش عارف بلقيس فين.. تعالى معايا أنا هاوصلك ليها..

شعر عمر بفرحة غامرة ونهض سريعًا من فوق كرسيه وقال لفرح:

_أنتِ فعلاً عارفه مكانها..

قالت له بهدوء:

_أيوه يا باشمهندس أنا عارفه مكانها..

قال لها بسرعة وهو يتحرك:

_أنا مش عارف أشكرك إزاي يا فرح..

لم ترد فرح عليه كانت تمشي بجواره بهدوء شديد حتى إن عمر قال لها بقلق:

_ياريت يا فرح نروح لبلقيس بسرعة أنا نفسي أشوفها وخايف أحسن تمشي من المكان اللي هي موجودة فيه..

توقفت فرح عن المشي وقالت لعمر:

_ماتخفش يا باشمهندس بلقيس مستحيل تمشي من المكان اللي هي فيه.. سيب عربيتك هنا واركب معايا عربيتي عشان أنا عارفه الطريق.. وبعدين هارجعك هنا تاني...

ركب عمر بجوار فرح في سيارتها وانطلقا.. كانت فرح تقود سيارتها بهدوء وهي شارده لم تنطق بكلمة خلال الطريق.. أنهت فرح شارع الهرم وبدأت بطريق ٦ أكتوبر الواحات اندهش عمر وقال لها:

_هي بلقيس مش موجود في بيتها على الطريق الصحراوي.. إحنا ليه ماشين في طريق الواحات!؟

قالت له فرح بهدوء غريب:

_لأ يا باشمهندس بلقيس مش موجودة في بيتها.. مش أنت عايز تروح لها.. أنا هاوديك لها..

كان عمر مندهشًا يفكر.. أين يا ترى هي بلقيس؟ أتسكن هي في منزل آخر غير قصرها الذي ذهب إليه من قبل.. كان شاردًا يشعر بشوق شديد لرؤيتها يا ترى ألا تزال بلقيس غاضبة منه.. سوف يسترضيها بكل الطرق لن يجعلها تغضب منه مرة أخرى ولن يغضب هو منها أبدًا....

أفاق عمر على صوت فرح وهي تقول له:

_انزل يا باشمهندس.. خلاص وصلنا.

فتح عمر باب السيارة ونزل بسرعة ولهفة ثم تسمر في مكانه عندما وجد نفسه يقف وسط المقابر التي تحيط به من الجانبين قال لفرح بفزع:

_إيه ده يا فرح.. إحنا فين أنا كنت سرحان طول الطريق أنتِ جبتينا فين..

قالت له فرح بنفس الهدوء الغريب:

_مش أنت عايز تقابل بلقيس.. تعالى.. ثم بدأت تمشي وتتجه نحو إحدى المدافن.. لم يتحرك عمر من مكانه فالتفتت له وقالت:

_إيه يا باشمهندس أنت خايف ولا إيه؟

قال لها عمر وكأنه ليس في وعيه:

_أنا مش خايف أنا بس مش عارف إحنا هنا بنعمل إيه؟

اقترب منهم رجل في حوالي الخمسين من عمره يرتدي جلابيه وقال:

_سلام عليكم.. إزيك يا ست فرح..

ردّت عليه فرح قائلة:

_الحمد لله يا عم فتحي.. إزيك أنت

فتح الرجل البوابة الخارجية لحوش المدفن وقال لهما:

_ اتفضلوا..

دخلت فرح أولاً ثم دخل عمر خلفها وهو لا يزال واقعًا تحت تأثير الصدمة لم ينطق بكلمة وقفت فرح تدعو الله بصوت منخفض والدموع تنهمر من عينيها لم يصدق عمر ما يراه فنطق بصوت مبحوح من شده الانفعال قائلاً:

_إيه اللي يثبت إن الكلام ده حقيقي وإن بلقيس مدفونة هنا ... قال له عم فتحي بدهشة : يا باشا مستحيل نعترض على إرادة ربنا...نظر عمر إلى الرجل دون أن ينطق .. فأكمل الرجل كلامه قائلاً:

_ست بلقيس مدفونة هنا من سنة يا باشا.. ثم ربت على كتف عمر وقال له بغموض:

_وأنت عارف ومتأكد من كده..

التفت إليه عمر بعنف وقال له:

_يعني إيه عارف ومتأكد من كده..

قال له الرجل وهو ينظر إليه نظرات غريبة:

_يعني يا باشا اللي بيموت مستحيل يرجع تاني ...

قال عمر لفرح وقد تذكر شيء مهم:

_أنت مش بتقول إن بلقيس هنا من سنه.. إزاي صديقاتها الباقين وعم مصطفى بيقولوا إنها ماتت من ست سنين..

لم ترد عليه فرح لأنها كانت لا تزال تبكي واقترب الرجل منها وقال لها:

_كفاية كده يا ست فرح.. ست بلقيس كده هاتتعب لما تحس إنك زعلانه بالشكل ده.. مش معقول كل ما تيجي تزوريها تفضلي تبكي بالشكل ده..

قالت له فرح:

_مش قادره يا عم فتحي.. مش قادره أتخيل إنها سابتني لوحدي ..قال لها الرجل بحنان:

_وحدي الله يا بنتي أعمارنا مش بإيدينا..

نظر الرجل إلى عمر الذي كان يقف بدوره مذهولًا لا يصدق ما يراه وقال له:

_مش هاتدعي لها يا بني..

نظر إليه عمر وقال له بنظرات زائغة:

_على فكرة أنا مش مصدق إنها ماتت في حاجة أنا مش فاهم إيه هيا ناس بتقول إنها ماتت من سنه وناس بتقول إنها ماتت من ست سنين.. وأنا باشوفها وبتكلم معاها إزاي تكون ماتت مستحيل في حاجة ولازم أعرفها....

obeikandl.com

الفصل الرابع عشر

عاد عمر إلى منزله وهو يشعر أنه مشتت الذهن لم يعد يستوعب ما يحدث حوله من أحداث كيف تكون بلقيس قد ماتت وقد رآها مرات ومرات ولما يقول عم مصطفى وهمسة وهايدي بأنها ماتت منذ ست سنوات وتقول فرح وعم فتحي أنها ماتت منذ سنة واحدة.. مستحيل تكون قد ماتت من هي إذًا تلك التي يراها.. ولكن أين هي بلقيس لقد كاد يجن من الشوق إليها.. لم يعد يستطيع أن يحتمل فراقها أكثر من ذلك.. دقت ساعة الحائط الثانية عشرة معلنة منتصف الليل وترك عمر مكتبه ونزل سريعًا ككل ليلة إلى الحديقة يراوده الأمل اليائس من قدوم بلقيس.. لقد مرت تسعة ليال منذ شجارهما معًا.. لقد طال غيابها جلس عمر على إحدى المقاعد الموضوعة بالحديقة ووضع رأسه بين يديه يفكر في بلقيس لقد اشتاق بشدة لجمالها.. لصوتها.. لرائحتها.. لجرأتها .. لنعومتها.. لطفولتها.. لأنوثتها.. لثقافتها.. لغموضها.. لبراءتها.. لم يعد يحتمل.. مر عليه الوقت بطيئًا وهو شارد الذهن.. ملهوف القلب يفكر بها.. يشعر أنه تائه ضائع وسط طريق مظلم.. رغمًا عنه ترقرقت دموع في عينيه وإن كانت لم تنزل على وجنتيه لقد حبسها عمر قبل أن تنزل لم يدري أهي دموع اشتياق لإنسانة لا يدري على وجه الدقة ما الذي تفعله به.. أم هي دموع فراق لأنها قد ضاعت منه ولا يدري كيف الوصول إليها.. كان عمر شاردًا لا يشعر بما حوله حتى ملأ المكان من حوله فجأة رائحة لا يمكن لأنفه أبدًا أن تخطئها وأتاه صوت لطالما انتظر أن يسمعه تخلل روحه واحتل كيانه ونبرة فتاكة تقول صاحبتها بنعومة ودلال:

_إزيك يا عمر..

لثواني لم يستطع أن ينهض من فوق كرسيه.. أيكون هذا حلمًا..

أتاه الصوت مرة أخرى بنعومة أشد:

_إيه يا عمر.. ما وحشتكش.. مش عايز تشوفني..

نهض عمر من فوق كرسيه والفتت ببطء كان يتمنى من كل قلبه أن تكون هذه حقيقة وليست حلمًا.. وقعت عيني عمر على من كان يحلم بها ليل نهار وجد نفسه أمام بلقيس وجهًا لوجه اقترب منها بلهفة وهو يقول لها بوجد شديد:

_وحشتيني يا بلقيس .. وحشتيني قوي قوي..

مد عمر يده إليها ليمسك بها فتراجعت إلى الخلف وهى تقول له ضاحكة:

_ أنت نسيت القواعد.. الأربع خطوات..

لم يرد عليها عمر ولكنه استمر يقترب منها وهي تتراجع إلى الخلف ثم قالت له:

_وبعدين معاك يا عمر.. أنت عايز إيه ؟

لم يرد عليها عمر ولكنه أمسك بها وضمها إلى صدره بقوة ولا يزال يضمها حتى قالت له برقة شديدة:

_كفاية يا عمر أنت هتكسر ضلوعي..

لم يتركها عمر ولكنه أصبح يضمها برقة أكثر وقال لها:

_أنا آسف يا حبيبتي.. بس أنا مش قادر أتحمل الشوق أكتر من كده.. حرام عليكِ يا بلقيس ليه بتعملي فيا كده..

دفن عمر وجهه بشعر بلقيس وأخذ يشتم رائحة عبيره وقال لها والشوق يقطر من صوته:

_بلقيس.. إحنا لازم نتجوز.. أنا بحبك.. بحبك قوي ومش قادر أعيش بعيد عنك..

ابتعدت عنه بلقيس برقة وقالت له وهي تمسح بيدها على وجهه:

_نتجوز مرة واحدة.. أنت متأكد إنك بتحبني يا عمر وعايز فعلًا تتجوزني

أمسك عمر بيد بلقيس وأخذ يقبلها برقة متناهية ثم قال لها:

_أنا بحلم إني أتجوزك يا حبيبتي..

مسحت بلقيس على شعر عمر وقالت له:

_أنا آسفة يا عمر إني زعلتك آخر مرة...

ضمها عمر مرة أخرى إلى صدره وقال لها:

_أنا اللي آسف يا حبيبتي إني زِعلت منك.. بس أوعدك يا بلقيس إني مستحيل هزعل منك تاني...

ضحكت بلقيس بشقاوة وقالت له:

_مهما عملت..

قال لها عمر وهو يضمها بقوة:

_مهما عملتي... مستحيل أزعل منك تاني أبدًا..

ابتعدت بلقيس عن عمر وقالت له بجدية:

_خلصت المجمع الخيري اللي طلبته منك يا عمر..

أومأ لها عمر برأسه علامة الإيجاب وقال لها وهو لا يريد أن يرفع نظره عنها وبصوته نبرة حب عميقة:

_خلصته يا حبيبتي.. بس فاضل حاجات بسيطة ياريت تطلعي معايا تشوفيه وتقولي رأيك إيه..

ابتسمت له بلقيس بفرح وقالت:

_بجد يا عمر خلصته بسرعه كده ..برافو عليك..

احتضنها عمر مرة أخرى وقال لها بهمس:

_كان لازم أخلصه بسرعة يا بلقيس.... أحسن تزعلي مني تاني..

ضمها أكثر ثم قال بنفس الهمس:

_أنتِ بعدتي عني تسع ليالي .. كنت بشتغل فيهم الصبح وبالليل عشان يخلص بسرعه.. حرام عليكِ يا بلقيس دول كأنهم تسع سنين..

رفعت بلقيس وجهها من على صدر عمر ونظرت داخل عينيه ثم قالت له برقة وهي تطوق رقبته بذراعيها:

_وحشتني يا عمر..

اقترب منها عمر أكثر ثم قبلها قبلة وضع بها كل الشوق والحب الذي يشعر به تجاهها .. لم تكن شفتيه فقط هي التي تُقبلها وإنما كانت روحه ودمائه وكل ذرة بكيانه كان يقبلها بكل جوارحه لم يقوى على الابتعاد عنها أبدًا.. كأنها اخترقت مسام جلده وتخللتها لتجري في دمائه...

شدت بلقيس نفسها من بين ذراعي عمر والتي تطوقها بشدة وابتعدت عنه خطوتين.. كان عمر ينظر إليها بعتاب رقيق ثم قال لها:

_ليه كده يا بلقيس.. ليه بتبعدي عني..

قالت له بلقيس بحب وعلى شفتيها ابتسامة رقيقة:

_بلاش تحبني قوي كده يا عمر..

اقترب منها عمر وقال لها بدهشة:

_ليه بتقولي كده يا بلقيس..

قالت له بلقيس بغموض وقد بدأت تمشي بالحديقة:

_يا عمر اللي بيحب قوي بيتعذب قوي .. وأنا مش عايزاك تتعذب أبدًا..

أمسك عمر يدها وأوقفها عن المشي وقال لها بقلق:

_واضح إنك مش بتحبيني يا بلقيس.. أنا قلت لك إني بحبك لكن أنتِ لأ.. عشان كده بتقولي لي الكلام ده..

نظرت إليه بلقيس وقالت له بصدق شديد:

_أنت أول إنسان أحبه يا عمر..

شعر عمر بصدق كلمات بلقيس ولكنه أراد أن يتأكد فقال لها:

_بجد يا بلقيس .. حقيقي بتحبيني..

قالت له بلقيس بنفس الصدق:

_ بحبك يا عمر.. وعشان بحبك خايفة عليك.. مش عايزاك تتعذب أبدًا..

قال لها عمر بتوتر:

_ليه يا بلقيس أتعذب.. أنا بحبك وأنتِ بتحبيني ليه العذاب.. إحنا نتجوز يا حبيبتي ونعيش مع بعض على طول..

لم ترد عليه بلقيس ولكنها أخذت تمشي بهدوء.. كان عمر يفكر في كلامها لما تقول له ذلك وأي عذاب الذي تتحدث عنه.. أحس عمر بأن هناك شيء مهم تخفيه بلقيس عنه فقال لها:

_أنا حاسس إن في حاجة أنتِ مش عايزه تقوليها يا بلقيس في إيه.. أرجوكِ اتكلمي معايا بصراحة..

توقفت بلقيس وقالت له:

_أنا صريحة معاك يا عمر.. عمري ما كذبت عليك..

قال لها عمر بضيق:

_لأ يا بلقيس في حاجات أنتِ مش عايزه تقوليها.. أنا حاسس إني قربت أتجنن..

نظرت إليه بلقيس مستفسرة.. فقال لها بغضب:

_تقدري تقولي لي يعني إيه كل صديقاتك وعم مصطفى بواب بيتك بيقول إنك ميته.. فرح النهارده ودتني مدفنك اللي أنتِ مدفونه فيه يا بلقيس... وفتحي الحارس الموجود هناك قالي إنك مدفونة هناك من سنة يعني إيه وأنتِ موجوده قدامي لحم ودم.. حضنتك بين ايديا وحسيت بيكِ.. يا إما أنا مجنون أو تكون بتلعبي بيه..

اقتربت منه بلقيس وقالت له بهدوء شديد وهي تمسح على وجهه:

_مش أنت قلت لي يا عمر إنك عمرك ما هتزعل مني مهما حصل..

أمسك عمر يدها وقبلها وهو يتنهد وقال لها بحزن:

_ أنا مش فاهم حاجة يا بلقيس .. ليه مش عايزه تقول لي الحقيقة ليه صديقاتك بيقولوا كده وليه عم مصطفى مُصر إنك ميته ليه يا بلقيس.. ليه.. أنا خلاص مش فاهم حاجة أبدًا لم ترد عليه بلقيس ولكنها كانت تنظر إليه نظرات حزينة لم يفهم عمر سببها.. كانت نظرات الحزن العميقة التي بعينيها تشبه نظرات الحزن التي كانت مرسومه داخل عيني فرح ..

أراد عمر أن يمحو نظرات الحزن المطلة من عيني بلقيس فقال لها وهو يحاول أن يبتسم:

_تحبي تتعشي إيه النهارده..

قالت له بلقيس ولا زالت تنظر إليه نظرات حزينة: لأ يا عمر أنا مش قادرة أكل حاجة ...

ربت عمر على وجهها بحنان وقال لها:

_ليه حبيبتي.. مش إحنا دايما بناكل مع بعض.. أنتِ أكلت قبل ما تيجي

قالت له بلقيس بحزن:

_لأ يا حبيبي أنا ما أكلتش..

ابتسم عمر وقال لها:

_أول مره تقولي حبيبي..

قالت له بلقيس بنفس الحزن:

_عشان أنت حبيبي.. وهتفضل طول عمري حبيبي.. سكتت بلقيس قليلًا ثم قالت لعمر: يا ترى أكلت حاجة يا عمر ولا نسيت نفسك ..

ضحك عمر وقال لها:

_بصراحة نسيت نفسي.. بس مش هاكل حاجة إلا لما تاكلي معايا..

قالت له بلقيس بحنان ولكن لازالت نظرات الحزن بعينيها:

_طيب يا عمر.. اطلع جهز الأكل وأنا هاستناك هنا...

قال لها عمر وهو يبتسم:

_طيب إيه رأيك تيجي معايا.. ونجهز الأكل مع بعض..

قالت له بلقيس بحزن:

_معلش يا عمر اطلع أنت.. وأنا هاستناك هنا.. وماتخفش أنا عمري ماهمشي وأسيبك.. دايمًا هاكون هنا في نفس معادنا الساعة اتناشر.. كانت تنظر إليه بحب ممزوج بحنان جارف يغلفهما حزن عميق.. نظر إليها عمر طويلًا.. لقد كان يخشى أن يتركها ويصعد فتمشي كعادتها ولكنه أحس بصدق كلماتها بأنها لن تتركه أبدًا وبأنها دائمًا سوف تكون معه في نفس الميعاد.. عند منتصف الليل..

صعد عمر وجهز الطعام والشاي الذي تحبه بلقيس ثم نزل مسرعًا إلى الحديقة.. لكنه لم يجدها في المكان الذي كانت تقف به.. ألقى الطعام على المائدة بلا اهتمام ونادى عليها بلهفة.. لكنها لم تجيبه.. نادى عمر مرات ومرات وهو يدور بأنحاء الحديقة يبحث عنها بلهفة شديدة لكنه لم يجدها.. رحلت بلقيس كعادتها.. لكنها في هذه المرة قد وعدته بأنها سوف تكون معه دائمًا في نفس الميعاد.. لن تتركه أبدًا....

obeikandl.com

الفصل الخامس عشر

قرر عمر بأنه يجب أن يعرف حقيقة ما يجرى .... حقًا إن بلقيس قد وعدته بأنها سوف تأتي دائمًا في الميعاد ولكنه يجب أن يعرف ما السر الذي تخفيه عنه خصوصًا وأن لقائها الأخير لم تكن بلقيس فيه كعادتها كانت حزينة وغامضة في كلامها معه لم تعطيه تفسيرًا لما يقوله الناس عنها رفضت أن تأكل معه وكان حنانها زائد ولما كل هذا الحزن الذي بعينيها وملامح وجهها.. لم تكن بلقيس في حالتها التي ألفها عليها كان هناك شيء يحزنها بشدة ويجب أن يعرف ما هو!!

لذلك صمم عمر على دخول قصر بلقيس لقد أحس بأن كل الإجابات سوف تكون هناك خلف تلك البوابات والأسوار العالية والتي تحجب تمامًا ما خلفها.. ولكن لا يدري كيف يمكنه أن يدخل إن الحراس يقفون على بوابات القصر يمنعون كل من يقترب منه كيف إذًا يمكنه الدخول؟ تذكر عمر أن فرح قالت له وهي توصله إلى سيارته وهمّ هو بفتح باب سيارتها والنزول منه:

_رغم إنك يا باشمهندس بتفكرني بأحزان أنا بحاول أنساها لكن رغم كده أنا تحت أمرك في أي وقت أنت محتاج مساعدتي فيه.. لم يفهم عمر ما تقصده فرح بالضبط من مساعدتها له لكنه لم يهتم بتفسير مقصدها ولكنه يعلم أنها كانت صديقة مقربه لبلقيس ربما تجد له طريقه يستطيع بها دخول القصر.. لذلك أمسك سريعًا بتليفونه المحمول وضغط على رقم فرح وعندما سمع الجرس تردد هل يقفل الخط إن الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل ولا يصح أن يتصل بها الآن لكنه بعد مقابلة بلقيس الأخيرة وبعد كل ما مر به اليوم من أحداث لن يستطيع أن يصبر إلى الصباح لابد أن يعرف الحقيقة.. جاءه صوت فرح على الخط الآخر تقول له:

_ياباشمهندس الساعة اتنين ونص في حد يتكلم دلوقتي برضه..

رد عليها عمر بخجل:

_أنا آسف جدًا.. بس الحقيقة أنا مش قادر استني للصبح أنا كان لازم أتكلم معاكي دلوقتي يا فرح..

قالت له:

_على العموم أنا ماكنتش نمت لسه.. كنت بذاكر.. خير في حاجة..

قال لها عمر بسرعة وبدون مقدمات:

_أنا محتاج إنك تساعديني في دخول بيت بلقيس.. أنا مش عارف ممكن تساعديني إزاي بس أنا حاسس إنك ممكن تقدري تدخليني البيت.. أكيد الحراس هناك عرفينك بصفتك صديقه لبلقيس..

قالت له فرح:

_عايز تدخل بيت بلقيس ليه..

رد عليها عمر:

_أكيد هالاقي حاجة جوه بيتها تساعدني إني أعرف الحقيقة..

قالت له فرح:

_حاجة زي إيه.. تفتكر إيه اللي ممكن تلاقيه هناك..

قال لها عمر:

_مش عارف.. بس أنا حاسس إني لازم أدخل البيت..

قالت له فرح:

_يا باشمهندس اوعي تفتكر إنك ممكن تلاقي بلقيس هناك.. أنت عارف كويس بلقيس موجوده فين...

قال لها عمر بعصبية:

_أنتِ هاتساعديني ولا لا..

قالت له فرح بهدوء:

_أكيد هاساعدك يا باشمهندس.. تحب تدخل البيت دلوقتي ؟ لم يتوقع عمر أن فرح يمكن أن تساعده على دخول قصر بلقيس بتلك السرعة فقال لها:

_أنت بتتكلمي بجد.. طيب إزاي ممكن ندخل البيت دلوقتي..

قالت له فرح بنفس الهدوء:

_أنت اللي هاتدخل لوحدك يا باشمهندس عمر..

قال لها عمر بقلق:

_طيب إزاي يا فرح والحراس اللي واقفين على البوابة..

قالت له بثقة:

_مالكش دعوة أنت.. اعمل بس زي ما هاقولك وأنت هاتلاقي نفسك جوه البيت..

استمع عمر لما قالته له فرح وقام بسرعه ينفذه بدقة وصوتها يرن في أذنيه قائلاً:

_اركب عربيتك دلوقتي يا باشمهندس وروح على بيت بلقيس.. بلاش تقف عند البوابة الرئيسية لأن عم مصطفى بيسهر أمام البوابة.. لف بعربيتك حولين البيت هتلاقي في السور باب حديد ممكن تقدر تفتحه بسهولة.. لما تدخل من الباب الحديد هتلاقي قدامك بعد كام خطوه أوضة عم مصطفى بس خلي بالك أحسن يكون موجود أو نايم؛ لكن هو معظم الوقت بيكون قدام البوابة بيسهر مش بينام إلا بعد ما بيصلي الفجر.. ادخل الأوضة بتاعته هتلاقي فيها باب تاني هيوصلك لبدروم البيت.. افتحه وادخل هتلاقي سلم قدامك بالضبط اطلع عليه هتلاقي قدامك باب افتحه على طول لأنه مش مقفول بمفتاح وأول ما تدخل منه هتلاقي نفسك في المطبخ.. اخرج من المطبخ هتلاقي نفسك في طرقة طويلة امشي فيها هتلاقي موجود في آخرها باب افتحه هتلاقي نفسك في وسط البيت..

فعل عمر ما قالته له فرح بدقة متناهية حتى وصل إلى الباب الحديد الموجود بسور القصر من الخلف.. وجده كما قالت له فرح بابا حديديا قديما ومتهالكا وقفله مكسورا.. استطاع عمر أن يفتحه بسهولة ودخل، وجد بالفعل غرفة عم مصطفى مضاءه فمشى بحذر شديد خوفًا من أن يكون بالداخل؛ لكنه سمع صوته يأتي من بعيد وهو يتحدث مع أحد بالخارج .. نظر داخل الغرفة بحذر فلم يجد أحد.. دخل عمر بسرعه ووجد الباب الذي وصفته له فرح أمامه فتحه عمر ودخل وأغلقه خلفه لكنه وجد المكان حوله مظلم

آخرج تليفونه المحمول سريعًا ففتحه لينير له .. ودخل وبالفعل وجد نفسه في المطبخ.. كان عمر حريصًا ألا يضئ الأنوار لكنه كان يمشي بحذر شديد على ضوء تليفونه المحمول خرج من المطبخ فوجد نفسه بالفعل في طرقة طويلة مشى بها عمر حتى وصل إلى الباب الموجود بآخرها ففتحه وخرج بحذر فوجد نفسه بالفعل وسط المنزل.. رفع عمر تليفونه قليلاً حتى ينير المكان وأخذ ينظر حوله فوجد أنه موجود في ريسبشن المنزل كان واسع بالفعل ويوجد به الكثير من الأثاث والموائد الصغيرة الموضوع فوقها التحف والفازات.. لأول وهلة أحس عمر بأن هذا المكان مألوف لديه.. لكنه متأكد بأنه لم يأتي إلى هنا من قبل لما إذًا هذا الشعور الغريب الذي يشعر به ربما لأن بلقيس تعيش هنا.. تمنى عمر من كل قلبه أن يجدها عليها تأتي الآن.. استمر عمر يمشي ببطء وهو يتأمل ما حوله كان هناك سلم يصعد إلى الدور العلوي وبجوار السلم كان هناك غرفة بابها مغلق اقترب عمر من تلك الغرفة وفتح بابها ودخل كان ما يزعجه حقًا أن تليفونه يطفئ كل بضع لحظات, تمنى عمر لو أنه أحضر معه بطارية لتنير له.. أخذ عمر يتأمل الغرفة.. كانت غرفة مكتب كبيرة وكان بها مكتبة كبيرة جدًا حتى أنها تمتد على حائطين كاملين وتذكر عمر ما قالته له بلقيس من قبل في أول يوم أتت فيه إليهم حيث قالت له بأن لديها مكتبة ضخمة أكبر من مكتبته ابتسم عمر لأن المكتبة كبيرة بالفعل.. استمر يمشي ويتأمل ما بداخل غرفة المكتب حتى وقف أمام مائدة هندسية مثل التي لديه تعجب عمر كثيرًا إن بلقيس ليست مهندسة إذًا ما الذي أتى بتلك المائدة هنا إنها خاصة بالمهندسين فقط.. ربما كانت لوالد بلقيس.. استمر عمر يمشي بالغرفة لكنه لم يجد بها شيء آخر يثير انتباهه فخرج منها وأغلق الباب.. صعد عمر إلى الدور العلوي ودخل أول غرفة فلم يجد بها ما يثير انتباهه تركها وخرج ودخل إلى الغرفة الثانية فوجد أنه حمام تركه وخرج فتح الباب الثالث فوجد أنها غرفة نوم دخل عمر واقترب من الفراش وفجأة راوده نفس الشعور بأن تلك الغرفة مألوفة لديه تزاحمت المشاعر بداخله لا يدري ما الذي يشعر به على وجه الدقة كأنه قد نام على هذا الفراش من قبل.. تأمل عمر غرفة النوم بدقة كانت واسعة وبها فراش كبير لشخصين.. تمنى عمر أن يرى الغرفة

بوضوح لكن الغرفة كانت غارقه في الظلام وضوء تليفونه لا يكفئ.. أخذ عمر يتأمل الغرفة على ضوء تليفونه الخافت كان بها دولاب كبير يملأ حائط كامل وكرسيين وثيرين أمامها مائدة صغيرة.. كانت ستائر الغرفة غاية في الأناقة والجمال وإن كان عمر لم يميز لونها بدقة بسبب الظلام.. كان كذلك يوجد تسريحة كبيرة اقترب منها عمر وهو يشعر بحنين إلى بلقيس ويفكر بأنها تتزين على تلك التسريحة ابتسم عمر بشوق وهو يتخيل بلقيس تتزين وتمشط شعرها.. التفت عمر فجأة نحو إحدى الحوائط والتي كانت بعيده عنه بعض الشيء فوجد أنها تمتلئ بصور كثيرة وتتصدر تلك الصور صورة كبيرة لم يميز عمر الأشخاص الموجودين بالصور فاقترب أكثر وهو يقرب ضوء التليفون من الحائط حتى يرى بوضوح أكثر.. لكن بطارية التليفون بدأت تنفذ وخشى عمر أن ينطفئ من دون أن يرى تلك الصور والتي لابد أن تكون لبلقيس وملأه الفضول لرؤية من معها بتلك الصور فأخذ يبحث عن زر الإضاءة بالغرفة وحدث نفسه بأن الستائر مغلقة وبأنه سوف يضيء الغرفة دقيقتين فقط حتى يرى تلك الصور ثم يغلقه سريعًا قبل أن ينتبه أحد لذلك..

وجد عمر زر الإضاءة ومن ثم أضاء الغرفة واتجه إلى الحائط ليرى الصور المعلقة فوقه.. تسمر عمر في مكانه عندما اقترب ورأى الصور بوضوح لم يدرى كم مر عليه من الوقت وهو واقف هكذا مشدوهًا لم يصدق ما تراه عيناه.. أيمكن أن يكون ما يراه حقيقة أم هو خيال..

كان الحائط ممتلئ بصور بلقيس وهي على شاطئ البحر.. وهي بين أحواض الزهور.. وهي في بلاد مختلفة في سفريات كثيرة وغيرها وغيرها الكثير وكل تلك الصور كانت لبلقيس مع نفس الرجل.. انتقلت عيني عمر إلى تلك الصورة الكبيرة والتي تتصدر باقي الصور على الحائط كانت صورة بلقيس وهي ترتدي ملابس الزفاف البيضاء وعلى رأسها طرحة بيضاء وتاج مرصع كانت تبتسم بفرحة وبجوارها يقف نفس الرجل الذي رآه عمر مع بلقيس بجميع الصور التي على الحائط .. نطق عمر وهو مشدوهًا مصدومًا لا يدري ما الذي يحدث له بالفعل قائلًا:

_مستحيل.... مستحيل... مستحيل.... أنا أكيد باحلم...

وقع عمر مغشيًا عليه.. لم يستطع أن يحتمل ما رآه بعينيه...

أحس عمر بأنه نائم ممدد فوق فراش.. حاول أن يفتح عينيه لكنه لم يستطع أتاه صوت كأنه من بعيد يقول له:

_عمر.. أنت شايف الصور كويس دلوقتي.. مين اللي مع بلقيس في الصور

لم يرد عمر كان مغمض العينين ويشعر أنه لا يستطيع الحراك..

أتاه الصوت مرة أخرى:

_عمر.. لازم تقول مين اللي مع بلقيس في الصور.. اتكلم يا عمر مين اللي موجود معاها في الصور؟

نطق عمر بصعوبة وصوته مرتعش ولا يصدق ما رآته عيناه وينطق به لسانه:

_أنا.... أنا اللي موجود مع بلقيس في كل الصور..

جاءه الصوت مرة أخرى:

_وصورة الفرح مين يا عمر اللي مع بلقيس في الصورة؟

رد عمر بصوت مرتعش:

_أنا.. أنا اللي مع بلقيس في صورة الفرح..

جاءه نفس الصوت يقول:

_عمر.. أنا هعد لثلاثة بعدها تفتح عينيك..

فتح عمر عينيه ببطء ووجد أنه ممدد على فراش بداخل غرفة إضاءتها خافته وبجواره تجلس سيدة على إحدى الكراسي ترتدي بالطو أبيض.. قامت من علي الكرسي بهدوء ثم أنارت الغرفة وجاءت مرة أخرى وجلست بجوار عمر على كرسيها وقالت له وهي تبتسم:

_عامل إيه يا عمر..

نظر إليها عمر بدهشة شديدة ثم قال لها بتعجب:

_فرح..

أومأت له فرح برأسها وقالت له:

_كويس إنك عرفتني المرة دي يا عمر..

نهض عمر وحاول أن يجلس لكن فرح قالت له:

_خليك مرتاح يا عمر..

قال لها عمر بصوت مرتعش :

_أنا كويس.. بس مش فاهم حاجة أبدًا..

نظر عمر إلى فرح مرة أخرى واندهش أكثر, لقد كانت ملامح فرح أكبر عمرًا كيف ذلك؟ لقد قابلها بالأمس عندما ذهبت معه إلى المدفن الذي ادعت بأن بلقيس مدفونة به وكان عمرها لا يتعدى العشرين أما اليوم فإنه أمام امرأة قد تعدت الثلاثين قال لها عمر مستفسرًا:

_ممكن أسألك سؤال يا فرح..

قالت له بابتسامة:

_اتفضل..

قال لها عمر:

_أنتِ عندك كام سنة؟

ضحكت فرح وقالت له:

_في حد برضه يسأل واحدة ست عندك كام سنة..

قال لها عمر وهو يشعر بإعياء:

_معلش بس ياريت تردي عليا..

قالت له فرح:

_عندي أربعة وثلاثين سنة يا عمر..

أغمض عمر عينيه ولم يرد عليها ولكن انهمرت دموعه بهدوء تبلل وجهه قامت فرح من على كرسيها وجلست بجواره على الفراش وقالت له بحنان:

_ليه كده يا عمر.. ليه الدموع دي..

لم يرد عليها عمر.. لم يعد يعرف شيئًا.. كيف يمر من عمره أربعة عشر عامًا دون أن يشعر.. لم يعد يعلم إن كان مجنونًا أم عاقلًا.. نائمًا أم يقظًا.. حيًا أم ميتًا.. لا يدري من هو على وجه التحديد..

فتح باب الغرفة ودخلت فتاة ترتدي ملابس الممرضات وبيدها دواء وحقنه أعطت الدواء وكوب من الماء لعمر والذي ابتلعه في استسلام..

نظر عمر إلى فرح وقال لها:

_ممكن أعرف أنا فين بالظبط..

ابتسمت له فرح وقالت له بهدوء وهي تأخذ الحقنة من الممرضة وتقول لها:

_أنا هادي الباشمهندس الحقنة بنفسي..

ثم قالت لعمر وهي تعطي له الحقنة:

_أنا هاتكلم معاك وهاقولك كل حاجة أنت عايز تعرفها.. بس دلوقتي أنت محتاج إنك تنام شويه.. ياريت ترتاح ولما تصحى أنا هاجيلك ونتكلم زي ما أنت عايز..

تمدد عمر على الفراش وأغمض عينيه وسرعان ما راح في نوم عميق.. أغلقت فرح باب الغرفة وقالت للممرضة:

_المهندس عمر هاينام شويه دلوقتي وأول ما يصحى إديني خبر على طول..

obeikandl.com

الفصل السادس عشر

استيقظ عمر من نومه لا يدري كم من الوقت مضى وهو نائم.. لم يهتم بأن يعرف كم الساعة وهل الوقت صباحًا أم مساءً..

نهض من فراشه ودخل إلى الحمام الموجود بغرفته.. وقع نظره على انعكاس صورته بالمرآة وجد أن هناك شعيرات بيضاء قد تناثرت في رأسه.. شرد عمر وتذكر عندما قالت له بلقيس في أول يوم رآها أن هناك ثلاث شعيرات بيضاء في رأسه.. وتذكر أنه ضحك وقتها وقال لها:

_أنتِ عدتيهم...

لم يعودا الآن ثلاث شعيرات بل أكثر من ذلك بكثير..

أين ذهب الأربعة عشرة عامًا من عمره كيف مضوا؟ دون أن يشعر وأين كان هو؟ هل كان في غيبوبة ثم استيقظ إنه لا يصدق حتى الآن بأن بلقيس قد ماتت.. لأنها لا تزال تعيش في وجدانه.. تبحر في دمه.. لا يزال يراها داخل عينيه.. لا يزال يشتم رائحتها في أنفه.. لا يزال يسمع صوتها يتخلل أذنيه.. كيف تكون قد ماتت منذ أربعة عشرة عامًا وهو لا يزال يستنشق هواها.. لا يزال عبيرها يتناثر حوله.. إن بلقيس بالنسبة له ذرات الهواء والماء كيف يمكنه إذًا أن يعيش بدونها.. إنه يندهش لحاله بشدة كيف يحيا هو لهذه الدرجة وهو أبدًا لم يفهمها في يوم...

سمع عمر دقات خفيفة على باب غرفته خرج ليستطلع الأمر فوجدها ممرضة تقف بالباب وتقول له:

_أنت صحيت يا باشمهندس عمر.. أنا هابلغ الدكتورة فرح لأنها عايزه تيجي تشوف حضرتك..

خرجت الممرضة وأغلقت الباب خلفها.. أخذ عمر يدور بعينيه داخل

الغرفة يتأملها كانت غرفة متوسطة المساحة.. بها فراش وبجواره كومودينو ومائدة صغيرة أمامها كرسيان... ودولاب صغير وجهاز تليفزيون معلق على حامل للحائط كانت الغرفة بها نافذة اقترب عمر وأزاح الستائر ونظر خارجها فوجد أن الشمس ساطعة بالخارج.. كانت غرفته تطل على حديقة يجلس بها بعض الأشخاص وبجوارهم تقف سيدتين بملابس الممرضات تتحدثان معًا..

سمع عمر دقات على الباب مرة أخرى ثم فتح الباب ودخلت منه فرح كان عمر يتأملها وهي مقبلة عليه ترتدي بالطو الأطباء الأبيض ونظارة طبية على عينيها.. كان شعر فرح كما كان يتذكره من قبل طويلًا ولكنه الآن أصبح يصل بالكاد إلى ذقنها قال لها عمر:

_أنتِ قصيتي شعرك يا فرح؟

ضحكت فرح بمرح وقالت له:

_ياه... أنا قصيته من أكتر من سبع سنين.. بس والله برافو عليك إنك لسه فاكر إن شعري كان طويل..

نظر إليها عمر بحزن وقال لها:

_أنا مش فاكر حاجه خالص ولا حتى عارف أنا فين..

أنا حتى دلوقتي بقيت أشك في نفسي مش متأكد أنا مين بالظبط..

جلست فرح على الكرسي وقالت له بهدوء:

_تعالى يا عمر لو سمحت وأقعد إحنا محتاجين نتكلم مع بعض شويه اقترب عمر وجلس على طرف الفراش وقال لها بسخرية:

_نتكلم في إيه يا دكتورة فرح..

قالت له فرح بابتسامة:

_مش أنت عايز تعرف أنت مين وفين وبتعمل إيه هنا..

لم يرد عليها عمر فقالت له فرح بجديه:

_يا عمر إحنا كنا فين وبقينا فين.. الحمد لله أنت بدأت تستجيب للعلاج..

قال لها عمر بدهشة:

_أي علاج يا فرح.. أنا فين أصلًا..

قالت له فرح بتعاطف:

_أنت موجود في مصحة للعلاج النفسي ...

نهض عمر من مكانه واقفًا وقال لها مستنكرًا:

_مصحة نفسية .. أنتِ بتقولى إيه هو أنا خلاص اتجننت..

قالت له فرح بهدوء:

_من فضلك يا عمر أقعد ولو سمحت مافيش داعي تقول الكلام ده.. يعني إيه اتجننت..

قال لها عمر بحسره:

_لو مكنتش اتجننت أنا هنا باعمل إيه وإزاي أربعتاشر سنة تضيع من عمري وأنا مش حاسس..

قالت له فرح وهي تشير إليه ليجلس:

_خلينا نتكلم بهدوء.. ونعيد ترتيب الأحداث في عقلنا..

قال لها عمر وهو ينظر إليها بدهشة:

_ أنا مش فاهم تقصدي إيه.. يعني إيه نعيد ترتيب الأحداث في عقلنا..

قالت له فرح:

_يا عمر أنا من يوم ما رجعت من البعثة بتاعتي وأنت بقيت شغلي الشاغل كأنك الحالة الوحيدة اللي موجوده عندي حتى جوزي أصبح بيتابع حالتك من كلامي المستمر عنك .. أنا عايزاك ترجع لحياتك وحالتك الطبيعية بأي شكل.. قال لها عمر وهو يشعر بأنه تائه:

_أنا مش فاهم حاجة أبدًا.... أنا لحد إمبارح كنت عايش حياتي بشكل طبيعي موجود في بيتي ومعايا داده فردوس.. وبروح كل يوم الصبح شغلي في الجامعة وبعدين مكتبي وبالليل الساعة اتناشر ميعادي مع بلقيس.. نهض عمر من فوق فراشه واتجه ناحيه النافذة ونظر خارجها وأكمل كلامه قائلاً:

_بلقيس عمرها ما كانت بتتأخر عن معادها.. لحد اليوم اللي زعلنا مع بعض فيه سابتني تسع ليالى من غير ما أشوفها.. وبعدها كل حاجة اتلخبطت مش عارف إيه اللي حصل.. ودلوقتي أنا هنا موجود في مصحة نفسية بتعالج من إيه بالضبط مش عارف.. وإزاي السنين دي عدت عليا وأنا مش حاسس برضه مش عارف وإزاي أنتِ إمبارح كان عندك عشرين سنة والنهارده أربعة

وثلاثين برضه مش عارف.. هز عمر رأسه بعنف وكأنه يطرد منها الأفكار التي لا يريدها ثم اتجه إلى إحدى الحوائط ودق عليها بعنف.. انتفضت فرح من فوق كرسيها واتجهت إلى عمر ورتبت على ظهره بحنان ثم قالت له:

_أرجوك يا عمر.. خلينا نتكلم مع بعض بهدوء شويه.. أنت دلوقتي كل اللي محتاجه إنك ترتب الأحداث في عقلك..

التفت إليها عمر وبعينيه نظرات زائغة وقال لها:

_أنا مين بالظبط؟..

ردت عليه فرح بكل هدوء قائلة له:

_أنت الدكتور عمر عبد الوهاب.. أستاذ في كلية الهندسة جامعة القاهرة

ابتسم عمر بسخرية وقال لها:

_أنتِ متأكدة..

أومأت له فرح برأسها وقالت له بتعاطف:

_أيوه .. متأكدة .. زي ما أنا شايفاك بالضبط..

رد عليها عمر بنفس السخرية قائلاً:

_طيب ما أنا كنت باشوف بلقيس بعنيا وبتكلم معاها وباكل وباشرب معاها وأكتر من كده بضمها بين إيديا وكلكم بتقولوا إنها ماتت.. إمبارح أنا شفتها واتكلمت معاها والنهارده هي ميته من أربعتاشر سنة.. يبقى إزاي أنتِ متأكدة إن أنا عمر عبد الوهاب.. يمكن أكون أي حد تاني..

قالت له فرح بهدوء وثقة:

_لأ.. أنت عمر عبد الوهاب..

تنهد عمر بيأس وقال لها وهو يجلس مرة أخرى على طرف الفراش:

_أنا هنا باعمل إيه يا فرح ممكن تفهميني.. وهنا من وقت قد إيه بالضبط

جلست فرح مرة أخرى على كرسيها وقالت له:

_بعد وفاة بلقيس يا عمر.. أنت دخلت في صدمة نفسية شديدة كنت رافض موتها بإصرار.. وعشت حياتك معاها بشكل طبيعي في خيال أنت بنيته بنفسك, وكنت بتغذيه كل ليلة بلقائك الوهمي مع بلقيس الساعة اتناشر لحد ما بقى حقيقة بالنسبة لك مش خيال.. أنت هنا يا عمر في المصحة من حوالي

عشر سنين, قبل كده كنت بتدخل فترة وتطلع لكن من عشر سنين أصبحت منفصل تمامًا عن الواقع وعايش في الخيال مع بلقيس ورافض تمامًا الاعتراف بالحقيقة؛ وهي إن بلقيس ماتت من أربعتاشر سنة وإن لياليك معاها يا عمر طول السنين دي هي اجترار لعقلك الباطن من اللي حصل فعلاً لعقلك الواعي مع بلقيس من أربعتاشر سنة لكنه حصل وخلص لكن أنت رافض إنه انتهى مازال عقلك الباطن بيكرره كأنه أحداث مازالت بتحصل ومستمرة..

قال لها عمر وهو يحاول أن يستوعب ما تقوله فرح:

_يعني بلقيس مش موجوده يا فرح أنا عمري ما قابلتها كل اللي حصل معاها خيال في خيال..

قالت له فرح بحزم:

_لأ يا عمر أنا ماقلتش كده أبدًا.. بلقيس كانت موجوده فعلاً وأنت حبيتها دي حقيقة.. خليني أفهمك أكتر يا عمر أنت الأمور عندك مختلطة ما بين عقلك الواعي وعقلك الباطن.. عقلك الباطن عارف ومتأكد تمامًا إن بلقيس ماتت لكن عقلك الواعي رافض الحقيقة دي.. عشان كده الأمور مختلطة معاك لازم تعرف إن العقل الباطن بيشتغل بقدرة أعلى بكتير من قدرة العقل الواعي حتى أنه يقدر يرسل حوالي ٢ بليون معلومة في اللحظة ونقدر نقول أنه قوة بلا حدود لأنه بيحتفظ بالماضي كله وبالحاضر ويقدر يستنتج اللي ممكن يحصل في المستقبل.. يعني على سبيل المثال لما بتتكلم مع شخص فعقلك الواعي بيركز في كلامك أو كلامه وقد تكون اللقطة الثانية رؤيتك لعينيه أما عقلك الباطن فإنه بيسجل إضاءة الغرفة ودرجة حرارتها ولون ملابسه ويتلقى المشاعر الكامنة من نبرة صوت المتكلم وحركة عينيه.. لكن المشكلة إن العقل الباطن بيرتب الأشياء دون منطق.. عشان كده يا عمر إحنا عايزين نعيد ترتيب الأشياء بعقلنا الواعي عشان يكون فيها منطق وتقدر تميز بين اللي حصل فعلاً في الماضي واللي هو لسه حاضر وأنت عايشه دلوقتي سكتت فرح لحظات ثم قالت له بابتسامة ودوده:

_عارف اللي أنا فعلاً مستغربه منه.. إنك أنت تقع في المشكلة النفسية دي لأني لما عرفتك يا عمر لقيت إنك إنسان حاد الذكاء وشخصيتك قوية بدرجة

كبيرة وعلى درجة عالية من الإيمان.. أنا لحد دلوقتي مش قادره أستوعب إزاي في إنسان بمواصفاتك دي ويدخل في الدوامة النفسية اللي أنت فيها..

سألها عمر:

_أنتِ بتعالجيني من وقت قد إيه يا فرح؟

قالت له:

من حوالي أربع سنين..

قال لها عمر:

_وقبل كده؟

قالت له فرح وقد شعرت بالارتياح لأن عمر بدأ يستوعب ما يحدث حوله:

_قبل كده أنا كنت لسه بادرس في الكلية وبعدين اتخرجت وكنت دكتورة صغيرة تعرف إن أنا اتخصصت في الأمراض النفسية عشانك.. عشان أقدر أساعدك..

قال لها عمر:

_أنتِ بتتكلمي بجد..

قالت له فرح:

_أنا باتكلم بجد.. ثم أكملت له.. بعدما خلصت الماجستير بتاعي وكان موضوعه عن المشاكل النفسية لما بعد الصدمة وطرق علاجها كانت مشكلتك قدامي في كل لحظة.. سافرت بعد كده في بعثة عشان أدرس الدكتوراه.... بعدما رجعت وأول حاجة عملتها إني جيت زُرتك في المصحة أنا كنت بتابع أخبارك دايمًا حتى وأنا مسافره كنت بكلم الدكاترة اللي متابعين علاجك وهما على فكرة أساتذة كبار في الأمراض النفسية وجربوا معاك كل طرق العلاج المتعارف عليها لكن للآسف حالتك النفسية يا عمر كانت بتسوء مش بتتحسن.. النفس البشرية عاملة زي سرداب طويل ومظلم, ولو دخلنا فيه بنتوه وللآسف أنت كنت بالفعل دخلت السرداب ده وكل ما كانوا بيحاولوا إنهم يمسكوا بيك ويرجعوك تاني كنت بتحاول تهرب منهم أكتر وأكتر.. سكتت فرح قليلاً لتلتقط أنفاسها ثم أكملت لعمر:

_بعد ما رجعت من البعثة قررت إني أتولى علاجك بنفسي.. خففت كتير

من الأدوية اللي كانوا بيدوها لك وبدأت علاجك عن طريق جلسات التنويم المغناطيسي أو الإيحائي وده على فكره بيجيب نتائج هايلة لكن أنا كنت قلقانة إن الجلسات دي تفشل في علاجك يا عمر، بس كان عندي ثقة ويقين إنى إن شاء الله هانجح معاك..

قال لها عمر وهو يضع رأسه بين يديه:

_بس أنا مش فاكر أي حاجة.. أنا كل اللي فاكره إني كلمتك في التليفون وقابلتك في المطعم وإنك وصلتيني لمدفن بلقيس وبعد كده ساعديتني إنى أدخل بيتها وكل ده كان إمبارح..

قالت له فرح وهي تحاول أن توضح له وترتب الأحداث في عقله:

_مكالمة الموبايل حصلت فعلاً يا عمر بس دي مش إمبارح دي كانت من حوالي خمستاشر سنة وقتها كنت أنت وبلقيس حصلت بينكم خناقة وبطلت تقابلك وكنت شايفاها بتحبك قوي وكلمتك عشان تعرف طريقها، أنا اللي كلمتك يومها.. قال لها عمر وهو يحاول أن يفهم ما يحدث له:

_يعني أنا قابلتك يومها في المطعم؟ يعني أنتِ اللي كلمتيني مش أنا اللي كلمتك!؟..

قالت له فرح:

_أيوه بعد المكالمة أنا قابلتك في المطعم، وقلت لك حاول تستناها قدام بيتها لأنها بترجع متأخرة قال لها عمر وهو يحاول أن يرتب الأحداث:

_وبعدين أنتِ كنت بتبكي وقلت لي إن أنا فكرتك بأحزان عايزة تنسيها وبعد كده ودتيني المدفن وقلت إن بلقيس مدفونة فيه من سنة...

قالت له فرح وهي تعيد ترتيب الأحداث لعمر:

_لأ يا عمر أنا عمري ما وديتك مدفن بلقيس.. بس أنا كنت باعملك جلسات التنويم المغناطيسي وباركز على نقطة مهمة إنك تعرف وتتأكد إن بلقيس ماتت فعلاً عشان تفصل الحقيقة عن الخيال.. زيارتي لمدفن بلقيس معاك مكنتش في الحقيقة دي كانت جلسة تنويم مغناطيسي وصوتي بس هو اللي أنت كنت سامعه والمدفن أنت شفته فعلاً في اليوم اللي بلقيس ادفنت فيه.. إحنا كنا في اليوم ده يا عمر كلنا موجودين معاك كل أصدقائها وصديقاتها كل الناس اللي

حبيتها.. بلقيس كانت كل الناس بتحبها، يمكن أنت فاكر دموعي وبكائي يومها بس أنا عمري ما قلت لك إنك فكرتني بأحزان عايزه أنساها...

قال لها عمر وهو حائر:

_بس أنا فاكر إنك أنتِ بس اللي كنت موجوده وكان في واحد ثاني اسمه عم فتحي ...

قالت له فرح:

لأ يا عمر كلنا كنا موجودين.. كان في ناس كتير جدًا اليوم ده بس يمكن إنت ركزت عليه أنا لأن صوتي هو اللي كان موجود معاك في جلسة العلاج وعم فتحي هو فعلاً حارس المدفن اللي موجود هناك بس يمكن لأنه رمز للمكان ده أنت أخذت له لقطة في عقلك الباطن.. أما يوم وجودك في المدفن وهو يوم دفن بلقيس بالفعل أنت كنت واقع تحت تأثير صدمة نفسية شديدة لدرجة إنك مش فاكر أي حد من اللي كانوا موجودين هناك..

قال لها عمر بإصرار:

_بس أنا متأكد إنك قلت لي إن بلقيس مدفونة في المدفن ده من سنة وأنا قلت لك إن كل صحبتها وعم مصطفى قال إنها ميتة من ست سنين وله كل ده خيال ومش حقيقة..

قالت له فرح بهدوء وهي تحاول أن تقنعه:

لأ يا عمر مش كل حاجة خيال .. الحقيقة إن عم مصطفى كان حكى لك فعلاً عن حادثة الطريق الصحراوي واللي مات فيها والد ووالدة بلقيس وفي الوقت ده كان فعلا مر عليها ست سنين بس بلقيس نجيت من الحادثة وعاشت بعدها واتعرفت عليك لكن للآسف الشديد بلقيس ماتت فعلاً بعد كده بس بعد ما أنت عرفتها وحبتها واتجوزتها بسنة يا عمر..

أنا قلت لك قبل كده إن العقل الباطن بيحتفظ بكل الأحداث في الماضي والحاضر لكنه بيرتبها بدون منطق.. لما بيكون في خلل في العقل الواعي نتيجة صدمة زي ما حصل معاك, عقلك الباطن بيرتب الأحداث من غير منطق عشان كده مهمتنا يا عمر لازم تكون تنبيه العقل الواعي عشان يُخرج من متاهة السرداب اللي أنت دخلت فيه..

كان عمر ينظر إليها وفي عينيه علامات استفهام كثيرة جعلت فرح تقول له:

_كفاية كده النهارده.. أنا هاديك حقنة مهدئة خفيفة عشان تنام كويس وبُكرة إن شاء الله هاجيلك نكمل كلامنا.. وهاحكيلك يا عمر إزاي أنت اتعرفت على بلقيس وإيه اللي حصل بالضبط عشان تفصل الواقع عن الخيال وتعيد ترتيب الأحداث في عقلك بس بشكل منطقي..

أخذ عمر الحقنة المهدئة دون اعتراض ثم صعد على فراشه وأطفأت له فرح ضوء الغرفة وخرجت وهي تقول له بصوت هادئ:

_تصبح على خير يا عمر..

أغمض عمر عينيه واستسلم للنوم وكأنه يحاول أن يهرب بنومه من واقعه الذي لم يعد يفهم منه شيء..

obeikandl.com

الفصل السابع عشر

كان عمر شاردًا.. ينظر إلى الصينية الموضوعة على المائدة الصغيرة أمامه والتي عليها بقايا إفطاره.. لم يشعر حتى بفرح عندما دقت على باب غرفته ثم دخلت ومعها عاملة البوفيه تحمل صينية عليها فنجانين من القهوة وضعتهم على المائدة ثم خرجت من الغرفة.. جلست فرح بجوار عمر والذي نظر إليها وكأنه حتى لا يراها وقالت له وهي تناوله فنجان من القهوة:

_ اتفضل يا عمر.. أنا قلت أشرب معاك القهوة النهارده لأني عارفه إنك بتحبها..

لم يرد عمر على فرح ولكنه أخذ منها فنجان القهوة وأخذ يرتشف منه في صمت قالت فرح لعمر وهي تبتسم له:

_أخبارك إيه يا عمر النهارده.. نمت كويس ..

نظر إليها عمر ولا تزال تلك النظرة الشاردة مرسومة داخل عينيه وقال لها:

_ مش عارف نمت كويس ولا لأ..

ضحكت فرح وقالت له وهي تحاول أن تجعله يتجاوب معها في الكلام:

_وبعدين يا عمر.. أنا كنت منتظره إنك تقولي إنك نمت كويس عشان إحنا عندنا شغل كتير النهارده..

لفتت تلك العبارة انتباه عمر فقال لها بجدية وقد اختفت تلك النظرة الشاردة:

_شغل إيه..

قالت له فرح بمرح وهي تشير له بزهو:

_شفت بقى قدرت أخليك تركز معايا إزاي..

نظر إليها عمر بصمت دون أن يرد عليها فقالت له فرح حتى تشعره بالألفة:

_عارف إمتي ابتديت أنادي لك بعمر بس.. من غير يا باشمهندس..

ظل عمر ينظر إليها بصمت وكأن الأمر لا يهمه إطلاقًا .. استمرت فرح تقول له بنفس نبرة المرح:

_من حوالي ثلاث سنين لاقيت إن الموضوع هايبقى أسهل لما أنادي لك باسمك على طول.. ولا إيه رأيك

قال لها عمر وكأن ما تقوله فرح الآن لا يعنيه:

_أنتِ قلت إن عندنا شغل كتير النهارده تقصدي إيه..

قالت له فرح وهي لا تزال تبتسم:

_الموضوع ده لفت انتباهك مش كده يا عمر..

قال لها عمر وقد بدأ صبره ينفذ:

_اتكلمي على طول يا فرح..

أومأت له برأسها وقالت له بابتسامة:

_حاضر يا عمر.. هاتكلم على طول.. بس أنا نفسي تخرج من الأوضة دي شويه أنت حابس نفسك فيها بقالك فترة طويلة..

قال عمر بعصبية:

_مش عايز أطلع بره الأوضة..

استمرت فرح تكلمه بهدوء وبنفس الابتسامة قائلة:

_على فكرة الجو بره جميل جدًا.. تحب نقعد في الجنينة تحت ..

نظر إليها عمر طويلًا ثم قال لها وقد لاحت بعينيه نظرة حزن:

_مش عايز أقعد في الجنينة..

أغمض عمر عينيه وكأنه يحاول أن يهرب من تلك الذكريات التي تحاصره ويعيش بها إن الحديقة هي بلقيس بالنسبة إليه.. أحست فرح بما ينتاب عمر من التوتر فقالت له:

_عمر.. شفت بلقيس إمبارح ..قصدي قابلتها زي كل ليلة في الجنينة..

لم يرد عليها عمر.. لقد أحس بأن فرح تتدخل في أدق خصوصياته مع بلقيس..

لكن فرح قالت له بجدية:

_أرجوك يا عمر.. إحنا اتقدمنا خطوه كويسة في العلاج مش عايزين نرجعها تاني..

نظر إليها عمر لحظات ثم قال لها بحزن:

_لأ ما شوفتهاش.. ماجتش إمبارح في معادها..

قالت له فرح بهدوء شديد وهي تؤكد له على الكلام:

_يا عمر.. بلقيس مستحيل تقابلك في معادها.. عارف ليه..

أغمض عمر عينيه ولم يرد عليها.. فاستمرت فرح تقول له:

_عمر.. عارف بلقيس ماقدرتش تجيلك إمبارح في معادها ليه..

نهض عمر من فوق كرسيه بعصبيه واتجه نحو النافذة ونظر خارجها ولم يرد عليها.. نهضت فرح بدورها ووقفت بجواره ثم قالت له:

_ليه مش بترد يا عمر.. مش عارف الإجابة ولا بتهرب..

استمر عمر لا يرد ولا ينظر إليها وعينيه ثابتة على لا شيء خارج النافذة..

استمرت فرح تكلمه بنفس الهدوء الشديد وقالت له بثبات:

_بلقيس ماتت يا عمر.. بلقيس ماتت.. وأنت عارف ومتأكد من كده.. نزلت الدموع حارة من عيني عمر حتى بللت وجهه تركته يبكي في صمت ولم تُقاطع دموعه وإن كان وجهها ينطق بالتعاطف الشديد مع عمر وأحزانه, لم تكن فرح مجرد طبيبة تعالج عمر في أزمته النفسية التي طالت لأربعة عشر عامًا؛ ولكنها كانت صديقة لبلقيس حبيبة عمره التي لا يستطيع أن ينساها أبدًا أو يعترف بمجرد موتها.. كانت فرح تتأمل عمر وهو يبكي وقد دمعت عينيها عندما تذكرت هي الأخرى بلقيس وهي تلاعبها في حمام السباحة.. وهي تستمع إلى مشاكلها وتحاول أن تحلها لها لقد أحبت فرح بلقيس بشدة وكانت لها أكثر من صديقة أو أخت كبرى بل لقد كانت أقرب إليها من أمها وأبيها كانت فرح تحكي لها أدق أسرارها والتي كانت تحدثها بها وكأنها تحدث نفسها وكانت بلقيس تستمع إليها وترشدها بخبرة كبيرة رغم سن بلقيس الصغير؛ إلا أنها كانت تمتلك من الحكمة الكثير وكأن عُمرها قرون وليس تسعة وعشرون عامًا فقط.. مسحت فرح دموعها سريعًا.. ثم مدت يدها إلى عمر بمنديل ورقي أخذه عمر منها ثم مسح وجهه وترك النافذة وذهب إلى كرسيه وجلس في صمت.. ذهبت فرح

وجلست بجواره.. نظر عمر إلى فرح وعندما رأى آثار الدموع بعينيها اطمأن إلى أن هناك شخص يشاركه الأحزان على بلقيس.. قرأت فرح ما يدور بخلد عمر بذكائها وقالت له:

_صحيح أنا عمري ما قدرت أفهم بلقيس ولا أنت قدرت تفهمها ولا أي حد من أصحابها وأقاربها واللي بيشتغلوا عندها قدر إنه يفهمها لكن يا عمر كلنا بنحبها وهانفضل نحبها ولازم تعرف إن رحيل بلقيس عن الدنيا دي مش معناه إنها خلاص ملهاش وجود لأ يا عمر.. بلقيس هاتفضل دايمًا معانا بمواقفها النبيلة مع كل إنسان مننا.. مش لازم نفهمها لكن كفاية نحبها ونحس إننا وقت ما كنا بنحتاجها دايمًا بتكون معانا واقفه جنبنا وبتساعدنا... بلقيس ماتت وهي صغيرة قوي يا عمر عندها ثلاثين سنة؛ لكن الحب اللي تركته في قلوب كل الناس اللي عرفتها بيخلي عمرها أكتر من كده بكتير..

تذكر عمر عندما قالت له بلقيس بأن عمرها ٨٠٣٥ سنة أغمض عينيه بعنف.. وضع رأسه بين يديه.. لماذا كل شيء يذكره بها..

وضعت فرح يدها على كتف عمر وقالت له:

_أنت تعبان يا عمر تحب نكمل كلامنا بكره وترتاح شويه ...قال لها:

_لأ أنا محتاج أتكلم معاكِ عن بلقيس..

ابتسمت فرح وقالت له:

_عارف بنتي اسمها إيه..

نظر إليها عمر بتساؤل.. فقالت له:

_سميتها بلقيس..

اعتدل عمر في جلسته وقال لها:

_بنتك قد إيه يا فرح..

قالت له فرح:

_عندها أربع سنين.. ثم ضحكت وقالت له:

_باباها كان معترض ورافض إني أسميها بلقيس وقال لي أن الاسم غريب ومش مألوف ومستغرب إيه الرابط القوي اللي بيني وبين بلقيس عشان اسمي بنتي على اسمها.. سكتت فرح لحظات ثم قالت:

_بس هو معذور يا عمر عشان عمره ما شاف بلقيس ولا اتعرف عليها لو كان عرفها كان أكيد هايحبها زينا..

قال لها عمر برجاء:

_ممكن أشوف بنتك يا فرح..

قالت له بابتسامة:

_حاضر يا عمر هابقى أجيبها في يوم..

اعتدلت فرح في جلستها ثم قالت لعمر بجدية وكأنها سوف تبدأ عملها:

_يا ترى أنت فاكر أول مرة شفت فيها بلقيس؟

قال لها عمر على الفور وبدون تفكير:

_طبعًا فاكر.. أول يوم شفت فيه بلقيس مستحيل أنساه.. عربيتها اتعطلت على الطريق الصحراوي بليل وكان الجو شتا والدنيا بتمطر.. ثم بدأ يقص عمر على فرح ما حدث أول يوم جاءت فيه بلقيس إلى بيته ولكنه احتفظ لنفسه ببعض التفاصيل الصغيرة مثل ما شعر به عندما سحرته بلقيس بعينيها داخل المطبخ وحبسته داخل الزمن فلم يعد يشعر بشيء حوله سواها.. كانت فرح تستمع إليه بتركيز فلم تقاطعه في شيء وعندما انتهى عمر من سرد تفاصيل هذا اليوم ووجد أن فرح صامتة قال لها بقلق وتوتر:

_في إيه يا فرح هو اليوم ده كمان من خيالي ماكانش حقيقة حصلت ..قالت له فرح بسرعة:

_لأ يا عمر أبدًا.... اليوم ده حقيقة حصلت فعلاً وأنت اتعرفت على بلقيس وشفتها أول مرة زي ما أنت حكيت بالضبط..

قال لها عمر:

_ طيب أنتِ عرفت منين إن ده حصل مش يمكن يكون خيال في عقلي وبس...

قالت له فرح بثبات:

لأ يا عمر ده حقيقة وأنا سمعت نفس القصة دي من بلقيس نفسها لما مشيت من عندك وقابلتني تاني يوم الصبح أنا وهايدي وهمسة وفريدة وعزمتنا على الغداء وحكيت لنا عنك..

انتاب عمر الفضول لمعرفة ما قالته بلقيس عنه فقال لفرح بسرعه:
_حكيت لكم بلقيس إيه عني..
ابتسمت فرح بخجل وقالت لعمر حتى تغير الموضوع وينسى سؤاله:
_بس أنت نسيت تحكي لي دلوقتي إنكم أكلتم لحمه باردة وزبده ..
اندهش عمر وقال لها:
_أنا مانسيتش أي حاجة حصلت بيني وبين بلقيس بس أنا مستغرب إنك لسه فاكره حاجة زي دي حكيتها لكم بلقيس من أربعتاشر سنة..
قالت له فرح:
_أنا مبسوطة يا عمر جدًا إن عقلك بدأ يركز ويربط الأحداث والوقائع بشكل صح.. أنا طبعًا صعب إني كنت أفتكر حاجة زي دي حصلت من سنين بس أنا عاملة لك ملف فيه كل التفاصيل الخاصة بحالتك موجود فيها كل الكلام اللي أنت كنت بتحكيه في جلسات العلاج ومتسجل على سديهات عشان لازم كنت أقارن بين كلامك وبين اللي أنا عارفه فعلاً إنه حصل في الحقيقة.. طبعًا في حاجات أنا مش عارفاها يا عمر حاجات ممكن تكون خاصة بينك وبين بلقيس لأنها ماكانتش بتحكي كل التفاصيل..
سكت عمر دقائق ثم أعاد سؤاله مرة أخرى قائلاً:
_حكيت لكم بلقيس إيه عني..
ضحكت فرح وقالت له:
_أنت مُصر تعرف هي قالت إيه عنك.. كان عمر ينظر إليها وهو منتظرًا ردها فقالت له:
_الحقيقة أنا مش فاكره بالضبط كل الكلام اللي بلقيس قالته لأن المدة طويلة.. بس اللي أنا فاكراه كويس ومش عايزاك تفهم بلقيس غلط أرجوك يا عمر لأنها زي ما أنت عرفتها كانت غريبة في كل حاجة..
قال لها عمر بإصرار:
_طيب أنا عايز أعرف هي حكيت لكم إيه عني؟
ابتسمت فرح لإصراره العجيب على معرفة كلام قالته عنه بلقيس منذ أربعة عشر عامًا وقالت له:

_هي اعتبرت معرفتها بيك مغامرة جديدة كانت بتدور عليها لأنها حاسة بالملل..

قال لها عمر بدهشة:

_مغامرة.. بلقيس كانت شيفاني مجرد مغامرة!.

قالت له فرح بسرعة وهي تنفي:

_لأ يا عمر من فضلك بلاش تفهم بلقيس غلط.. هي ممكن تكون جريئة شوية في كلامها وغريبة في بعض تصرفاتها وبتعمل اللي هي عايزاه من غير ما يهمها رأي حد؛ لكن قلبها كان فيه نقاء وطهارة الأطفال.. مشكلة بلقيس إن عقلها كان كبير قوي وبتفكر كتير وكانت بتبحث بشكل مستمر عن الهدف الحقيقي لحياتها.. بلقيس كانت مش لايقه الهدف ده لحد ما قابلتك يا عمر..

لم يرد عمر على كلام فرح كان صامتًا ينظر إلى أرضية الحجرة بحزن:

قالت له فرح:

_ أنت ساكت ليه يا عمر..

نظر عمر إلى فرح وقال لها بحزن:

_ تفتكري بلقيس حبتني زي ما أنا حبيتها ولا أنا كنت مجرد مغامرة في حياتها..

قالت فرح بعتاب:

_ليه كده يا عمر.. شفت بقى إنك مش قادر تفهم بلقيس لازم تعرف إنها حبيتك بجنون.. بس هي عاملة زي.. زي.. لم يدعها عمر تكمل كلامها لأنه أكمل هو قائلاً وقد قام مرة أخرى ينظر من النافذة ويحدثها وكأنه يحدث نفسه:

_عاملة زي العصفور.. بلقيس كانت عاملة زي العصفور ما كانتش عايزة حد يقيدها وإن كان ولابد يكون في قيود كان لازم تكون مخفية ما تحسش هي بيها ولا تشوفها.. أنا عرفت الموضوع ده واتأكدت منه تاني يوم لجوازنا لما صحيت الصبح مالقيتهاش نايمة جنبي... كنا بايتين في أوتيل جنب المطار نفس الأوتيل اللي كان معمول فيه فرحنا.... كنا هنسافر الساعة خامسة العصر نقضي شهر العسل زي ما بلقيس عايزه.. كنا هنسافر بلاد كتير هي اللي رتبت رحلة شهر العسل على مزاجها.. الساعة كانت اتناشر الظهر والمفروض نكون

في المطار الساعة إثنين.. لبست ونزلت دورت عليها في الأوتيل كله مش لاقيها والموبايل بتاعها كان موجود في الأوضة على الكومودينو.. اتجننت أنا مش عارف هي فين ولا إيه اللي حصل, ومش عارف اتصل بيها لحد الساعة واحدة وأنا قاعد في الأوضة مش عارف أعمل إيه لقيتها جت وهي بتضحك ومش باين عليها أي قلق وكأنها ما عملتش حاجة ولما لأقيتني متضايق وقلقان قالت لي بكل بساطة:

_ أنا آسفة يا عمر عشان نسيت الموبايل.. أصل كان لازم أروح البيت وأجيب الأجندة بتاعتي لأني نسيتها هناك.. بس أنا جيت على طول.. ولما قلت لها بغضب:

_ أجندة إيه يا بلقيس.. إحنا المفروض هنسافر بعد كام ساعة والأوتيل بعيد عن البيت اللي الموجود على الطريق الصحراوي الأجندة ماتستاهلش إنك تروحي كل المسافة دي..

قالت لي بعند طفولي:

لأ يا عمر تستاهل أنا باحب الأجندة دي تكون معايا في كل مكان وبعدين أنت زعلان ليه الأوتيل جنب المطار أنا عارفه إن إحنا مستحيل هانتأخر على معاد الطياره.

ولما قلت لها:

_وأنا يا بلقيس القلق اللي أنا فيه عليكِ ده مش مهم..

وقفت تبص لي بكل براءة وكأنها ما عملتش أي حاجة وبعدين قالت لي:

_أنا مش عارفه أنت زعلان ليه.. ما أنا جيت يا عمر خلاص..

عاد عمر مرة أخرى وجلس على كرسيه بجوار فرح والتي كانت تستمع إليه بتركيز ثم قال:

شُفت في عينيها اللحظة دي واتأكدت بأن بلقيس لازم تعيش زي العصفور بكامل حريته لأن مستحيل نقيده ونحبسه في قفص حتى ولو كان القفص ده من دهب ويكون مبسوط .. قررت يومها بيني وبين نفسي إني عمري ما هاخليها تشعر بقيودي حواليها أبدًا حتى ولو كانت قيود الحب..

نظرت فرح إلى عمر بإعجاب وقالت له باحترام شديد:

_ مستحيل يكون في إنسان حب إنسانة قد حبك لبلقيس يا عمر بس لازم تعرف إن هي كمان كانت بتحبك بنفس القدر اللي أنت بتحبها بيه بس بأسلوب بلقيس الغريب واللي عُمر ما حد هايقدر يفهمه....

عادت فرح تسأل عمر مرة أخرى حتى تعيد ترتيب الأحداث داخل عقله وتفصل له الحقيقة عن الخيال فقالت له:

_بعدما قابلت بلقيس واتعرفت عليها كنتم بتتقابلوا إزاي يا عمر يا ترى فاكر..

قال لها عمر وقد لاحت في عينيه نظرات شوق إلى بلقيس:

_طبعًا فاكر.. بلقيس هي اللي كانت دايمًا بتيجي.. كانت بتحب نتقابل الساعة اتناشر بليل مش عارف ليه بس هي دايمًا كانت بتحب الليل والسهر..

سكت عمر لحظات ثم قال بحزن وكأنه لم يعد متأكد من شيء:

_أنا مش عارف مقابلاتنا وكلامنا مع بعض في كل حاجة وأكلنا وشربنا سوا كل ده كان حقيقة ولا خيال... يا ترى أنا فعلا كنت باشوف بلقيس كل يوم الساعة اتناشر وأتكلم معاها ونسهر سوا ونتعشى مع بعض ونسهر لحد الفجر ولا ده خيال مش حقيقة..

نظر عمر إلى فرح وكأنه يتوسل إليها أن تجيبه.. أن تقول له ما كان يعيشه مع بلقيس حقيقة أم خيال..

نطقت فرح وقالت لعمر:

_يا عمر مقابلاتك اليومية مع بلقيس الساعة اتناشر لحد أذان الفجر وكلامكم مع بعض في كل حاجة كان حقيقة مش خيال لأني أنا سمعت من بلقيس شخصيًا عن مقابلاتكم دي.. لكن الخيال يا عمر اللي أنت عايشه بقالك أربعتاشر سنة بتكرره كل يوم في خيالك وكأنه واقع أنت بتعيشه ورافض تصدق إن الواقع انتهى خلاص بموت بلقيس... اللي موجود وعايش معاك دلوقتي هو ذكرياتك معاها مش هي.. هي خلاص يا عمر ماتت من سنين..

كان عمر ينظر إلى فرح وهي تتحدث إليه وتؤكد على كلامها بأن بلقيس قد ماتت ولم تعد موجودة في تلك الدنيا وقد امتلأت عينيه بالدموع لكنه حبسها لم يدعها تنزل على وجهه.. صمتت فرح لحظات ثم قالت لعمر:

_كفاية كده يا عمر النهارده.. أنا حاسة إنك ابتديت تتعب عشان كده هاسيبك ترتاح وأشوفك بكره إن شاء الله عشان نكمل كلامنا....

ودَعت فرح عمر وخرجت ثم أغلقت الباب خلفها وهي تفكر.. هل يا ترى ستنجح في علاج عمر وتُعيده مرة أخرى لحياته.. فكرت فرح في أنها يجب أن تنجح في شفائه لا يجوز أن يعيش عمر هكذا أسير حب بلقيس لا يجوز أن يقضي بقية عمره واقفًا خلف هذا القضبان حتى وإن كان هذا القضبان مصنوع من العشق..

obeikandl.com

الفصل الثامن عشر

دخلت فرح على عمر في غرفته صباح اليوم التالي وهي تبتسم له في مرح وقالت له تداعبه:

_عندنا النهارده ضيفة يا باشمهندس.. حزر هي مين؟

بدا من نظرات عمر بأنه لم يهتم بمعرفة من التي أتت.. فعادت فرح تقول له:

_الضيفة دي بقالها سنين بتزورك يا عمر.. عُمرها ما زهقت ولا ملت من زيارتها ليك رغم إنها لما كانت بتيجي ولا مرة كنت بتتكلم معاها... انتبه عمر لما تقوله فرح وقال لها بفضول:

_مين هي؟

قالت له فرح وهي تخرج من الغرفة لتنادي على الضيفة والتي تقف منتظرة بالخارج:

_ هاتشوفها بنفسك..

دخلت سيدة قد تعدت السبعين من عمرها وهي تبتسم ورغم التجاعيد التي يمتلئ بها وجهها إلا أن خطواتها كانت نشيطة .. اقتربت بسرعة من عمر وانحنت تقبل رأسه وهي تقول له بحب:

_ إزيك يا حبيبي.. عامل إيه يا عمر..

نظر عمر إلى تلك السيدة وقد عرفها على الفور نهض عمر من كرسيه وأحتضنها وهو يقول لها بفرحة بدت في صوته:

_داده فردوس.. إزيك ..

انهارت داده فردوس تبكي على صدر عمر وتقول له من بين دموعها الغزيرة:

_أخيرًا عرفتني يا بني... أنا كان نفسي أشوفك رجعت تاني لحياتك قبل ما أموت.. الحمد لله إن ربنا شفاك يا بني.. حمد الله على سلامتك يا عمر.. كانت فرح تتابع هذا اللقاء بين عمر ومربيته والتي لم تيأس من زيارته طوال تلك السنوات وتدعو الله في كل صلاة أن يشفيه ويعيده إليها مرة أخرى.. فأرادت أن تنتهز تلك الفرصة حتى تُخرج عمر من غرفته التي يلازمها طول تلك السنوات ويرفض الخروج منها وكأنه لم يكتفي بأن يحبس عقله وروحه داخل ذكرياته مع بلقيس ولكنه قد حبس جسده أيضًا داخل تلك الحجرة....

قالت فرح لداده فردوس:

ياريت يا داده تقنعي عمر إنه ينزل معاكِ في الجنينة شويه بدل ما هو كل وقته جوه الأوضة دي..

التفتت داده فردوس وقالت لعمر بحنان:

_عشان خاطري يا عمر تعالى يا حبيبي ننزل نقعد في الجنينة شويه.. الجو برا جميل قوي..

كاد عمر أن يرفض ولكنه لم يستطع عندما وجد أن مربيته تنظر إليه برجاء شديد لم يتعود عمر أن يرفض لها طلبًا فكيف يرفضه الآن ربت بحنان على كتف داده فردوس وقال لها:

_طيب حاضر يا داده عشان خاطرك أنا هانزل معاكِ..

قضت داده فردوس وقتًا طويلًا مع عمر حتى أنها قد تناولت معه طعام الغداء بالحديقة.. كانت فرح تتابعهم بنظراتها من بعيد عن طريق نافذة حجرة مكتبها.. أرادت فرح أن تترك عمر مع داده فردوس دون أن تقاطعهم حتى يستعيد حياته الطبيعية تدريجيًا.. نهت فرح على داده فردوس قبل دخولها إلى عمر بألا تحدثه مطلقًا عن بلقيس بل تركز في حديثها معه على أن تذكره بطفولته وصباه وأصدقائه على أن يكون كل ما تحدثه عنه بعيدًا عن الذكريات الحزينة في حياة عمر..وبالفعل كانت داده فردوس من الذكاء بحيث أخذت تحدث عمر طيلة الوقت الذي قضته معه عن كل ما كان يفرحه في حياته حتى أن عمر بدأت ترتسم على وجهه ابتسامة كانت قد فارقت شفتيه منذ سنوات طويلة..

حتى أنه تذكر محسن بواب فيلته وسأل داده فردوس عنه فابتسمت وقالت له:

_كويس يا بني هو بخير وبيسأل عليك على طول يا بني كل ما أكون عندك ودايمًا بيكون عايز يجي معايا يزورك بس أنا اللي بقوله لأ.. عارف يا عمر ولاده كبروا خالص.. السنين بتجري يا بني..

اطمأن عمر إلى أن محسن هو بالفعل موجود وليس شخصية من صنع خياله لقد أصبح يشك بنفسه والتبست عليه الأمور لم يعد يعرف الحقيقة من الخيال..

تذكر عمر أمر مهم فقال لداده فردوس:

_إزاي يا داده بتدبري أمورك أنتِ ومحسن.. أقصد أنا موجود هنا في المستشفى على كلام فرح بقالي سنين..

ابتسمت داده فردوس بحنان وقالت لعمر:

_أنت نسيت يا حبيبي.. الأستاذ رأفت أنت وكلته من سنين طويلة في إنه يدير مصالحك وهو يا حبيبي بيجي كل أول شهر يديني مصاريفي ومصاريف البيت, وبيسلم محسن مرتبه ولو احتجت أي حاجة زيادة بكلمه على طول وهو بصراحة مش بيتأخر.. اطمئن يا عمر وما تشغلش بالك كل حاجة بخير يا بني..

سألها عمر بدهشة:

_الأستاذ رأفت مين يا داده.. أنا مش فاكر إني أعرف حد بالاسم ده..

اندهشت فردوس وقالت له:

_إزاي يابني ماتعرفوش.. الأستاذ رأفت بيدير مصالحك من سنين طويلة وبعدين أنت تعرفه كويس لأنه هو أصلًا كان بيدير مصالح .. لم تكمل داده فردوس كلامها وسكتت لأنها تذكرت أن فرح قالت لها قبل أن تدخل لعمر:

_يا داده.. خلي بالك من كلامك وبلاش تجيبي سيرة بلقيس خالص قُدام عمر لأنه هو دلوقتي بدأ يستوعب الكلام والأحداث حواليه والحمد لله بدأ يستجيب كويس للعلاج عشان كده لازم نكون حريصين في كلامنا معاه مش عايزين نسبب له أي صدمه وهو دلوقتي في فترة حساسه جدًا..

حاول عمر أن يسأل داده فردوس مرة أخرى حتى تقول له من هو الاستاذ

رأفت؟ ولكنها اكتفت بأن قالت له:

_يا حبيبي ممكن تسأل الدكتورة فرح.. هي عارفه الأستاذ رأفت كويس وممكن تقول لك هو مين..

بعد رحيل داده فردوس صعد عمر إلى غرفته برفقة المرضة والتي أعطته حقنة وقالت له:

_تقدر تنام وترتاح دلوقتي يا باشمهندس والدكتورة فرح هاتعدي عليك بعد ما تصحى إن شاء الله.. أغمض عمر عينيه وسرعان ما راح في سبات عميق..عندما استيقظ عمر تعلقت عينيه بساعة الحائط الصغيرة والمعلقة أمامه كانت عقاربها تشير إلى الحادية عشر والنصف نهض عمر من فراشه وأزاح الستائر الموضوعة على نافذة غرفته ووجد أن الظلام يحيط بالمكان فعرف أن الساعة الحادية عشرة والنصف ليلًا.. لم يدري عمركم من الوقت قد مر عليه وهو نائم لم يعد يهمه إن كان صباحًا أم مساءً كل ما يهمه في اليوم كله هو موعده الساعة الثانية عشرة ليلاً....

سمع عمر دقات على باب غرفته ثم فتح الباب وأطلت منه فرح وهي تقول لعمر بابتسامة

_صحيت يا باشمهندس...

دخلت فرح وأغلقت الباب خلفها ثم جلست على إحدى المقاعد وقالت لعمر:

_تعالى يا عمر أقعد على الكرسي جنبي أنا طلبت شاي ليا أنا وأنت عشان هانسهر نتكلم مع بعض شويه..

رفع عمر عينيه بسرعة ناحية ساعة الحائط والتي كانت قد بدأت تقترب من الساعة الثانية عشرة إلا ربع.. قال عمر لفرح بتعجب:

_أنتِ أول مرة تيجي في المعاد المتأخر ده يا فرح.. هاتروحي بيتك إزاي بعد كده..

ضحكت فرح وقالت له ببساطة:

_متقلقش يا باشمهندس أنا بعرف أتصرف وبعدين لو اتأخرت قوي هانام هنا مفيش مشكلة.. المصحة فيها أوض كتير فاضية.. نظر عمر مرة أخرى

إلى ساعة الحائط .. تابعت فرح نظرات عمر وعندما وجدته ينظر إلى ساعة الحائط قالت له:

_الأوضة هنا ماكنش فيها ساعة.. أنت اللي طلبت الساعة دي أول ماجيت هنا يا عمر من أكتر من عشر سنين..

لم يرد عمر عليها.. إنه لا يتذكر هذا الأمر.. ربما يكون قد طلبها بالفعل حتى يكون مستعدًا في موعده عند منتصف الليل..

تذكر عمر أمرًا فسأل فرح:

_هو مين الأستاذ رأفت.. يا ترى تعرفيه ..

أجابته فرح:

_ أنت مش فاكره يا عمر.. الأستاذ رأفت بيجي يزورك ويطمن عليك من وقت للتاني..

هز عمر رأسه وقال لها:

_ مش فاكره.. هو مين؟

قالت له فرح:

_الأستاذ رأفت كان المحامي بتاع بلقيس بيهتم بكل أمورها ومصالحها وكان عندها ثقة كبيرة فيه وهو فعلاً محل ثقة.. بلقيس كانت بتعرف تُحكم على الناس كويس كان عندها القدرة على فرز البشر.. بعد وفاة بلقيس وأنت تعبت يا عمر وأصبحت ملازم للمصحة كان لازم يكون في شخص يهتم بأمورك أنت كمان ويدبر مصالحك وكان لازم يكون شخص موضع ثقة وأفضل واحد كان الأستاذ رأفت.. تداخلت الصور في رأس عمر فجأة ولاحت في ذهنه صورة رجل يقول له:

_ أخبارك إيه النهارده يا عمر.. أنا رحت النهارده البيت عندك واديت داده فردوس ومحسن رواتبهم ثم ربت على يده وقال له:

_أنا عديت كمان على القصر واديت عم مصطفى مرتبه وجبت معاه اثنين حراس أمن للقصر.. عم مصطفى بقى كبير في السن يا عمر ومش هايقدر يحرس المكان الكبير ده لوحده عشان كده جبت له الاثنين دول عشان يكونوا معاه تداخلت صورة أخرى في ذهن عمر لأحد حراس الأمن يقول له:

_القصر فاضي يا باشا مافيهوش سكان .. إحنا بنشتغل هنا من أكتر من خمس سنين ورواتبنا بيجي واحد بيه كل أول شهر يقبضنا ويمشي.. مانعرفش عنه حاجة غير إن اسمه رأفت بيه..

اتضحت الرؤية في ذهن عمر.. نعم عندما ذهب إلى قصر بلقيس يسأل عنها عندما رآها أول مرة واختفت من منزله صباحًا لم يقابل هذين الحارسين ولم يقولا له وقتها هذا الكلام لأنهما لم يكونا موجودين أصلاً لقد أتى بهما رأفت للعمل في قصر بلقيس في فترة وجوده هو في المصحة.. إنه حتى لم يراهما.. لقد تخيل هذا الحوار عندما زاره الأستاذ رأفت وحكى له عنهما.. لقد تذكر الآن إنه عندما اختفت بلقيس صباحًا وذهب يبحث عنها.. لم يجد أحدًا واقفًا يومها على البوابة .. لقد مشى يومها دون أن يتحدث إلى أحد.. لقد اختلطت عليه الأمور تمامًا أصبح يمزج الخيال بالواقع.. لقد سقط في بئر ولا يعرف كيف يخرج منه..

أفاق عمر من شروده على صوت فرح تقول له:

_سرحان في إيه يا عمر.. يا ترى افتكرت حاجة..

نظر عمر إلى ساعة الحائط كانت تشير عقاربها إلى الساعة الثانية عشرة تمامًا.. اضطرب عمر وبدأ يشعر بالقلق والذي لاحظته فرح فقالت له: مالك يا عمر في حاجة تعباك.. لم يرد عليها .. كانت فرح تدرك تمامًا ما يجول بخاطر عمر.. لقد تعمدت أن تكون جلستها معه اليوم الساعة الثانية عشرة أي في نفس موعد لقائه مع بلقيس..

عادت فرح تسأله مرة أخرى:

_أنت متوتر ليه.. نظر عمر مرة أخرى إلى ساعة الحائط.. إن الوقت يمر.. لما تأتي فرح في هذا الوقت بالذات..

عادت فرح تقول مرة أخرى:

_الساعة بقيت اتناشر وعشرة .. أنت مستني حد ولا إيه ..

نظر إليها عمر وقال لها بتحدي اندهشت له فرح:

_تفتكري هاكون مستني مين..

قالت فرح بهدوء:

_طيب خلاص يا عمر.. إيه رأيك نبتدي جلستنا النهارده ..

قال لها عمر بغضب:

_ما أنتِ ابتدتيها خلاص ..

ضحكت فرح وقالت له:

_أنا عارفه إنك متغاظ مني بس معلش يا عمر.. سامحني واحكي لي بقى إزاي طلبت من بلقيس الجواز؟

نظر إليها عمر وقال لها:

_هي مش حكيت لكم إزاي طلبتها للجواز..

قالت له:

_أنا عايزه أسمع منك إنتل..

شرد عمر يحاول أن يتذكر ما حدث يومها ثم قال لفرح:

_بلقيس جرحتني بكلامها وقالت لي إني لعبة في إيديها ماقدرتش أتحمل واتخانقت معاها.. زعلت مني ورمت الطرابيزة على الأرض وخرجت بسرعة وسمعت صوت عربيتها.. خاصمتني تسع ليالي .. تعبت فيهم قوي ماكنتش قادر أتحمل إني أبعد عنها.. شوقي ليها كان هايجنني عشان كده رحت يومها لبيتها وسألت عليها عم مصطفى, وقال لي إنها ماتت ونادى على الحارس اللي كان معاه, وقال لي هو كمان إن مافيش حد دخل.. بس أنا شفتها وهي راكبة العربية واتكلمت مع عم مصطفى. سكت عمر لحظات وقد تداخلت الصور في ذهنه مرة أخرى فقال عمر بسرعة وكأنه قد أمسك بشيء:

لأ..عم مصطفى كان لوحده يومها ماكانش في حد تاني معاه مكنش في حراس تانين.. كان لوحده وبيشرب شاي ولما سألته عن بلقيس ماقلش إنها ماتت قال لي إنها مش موجوده دلوقتي ومش عارف هاتيجي إمتي قلت له إني هاستناها ورحت عربيتي وقعدت فيها أكتر من ساعتين كان لازم أشوف بلقيس وأتكلم معاها وأصالحها.. بعد كده لقيت عربية عدت من جنبي بسرعة ووقفت قدام البوابة, وكلمت عم مصطفى كانت بلقيس أنا سمعت صوتها وهي بتتكلم معاه وبتضحك.. اتحركت بعربيتي ووقفت جنبها وناديت عليها والتفتت وبصت لي وشفتها كانت بلقيس أيوه أنا متأكد إنها بلقيس لما شافتني ضحكت لي وركنت

عربيتها ونزلت ركبت معايا.. أول ما دخلت العربية وقعدت جنبي قلت لها:

_بلقيس أنا بحبك.. تتجوزيني..

ضحكت وقالت لي:

_على طول كده.. نتجوز مره واحدة..

يومها أنا وبلقيس لفينا بالعربية لحد الصبح .. اتعشينا في مكان وشربنا الشاي في مكان تاني واتكلمنا كتير طول الليل.. كانت بتسحرني بكلامها عُمري ما حسيت بالملل وأنا باتكلم معاها وبعدين فجأة قالت لي:

_عمر أنا عايزه أفطر في إسكندرية..

ضحك عمر وقال ونظرات الحب تطل من عينيه:

_بلقيس مجنونة.. بس أنا بعشق جنانها ..قالت فرح لعمر بحنان:

_تعرف يا عمر أنا أول مرة من سنين أشوف ضحكتك تاني.. أنا لسه فاكره اليوم اللي بلقيس حكيت لنا فيه إنكم خلاص هاتتجوزوا.. كانت فرحانة جدًا..

أكمل عمر ولا تزال نظرات الحب تطل من عينيه:

رُحنا إسكندرية وفطرنا هناك.. وقضينا اليوم كله على شاطئ البحر اليوم ده كان من أجمل أيام حياتي.. بلقيس أجمل حلم أنا عشته أغمض عمر عينيه وهو يقول ذلك وكأنه لا يريد أن يستيقظ من هذا الحلم..

صمت عمر وطال صمته فقالت له فرح لتستحثه على أن يكمل كلامه:

_وبعدين يا عمر إيه اللي حصل بعد ما رجعتم من إسكندرية..

نظر عمر إليها ولم يرد وقد أشاح بوجهه إلى الناحية الأخرى وكأنه لايريدها أن تسأله.. لكن فرح عادت تقول له مرة أخرى:

_كمل يا عمر.. إيه اللي حصل بعد ما رجعتم من إسكندرية..

قال لها عمر وقد تجهم وجهه:

__مش فاكر.. معرفش إيه اللي حصل..

قالت له فرح:

_بس أنا فاكره يا عمر.. أنت كنت عايز تتجوز بلقيس بسرعة وهي حتى كانت بتضحك وبتقول لنا عمر مستعجل قوي كده ليه

انتم بعد ما رجعتم من إسكندرية تاني يوم على طول ابتديتم ترتيبات

الجواز صح يا عمر..

لم يرد عليها ولكنه قام بعصبية من فوق كرسيه وأخذ يمشي بالغرفة بتوتر وكأنه نمر محبوس بقفصه.. قامت فرح بدورها واتجهت إليه وقالت له وقد أمسكت بكتفه لتوقفه ونظرت داخل عينيه وكأنها تريده أن يستيقظ:

_أنت ليه دايمًا بتهرب من ذكريات جوازك من بلقيس.. ليه دايمًا بتقف عند فترة لقائتكم الأولى؟

قال لها عمر وكأنه لا يفهم ما تقصده:

_مش فاهم أنتِ قصدك إيه؟

قالت له فرح وهي لا تزال تنظر داخل عينيه بثقة:

_أنت عايش أربعتاشر سنة يا عمر داخل ذكريات لقاءاتك الأولى مع بلقيس اللقاءات اللي كنتم بتتقابلوا فيها في جنينة بيتك الساعة اتناشر زي ما يكون حياتك كلها وقفت عند الساعة اتناشر من كل ليلة من مجموعة الليالي اللي كانت بلقيس بتقابلك فيها؛ مع إن أنت اتجوزت بلقيس بعد كده وعشت معاها سنة كاملة قبل وفاتها وأنا فاكرة يا عمر إن انتم كنتم في منتهى السعادة خلال السنة دي ودايمًا لما كنا بنيجي البيت عندكم أنا وهايدي وفريدة وهمسة سواء كنتم عزمينا على الغداء أو العشاء كنا بنشوف اتنين عشاق وكنا بنحس إن الحب اللي بينكم مش موجود بين أي اتنين تانين أبدًا ..ليه مش قادر تفتكر تفاصيل السنة دي يا عمر.. ليه بتهرب منها؟!

قال لها عمر بعصبية وهو يزيح يدها من فوق كتفه:

_أنا مش بهرب من حاجة..

استمرت فرح تحاصره بكلامها قائلة:

لأ بتهرب يا عمر.. ولازم تعرف أنت بتهرب من إيه.. حاول تفتكر معايا وأنا هاساعدك تفاصيل جوازك أنت وبلقيس.. أرجوك يا عمر حاول معايا.. إحنا قطعنا شوط كبير في مشوار علاجك حاول تفتكر تفاصيل جوازك أنت وبلقيس.. أنت ماكنتش سعيد معاها أقصد ندمت على جوازك منها..

انتفض عمر عند سماعه تلك العبارة وقال لفرح بعنف:

_إزاي تقولي لي كده.. أنا أندم على جوازي من بلقيس.. مستحيل أنا ندمت

على إني ما شوفتهاش قبل كده.. ندمت على السنين اللي ضاعت من عمري قبل ما أقابلها.. أنا عُمري ما حسيت بالسعادة الحقيقية إلا في الفترة التي عشتها معاها..

اقتربت منه فرح وقالت له بهمس وكأنها لا تريد أن تقطع ذكرياته:

_يعني يا عمر كنت سعيد معاها.. سعيد بجوازك منها ..

تكلم عمر وكلماته تقطر شوقًا وعينيه تفيض بالحب الذي يمتلئ به قلبه:

_أنا كنت عايز أتجوزها بأسرع وقت ممكن مش عايز أضيع ولا دقيقة بعيد عنها.. عشان كده عملت كل ترتيبات جوازنا بسرعة جدًا, ليل ونهار كنت بجهز كل حاجة.. اتجوزنا في أقل من شهر وسافرنا شهر العسل كنت باستمتع مع بلقيس بكل لحظة فيا وأول مرة أفهم كلام بلقيس لما قالت لي إن عندها ٨٠٣٥ سنة فهمت تقصد إيه وعرفت إن الإنسان يقدر يعيش أضعاف أضعاف عمره الحقيقي لو هو عرف فعلاً يستمتع إزاي بحياته قضيت أنا وهي شهر كامل من السعادة المتناهية, زرنا بلاد كتير وشفنا ناس كتير واتعرفنا على عادات شعوب غريبة وضحك عمر وهو يتذكر تفاصيل رحلته مع بلقيس وقال:

_وأكلنا حاجات غريبة.. بلقيس كانت عايزه تجرب كل حاجة..

أكمل عمر وهو يبتسم:

_بعد ما رجعنا من شهر العسل ماكنتش عايز أروح الشغل كنت عايز أفضل قاعد جنبها كده على طول لكن هي قالت لي:

-ماينفعش كده يا عمر لازم تروح شغلك .. أنا مش عايزه أعطلك عن الحاجات المهمة اللي أنت بتعملها في حياتك..

قالت له فرح حتى تساعده على التذكر رغم أنها تعرف جيدًا إجابة سؤالها:

_بعد شهر العسل ورجوعكم لمصر عشتم في بيتك يا عمر ولا في بيت بلقيس؟

قال لها عمر وهو لا يزال شاردًا في ذكرياته:

_عشنا في بيت بلقيس لأنها كانت مُصره إصرار غريب إنها لازم تعيش في بيتها وقالت لي يومها:

_معلش يا عمر.. سامحني يا حبيبي بس أنا مش اقدر أبدًا أعيش بعيد عن المكان ده..

_وافقت إني أعيش معاها في بيتها لأني مش عايزها تزعل أبدًا ورغم إني أحيانًا كنت بفكر إن بلقيس لازم تعيش معايا في بيتي أنا لكن كنت بارجع وأقول لنفسي مش مهم بيتي ولا بيتها المهم إن إحنا نكون مع بعض.. بس أنا وبلقيس من وقت للثاني كنا بنروح ونقضي وقت هناك في بيتي ونعيش ذكريات لقاءاتنا الأولى وكنا بنجهز العشا في الجنينة الساعة اتناشر..

قالت له فرح:

_طيب وداده فردوس راحت معاك عند بلقيس ولا فضلت في البيت عندك

قال لها عمر:

_بلقيس أصرت إن داده فردوس تيجي معانا وفعلاً جت وعاشت معانا وكانت بتحب بلقيس جدًا ورغم تصرفات بلقيس الغريبة إلا إن داده فردوس اتعودت عليها وما بقيتش تزعل منها.. بس محسن قعد هناك عشان يُحرس البيت عندي..

قالت فرح لعمر:

_يا ترى فاكريا عمر لما كنت أنا وبقيت صديقاتنا بنيجي عندكم البيت..

نظر إليها عمر وكأنه يحاول أن يتذكر.. فقالت له فرح:

_أنت وبلقيس كنتم بتعزيمونا على العشا وعلى الغدا وكنا بنيجي ونقضي معاكم وقت لطيف جدًا مش فاكريا عمر.. شرد عمر يحاول أن يتذكر.. نعم لقد تعرف على صديقات بلقيس ورآهم لأول مرة في فرحه هو وبلقيس.. ولكن إنه يتذكر بأنه قد ذهب إلى هايدي في مكتبها لكي يسألها عن بلقيس.. وذهب إلى همسة في مكتبها أيضًا وتكلم معها عن بلقيس.. وذهب إلى فريدة في محلها التجاري وتحدث معها.. اختلطت الأمور في عقل عمر لقد قالت له صديقاتها بأنها ماتت أثناء بحثه عنها وكان يحكون له ذكرياتهم معها، تشوش عقل عمر وأحس بأنه لم يعد يفصل الحقيقة عن الخيال.. هل ذهب بالفعل لرؤية صديقات بلقيس أم أنه لم يذهب ولكن أين رآهم وتحدث معهم إنه يذكر تفاصيل وجوههم وأصواتهم وحتى ألوان ملابسهم.. طال شرود عمر وجاءه صوت فرح تقول له:

_عمر أنا قلت لك قبل كده إن العقل الباطن بيحتفظ بكل المعلومات لكنه

بيرتب الأشياء بدون منطق..

وعند هذا الحد.. اتضحت الأمور في ذهن عمر نعم لقد تعرف على صديقاتها بالفعل لأول مرة في الفرح ولكنه تحدث معهم وجلس معهم بعد ذلك أثناء دعوة بلقيس لهم سواء على الغداء أو العشاء, لقد تذكر الآن جيدًا كلام هايدي إنها لم تقل له أبدًا بأن بلقيس قد ماتت ؛وإنما حكت له عن معرفتها ببلقيس لأول مرة عندما كانوا أطفالاً وحكت له عن موقف المدرسة وقصت له بالفعل مدى نبل أخلاق بلقيس وموقفها مع داده حليمة.. لقد تذكر الآن بأنه قد رأى مكتب هايدي عندما ذهب إليها هو وبلقيس في البنك الذي تعمل به ؛ لأن بلقيس لديها حساب هناك.. أما همسة فإنه بالفعل قد سمع قصة حياتها من بلقيس؛ لأنها كانت تتعاطف مع ظروفها بشدة.. لقد رآها عمر لأول مرة في الفرح ورأى شركتها السياحية عندما زارها هو وبلقيس وإتفقا معها على ترتيبات رحلة شهر العسل الخاصة بهم عن طريق شركة همسة السياحية لقد رتبت لهم همسة رحلتهم تلك لقد تذكر الآن أن بلقيس قالت له:

_إحنا هانروح دلوقتي لهمسة يا عمر هاندفع لها بس الفلوس وهي هترتب لنا كل حاجة عن طريق شركتها.. ما تقلقش أنا سافرت عن طريق شركتها كثير قبل كده هي منظمة جدًا في شغلها..

لقد تذكر عمر الآن بوضوح بأن كل ما قالته له همسة من قبل وقصته له عن بلقيس وذكرياتها معها قد حدث بالفعل لم يكن من خياله لكنه كان حقيقة حدثت باستثناء قول همسة له بأن بلقيس قد ماتت لقد تذكر الآن بأنها لم تقل له ذلك أبدًا..

أما فريدة فلقد حكت له بالفعل عن مساعدة بلقيس لها في فتح محلها التجاري عندما كانت تُوصيه على بلقيس وتقول له بأنه لن يجد أبدًا فتاة مثلها..

أما محلها التجاري فلقد رآه بالفعل عندما أخذته إليه بلقيس وكانوا في طريقهم لشراء أشياء وتصادف مرورهم من أمام محل فريدة وقالت له بلقيس يومها:

_محل فريدة أهو يا عمر تعالى ندخل نسلم عليها..

لم يقلن له صديقاتها أبدًا بأنها قد ماتت وإنما كانوا يحكون له عن نبل أخلاقها ونقاء قلبها وشخصيتها المتناقضة وتصرفاتها الغير مألوفة والتي تصل إلى حد الغرابة في بعض الأحيان..

لقد أجمعوا على أن بلقيس كانت فريدة من نوعها كأنها فصٌ من الألماظ الحُر متميز ليس له مثيل في ندرته و جماله وروعته وبريقه..

أما عم مصطفى فلقد تذكر الآن عمر بأنه قد سمع قصة موت والدي بلقيس منه هو بالفعل ولكن بعد زواجه من بلقيس وكان عمر يومها يجلس بحديقة منزل بلقيس يحتسي كوباً من الشاي وكانت بلقيس تتحدث بالتليفون واقترب عم مصطفى من عمر وجلس بجواره وأخذ يحدثه عن بلقيس بحب ويقول له:

_خلي بالك منها.. أحسن دي مالهاش حد غيرك .. اتضحت الأمور أمام عمر لقد قص عليه عم مصطفى قصة حادثة والدي بلقيس لقد قال له بأنهم ماتوا في نفس اللحظة كان يقصد والد ووالدة بلقيس.. لقد تذكر بأن عم مصطفى أنهى حديثه معه قائلاً له:

_أنا لحد دلوقتي لسه زعلان علشانها.. يا عيني عليكِ يا بنتي كانت لسه ورده وبتفتح اتيتمت ودخل الحزن في قلبها.. أخذ عمر يكرر تلك العبارة مرات ومرات.. .. اتيتمت ودخل الحزن فى قلبها.. إتيتمت ودخل الحزن في قلبها..

إذًا لم تمت بلقيس مع والديها لقد تذكر الآن جيدًا لم يقل له عم مصطفى أبدًا بأن بلقيس قد ماتت وإنما حكى له عن حادثة والديها وموتهم منذ ست سنوات..

لقد اختلطت الأمور في عقل عمر فترة طويلة من الزمن امتدت لأربعة عشرة عامًا ولكنه أصبح الآن يعرف الحقيقة جيدًا.. أصبح يفصلها عن الخيال.. نعم لم تقل أبدًا هايدي ولا همسة ولا فريدة ولا فرح ولا عم مصطفى بأن بلقيس قد ماتت وإنما كان عقله الباطن يلوح له بذلك على ألسنتهم عندما كان يجتر لقاءاته في خياله.. نعم إن عقله الباطن كان يلوح له بالفعل حتى يتذكر ما كان قد حدث في الواقع من موت بلقيس..

الفصل التاسع عشر

أفاق عمر من شروده الطويل على صوت فرح تقول له:

_واضح يا عمر من تعبيرات عينيك إنك افتكرت حاجات كتير قال لها عمر بثقة:

_أيوه يا فرح.. افتكرت كويس إزاي اتعرفت عليكم وافتكرت كل الكلام اللي اتكلمناه وقتها..

عادت فرح تقول له مرة أخرى بهدوء شديد:

_طيب يا عمر أنت الحمد لله دلوقتي افتكرت تفاصيل جوازك من بلقيس وافتكرت رحلة شهر العسل بتاعتكم وافتكرت كمان صديقاتها وحقيقة كلامهم معاك لكن يا عمر لسه أنت مش عايز تقول لي طول السنين دي حبست نفسك مع ذكريات لقاءاتك الأولى مع بلقيس ليه .. ليه كنت رافض تفتكر جوازك منها رغم إنك كنت سعيد جدًا معاها..عاد عمر إلى الصمت مرة أخرى.. فعادت فرح تقول له:

_حياتك مع بلقيس كانت سعيدة؟

قال لها عمر على الفور:

_كانت أجمل وأسعد أيام عمري..

فقالت له فرح:

_طيب ليه كنت مش عايز تفتكرها؟ قل لي يا عمر إيه اللي حصل خلال حياتك مع بلقيس وخلاك مش عايز تفتكر الفترة دي؟

بدأ عمر يتوتر وقال لها بعصبية:

_مش عارف.. مش فاكر حاجة..

obeikandl.com

قالت له فرح بحزم:

لأ يا عمر أنت عارف بس مش عايز تفتكر.. عايز تهرب من ذكري ممكن تكون بتسبب لك ألم..

نظر إليها عمر وقال بعنف:

_قصدك إيه.. ذكرى إيه اللي بتسبب لي ألم؟

قالت له فرح:

_افتكر يا عمر.. حاول تفتكر..

هز عمر رأسه بعنف وقال لها:

_مش فاكر حاجه.. قلت لك مش فاكر حاجة ..

اقتربت فرح من عمر وربتت على كتفه وقالت له :

_أنا هحاول أساعدك عشان تفتكر.. بعد جوازك أنت وبلقيس ورجوعكم من رحلة شهر العسل بحوالي شهر.. رجعت أنت في يوم للبيت من شغلك لقيت بلقيس فرحانة جدًا ومواليه البيت ورود وبالونات, وقالت لك على حاجة وأنت كمان فرحت قوي فاكر قالت لك إيه..

هز عمر رأسه بعنف وقال لفرح:

_ لأ.. مش فاكر..

عادت فرح تقول له مرة أخرى:

_بلقيس اليوم ده ماكانتش قدره تمسك نفسها من الفرحة كلمتني وكلمت هايدي وهمسة وفريدة وقالت لنا لازم نروح لها البيت ضروري.. سيبنا كل حاجة ورحنا فورًا كنت أنت في الوقت ده في شغلك يا عمر.. حكيت لنا بلقيس على الشيء اللي كان مخليها فرحانة بالشكل ده.. فاكر يا عمر إيه هو..

نهض عمر بعنف وذهب ناحية النافذة وأزاح ستائرها ووقف ينظر منها.. اقتربت منه فرح وقالت له مرة أخرى:

_فاكر يا عمر.. إيه هو الشيء اللي كانت بلقيس فرحانه علشانة.. صرخ عمر في وجهها بعنف قائلاً:

_معرفش.. قلت لك ماعرفش حاجة.. أنتِ إيه مابتفهميش..

لم تنزعج فرح لرد فعل عمر العنيف والغريب لأنها كانت تتوقعه جيدًا كانت

تعلم بأنه سوف يهرب من تلك الذكرى بكل ما أوتي من قوة..
عادت فرح تقول لعمر بإلحاح:
_تحب أقول لك أنا إيه اللي كانت بلقيس فرحانه بالشكل ده علشانة ..
صرخ عمر في وجهها مرة أخرى وقال لها:
_أسكتِ خالص.. قلت لك مش عارف حاجة..
قالت له فرح تستفزه ليخرج ما بداخله:
_أنت قلت لي إنك ما تعرفش حاجة.. بس ماقلتش إنك مش عايز تعرف..
قال لها عمر وهو لا يزال يصرخ في وجهها:
_مش عايز أعرف حاجة.. قلت لك مش عايز أعرف حاجة ..
استمرت فرح تقول له:
_مش هاينفع إنك تفضل تهرب طول عمرك يا عمر.. لازم تعرف إنك مالكش ذنب في اللي حصل .. اللي حصل مش بسببك استمر عمر يصرخ في وجهها قائلاً:
_أسكتِ ..قلت لك أسكتِ ..مش عايز أسمع صوتك..
لكن فرح لم تصمت أستمرت تقول له:
_يا عمر اللي حصل مش بسببك عشان تهرب منه.. الذكرى ممكن تكون مؤلمه لك لكن مش أنت السبب فيها..
صرخ عمر بألم:
_أنا السبب.. أنا السبب.. أنا السبب...
اقتربت منه فرح وربتت على كتفه وهي تقول له:
_لأ يا عمر.. أنت مش السبب..
أزاح عمر يدها بعنف وصرخ في وجهها والألم يعتصر قلبه:
_أنا السبب يا فرح.. أنا السبب.. أنا السبب.. بلقيس لو ماكنتش اتجوزتني ماكنتش ماتت.. ماتت.. بلقيس ماتت.. بسببي أنا... لم تقوى قدمي عمر على حمله فأسندته فرح بسرعه وأجلسته على أقرب مقعد.. إنهار عمر يبكي بحرقة واضعًا وجهه بين يديه.. أخذ يبكي وينتحب كطفل صغير ومن بين دموعه الحارة قال لفرح وقد رفع وجهه ينظر إليها:
_بلقيس كانت فرحانه جدًا وأول ما روحت البيتِ جريت عليا وحضنتني

وقالت لي:

_عمر.. أنا حامل..

فرحتي كانت قد فرحتها ويمكن أكتر هايكون عندي طفل أو طفلة من بلقيس.. لكن.. لكن.. لكن السعادة ما كنتش من نصيبي ولا من نصيبها.. تذكر عمر تفاصيل هذا اليوم بوضوح شديد وكأنه يراه أمام عينيه ويعيش بداخله.. تذكر كم كانت فرحة بلقيس وفرحته هو أيضًا.. ثم تذكر كيف مرت شهور حملها وهما يستعدان لقدوم تلك الطفلة التي كانا ينتظرانها عندما أبلغهما الطبيب بعدما أنهى عمل السونار لبلقيس بانها حامل في طفلة فرح عمر بشدة أنها بنت وقال لبلقيس:

_الحمد لله إنها بنت عشان تكون شبهك يا حبيبتي...

قالت له بلقيس بدلال:

_بس أنا كان نفسي في ولد عشان يكون شبهك يا حبيبي على العموم الحمد لله.. إن شاء الله المرة الجاية يكون ولد.

لكن المرة القادمة لم تأتي .. ماتت بلقيس وهي تلد طفلتها الأولى والأخيرة أصيبت بنزيف شديد لم تنجي منه أبدًا.. رغم محاولات الأطباء الشديدة لإنقاذها إلا أن محاولاتهم تلك قد باءت بالفشل.. كان عمر يتذكر ودموعه تنهمر على وجهه بشدة. كم كانت فرحته هو وبلقيس شديدة بقدوم تلك الطفلة لقد كانا ينزلان سويًا لشراء ملابسها الصغيرة وفراشها الذي اختارته بلقيس بحب شديد وزينته بالتُل الأبيض ؛حتى أصبح يشبه فراش عروس وملأت غرفتها باللعب المختلفة كانت بلقيس تنتظر بفارغ الصبر واللهفة الشديدة قدوم ابنتها الصغيرة لكنها لم تراها أبدًا..

بموت بلقيس سجن عمر نفسه داخل ذكريات مقابلاته الأولى مع بلقيس قبل زواجهما وأسقط من ذاكرته تمامًا ذكريات زواجه منها وحياته معها لم يرغب عمر أبدًا في أن يتذكر تفاصيل زواجه وحياته مع بلقيس رغم سعادته معها لأنه بتذكره لها سوف يتذكر أيضًا حملها وموتها وهي تلد طفلتهما.. تولد لدى عمر شعور شديد بالذنب وبأنه هو السبب في موت بلقيس لأن لولا زواجها منه وحملها ما ماتت وتركته..

قالت فرح لعمر بحنان:

_كفاية كده النهارده يا عمر.. أنت تعبت قوي ولازم تنام وترتاح.. أعطته فرح حقنه مهدئه.. ثم أسندته حتى وصل إلى فراشه وجلست بجواره على المقعد تنظر إليه حتى راح في نوم عميق..

ابتسمت فرح وقالت بصوت هامس وهي تشعر بالراحة لأنها أخيرًا قد أنجزت مهمة طال العمل بها سنوات طويلة:

_الحمد لله إنك أخيرًا ربنا شفاك يا عمر.. واعترفت بالواقع وبطلت تهرب..

أغلقت فرح لعمر ضوء الغرفة والباب خلفها ومشت في الطرقة الطويلة والتي يخيم عليها الهدوء الشديد..

اعترف عمر أخيرًا بعد أربعة عشرة عامًا بموت بلقيس والذي طالما كان يرفضه ويهرب منه رغم أن عقله الباطن كان يؤكد حدوثه ويذكره به على لسان كل من كان يعرفها من صديقاتها وحارس منزلها.. حقًا هم لم يقولوا له ذلك في الحقيقة ولكن عقله الباطن كان يُلوح له دائمًا بذلك الأمر حتى يعترف به ويتذكره ..

استيقظ عمر صباحًا وهو يشعر بأنه منهك تمامًا كأنه قطع شوطًا طويلاً من الجري. كانت الشمس تملأ غرفته سمع صوت الممرضة تقول له:

صباح الخيريا باشمهندس.. يالا اتفضل عشان تفطر أكيد أنت جعان لأنك اتأخرت قوي في النوم النهارده.

نظر عمر إلى ساعة الحائط فوجدها تشير إلى الثانية والنصف.. اندهش عمر هل نام كل هذا الوقت.. ثم تذكر أنه قد سهر كثيرًا ليلة أمس مع فرح في جلسة طالت لأكثر من خمس ساعات.. خرجت الممرضة وتركت عمروهي تقول له:

_الدكتورة فرح بتقول حضرتك إنها هاتجيلك بعدما تخلص فطارك..

بعدما خرج عمر من الحمام شعر بأنه بالفعل جائع جدًا.. فجلس يتناول إفطاره بشهية غريبة..

بعدما أنهى عمر إفطاره شعر برغبة شديدة في الخروج من غرفته والنزول إلى الحديقة.. مد عمريده إلى مقبض الباب ليفتحه ولكنه فتح في نفس الوقت

ووجد فرح تقف وهي تبتسم وتقول له:
_صباح الخير يا عمر.. كنت خارج ولا إيه..
رد عليها عمر بابتسامة حاول أن يرسمها على وجهه وقال لها:
_صباح الخير يا فرح.. الحقيقة حسيت إني عايز أنزل الجنينة شوية قالت له فرح:
_برافو عليك يا عمر.. أنا كنت طالعة عشان أقولك تعالى نشرب القهوة في الجنينة.. وعشان كمان أقول لك على حاجة مهمة..
سكتت فرح وآثار سكوتها فضول عمر فقال لها:
_هي إيه الحاجة المهمة اللي كنت عايزه تقوليها؟
قالت له وهي تتحرك:
_تعالى ننزل الجنينة وهاقول لك وإحنا ماشين..
مشي عمر مع فرح حتى عبروا الطرقة الطويلة ونزلوا بضع سلمات وخرجوا إلى الحديقة كانت فرح صامته فقال لها عمر:
_أنتِ ساكته يا فرح ماقلتيش هي إيه الحاجة المهمة..
ابتسمت فرح وقالت له:
_داده فردوس هنا يا عمر ومعاها بلقيس..
توقف عمر عن المشي والتفت إلى فرح مندهشًا.. ولكنها أسرعت تقول له:
_بلقيس الصغيرة .. مش أنا حكيت لك عليها وأنت قلت لي إنك عايز تشوفها..
قال لها عمر:
_قصدك بنتك يا فرح..
أشارت له فرح أمامه.. فلمح من بعيد داده فردوس وهي تجلس على إحدى المقاعد وتتحدث مع فتاه تقف أمامها اندهش عمر وقال لفرح:
_دي بنتك يا فرح مستحيل.. أنتِ قلت إن عندها أربع سنين البنت دي أكبر من كده.. دي عندها حوالي..
قالت له فرح بسرعة:

_عندها أربعتاشر سنة يا عمر..

التفت عمر بسرعة ينظر مرة أخرى إلى تلك الفتاة ثم التفت إلى فرح وقال لها:

_دي مش بنتك... مش كده ..

هزت فرح رأسها علامة الإيجاب وقال له بابتسامة عذبة:

_يا عمر.. بنت بلقيس تبقى بنتنا كلنا.. استدار عمر بعنف ينظر مرة أخرى على تلك الفتاة والتي كانت تتحدث مع داده فردوس وتضحك معها.. قالت له فرح لكي تؤكد له ما قد فهمه من كلامها:

_دي بنتك يا عمر.. بلقيس الصغيرة بنتك أنت وبلقيس.. مش عايز تسلم عليها...

اقترب عمر من الفتاة وهو يمشي ببطء شديد وعندما أصبح قريبًا منها التفتت إليه تسمر عمر في مكانه لقد كانت ملامحها تشبه ملامح بلقيس بشده.. لون بشرتها البيضاء وشعرها الأسود الفاحم والذي يتموج حول وجهها بفتنة طاغية وعينيها الجميلتين ولكن ليس بهما نظرات بلقيس الجريئة كانت ترتسم بعيون تلك الفتاة نظرات حياء ممزوجة بحزن.. اقتربت منه وهي تبتسم بفرحة واحتضنته وهي تقول له برقة:

_إزيك يا بابا.. وحشتني قوي..

احتضنها عمر بحنان شديد ثم أبعدها عنه وهو ينظر إليها وبعينيه دموع ولاحت له صور تلك الفتاة وتذكر عمر جيدًا بأن داده فردوس كانت تأتي بها على مدار كل تلك السنوات الماضية.. لقد تذكر الآن بأنه كان يرى ابنته وملامحها الصغيرة كانت في حوالي الثانية من عمرها ثم لاحت له صورتها وقد أصبحت في الخامسة من عمرها ثم في الثامنة من عمرها لقد تذكر الآن أن داده فردوس قد أتت في يوم ومعها بلقيس الصغيرة وتورتة وقالت له:

_بلقيس يا عمر عايزه تحتفل معاك بعيد ميلادها..

إنه يذكر الأن جيدًا بأن بلقيس قالت له وهي تطفئ الشموع..

_عارف يا بابا أنا بقى عندي دلوقتي عشر سنين..

لقد ورثت بلقيس عن أمها جمالها ورجاحة عقلها؛ فرغم صغر سنها إلا أنه

كان يرى في عينيها أنها تُقدر ظروفه فلم تعاتبه في يوم أو تلوم عليه لأنه تركها ويقيم بتلك المصحة بل كانت في كل مرة تقول له وهي تودعه لكي تعود إلى المنزل بصحبة داده فردوس:

_إن شاء الله يا بابا المرة الجاية لما أجيلك تكون بقيت أحسن..

كان عمر يتأمل ابنته الحبيبة وقد أحس بذنب شديد تجاهها لقد ابتعد عنها سنين طويلة لكنه الآن سوف يعوضها لن يبتعد عنها مرة أخرى لا يجب أبدًا أن تكون داده فردوس هي من تقوم بتربيتها لوحدها وهو لا يزال موجودا على قيد الحياة .. احتضن عمر داده فردوس بحب وقال:

_متشكر قوي يا داده أنا سيبت معاكِ أمانه كبيرة.. لكن أنتِ كنت قدها..

ابتسمت داده فردوس بطيبة وقالت له:

_بس يا عمر ماتشكرنيش لوحدي في ناس تانية ساعدتني كتير طول السنين دي في رعايتي لبلقيس الدكتورة اللي واقفه قدامك دي هي اللي كانت مسئولة عن التقديم لبلقيس في المدرسة لما كانت صغيرة وهي اللي بتراعيها طول السنين دي في دراستها.. ومدام فريدة هي اللي بتنزل مع بلقيس وتشتري لها كل لبسها ولوازمها طول السنين دي يا عمر ومدام هايدي ومدام همسة دايما بيزوروها وبيتكلموا معها في أي مشكلة بتضايقها ودايمًا بتخرج معاهم كل يوم جمعة وبتروح النادي وبتلعب رياضة وبتدخل بطولات كمان في السباحة قالت فرح لعمر وهي تداعب شعر بلقيس وتقبلها:

_على فكرة يا عمر بلقيس متفوقة في كل حاجة دايمًا بتطلع الأولى في مدرستها ولسه واخدة ميدالية في السباحة..

جاءت عاملة البوفية تحمل صينية عليها فنجانين من القهوة لعمر وفرح وكوبين من العصير لبلقيس الصغيرة وداده فردوس..

قالت داده فردوس لفرح:

_بنتك عاملة إيه يا فرح يا بنتي...

ضحكت فرح وقالت لها:

_بقيت شقيه قوي يا داده كل حاجة بتلعب فيها..

نظر عمر إلى فرح وقال لها بدهشة:

_أنتِ عندك بنت فعلاً يا فرح؟

قالت له فرح وهي تضحك:

_إيه يا عمر أنت إفتكرتني كنت بكذب عليك.. أيوه يا سيدي عندي بنت وزي ما قلت لك قبل كده عندها أربع سنين واسمها برضه بلقيس زي القمر اللي قاعده قدامك دي..

قال لها عمر:

_أنتِ فعلاً سميت بنتك بلقيس برضه؟

هزت له فرح رأسها مؤكده وقالت له:

_أيوه يا عمر.. كان لازم اسميها بلقيس.....

obeikandl.com

الفصل العشرون

مر ثلاثة أشهر على خروج عمر من المصحة النفسية التي ظل يعالج بها على مدار أربعة عشرة عامًا.. قضى عمر الشهر الأول في تفكير عميق يحاول به أن يعيد التوازن إلى حياته.. قرر عمر بعد ذلك أنه يجب عليه أن يعوض ابنته بلقيس عن تلك السنوات التي انقضت وهو بعيد عنها.. فكان يقضي معها وقتًا طويلاً.. يتحدث إليها ويشاركها الألعاب التي تناسب سنها مثل لعب الشطرنج والذي كانت بلقيس تعشقه وكثيرًا ما كانت تربح عمر.. كان عمر أيضًا يصحبها إلى النادي ويجلس يشاهدها وهي تسبح بمهارة ويشعر بالفخر لأن ابنته أصبحت بطلة تحوز الميداليات..

قرر عمر كذلك البدء في تنفيذ حلم بلقيس حبيبته والذي تأجل أربعة عشرة عامًا.. فآخرج التصميمات التي كان بالفعل قد أنجزها وشرد وهو يتذكر عندما طلبت منه بلقيس تصميم هذا المجمع الخيري وتذكر كذلك أنه كان قد انتهى من تصميمه قبل وفاة بلقيس بعدة أشهر وأنه قال لها وقتها عندما أعجبها تصميمه بشدة وطلبت منه أن يبدؤا في تنفيذه:

_ يا حبيبتي أنتِ مستعجلة على إيه.. لما تقومي بالسلامة من الولادة هيكون عندنا وقت طويل نشتغل فيه زي ما إحنا عايزين..

دمعت عيني عمر وهو يتذكر قول بلقيس له وقتها:

_اوعدني يا عمر إنك هتنفذ المجمع ده مهما حصل..

تنهد عمر وهو يتذكر ذلك وقال بهمس وكأنه يحدث بلقيس:

_أوعدك يا حبيبتي إني إن شاء الله هاحقق حلمك..

كان عمر يتمنى من كل قلبه لو أنه أقام مشروع بلقيس هذا داخل قصرها

لكنه لم يستطيع لأنه لا يملك حق التصرف في هذا القصر لوحده.. فبلقيس الصغيرة قد ورثت أيضًا هذا القصر عن أمها ويجب عليه أن يحافظ لها على ميراثها حتى تبلغ سن الرشد وتستلمه وتتصرف به كيفما تشاء؛ لذلك قرر عمر أن يستمر بالعيش داخل قصر بلقيس ويقيم حلمها داخل المكان الذي يملك حق التصرف به وهو فيلته ومزرعته.. كانت المساحة الكلية لفيلا عمر والمزرعة المحيطة بها لا بأس بها لإقامة هذا المجمع لذلك شرع عمر على الفور في الاتصال بالأستاذ رأفت ليقوم باتخاذ كافة الإجراءات القانونية اللازمة للبدء في تنفيذ حلم بلقيس....

أعاد عمر فتح مكتبه الهندسي والعمل به مرة أخرى ولكنه لم يعود أبدًا إلى التدريس بالجامعة.....

كرث عمر نهاره لابنته وعمله فكان يقضي النهار داخل مكتبه الهندسي ثم يعود إلى منزله فيتناول طعام الغذاء مع ابنته وداده فردوس ثم يصعد ليرتاح بعض الوقت، بعدها ينزل من غرفته مرة أخرى فيجلس مع ابنته يحدثها ويلاعبها ويحكي لها عن أمها ويشاهدان معًا صوره هو وبلقيس ويحدثها عن ذكريات تلك الصور ويقرئان الكتب المختلفة ويتناقشان في أمور كثيرة.. كانت بلقيس الصغيرة مثل أمها تمامًا تعشق الثقافة فكانت تلتهم الكتب التهامًا ثم تحللها بشكل فلسفي رائع يندهش له كل من يسمعه لحداثة سنها..

أما الليل.. فإنه لها هي.. لمن لم تبرح خياله أبدًا.. حقًا لقد شُفي عمر من صدمة موت بلقيس واختلاط الواقع بالخيال.. حقًا لقد أصبح يفصل الوهم عن الحقيقة.. أصبح يعلم جيدًا ما هو الواقع.. وما هو الخيال.. لكنه أختار بمحض إرادته أن يعيش في الخيال أن يستمر بالعيش في ذكرياته مع بلقيس.. أن يكمل لياليه معها حتى وإن كانت في الخيال فهو راضي كل الرضا من مجرد وجودها معه في أحلامه.. لن يستطيع العيش أبدًا مع امرأة أخرى سواها.. لقد أشبعته بلقيس تمامًا حتى اكتفى بأن يعيش داخل ذكرياته معها.. حقًا لقد عاش عمر مع بلقيس عامًا واحدًا لكن هذا العام يحتوي على ٣٦٥,٢٥ يوم وكل يوم لديه معها هو بعام كامل.. إذًا لقد عاش معها ٣٦٥,٥ عامًا من الحب والسعادة يكفيه هذا.. يكفيه ويزيد... كان عمر يجلس مع ابنته وداده فردوس

يشاهدون التلفزيون عندما دقت ساعة الحائط معلنة تمام الساعة الحادية عشر.. قام عمر من على مقعده وهو يقول:

_تصبحي على خير يا بلقيس يا حبيبتي.. تصبحي على خير يا داده.. ثم صعد إلى غرفته وأغلق الباب خلفه بالمفتاح.. أضاء الأباجورة الموضوعة فوق الكومودينو بجوار فراشه.. ثم فتح درجًا به وآخرج منه أجندة بلقيس والتي لم تكن تفارقها فتحها وأخذ ينظر إليها نظرات عشق.. كانت هذه الأجندة عبارة عن مذكرات بلقيس والتي كان عمر يعلم جيدًا أنها تحب تدوينها كل ليلة قبل نومها.. لم يفكر عمر أثناء حياة بلقيس وزواجه منها في قراءتها أبدًا لقد كان يشعر بأنه لو قرآها فسوف يضع قيدًا على حرية بلقيس ,وهو قد أخذ على نفسه عهدًا منذ ثاني يوم لزواجهما بأنه لن يُشعرها بقيود الزواج تلك في يوم أبدًا.. لقد قرر يومها بأنه سوف يُحبها كما هي ويعيش معها كما هي لن يحاول أن يغير منها شيء فبلقيس لن تستطيع العيش إلا كما هي .. لكنه منذ خروجه من المصحة آخرج المذكرات من المكان الذي كان يعلم جيدًا أن بلقيس تضعها به ثم بدأ يقرأ بها كل يوم وعندما ينهيها يبدأها من جديد وكأنه يعيش مع بلقيس بين كلماتها تلك.....

أما الآن وعندما دخل عمر إلى غرفته وآخرج تلك المذكرات فقد فتحها مباشرة على هذا اليوم الذي تعطلت فيه سيارة بلقيس وبدأ يقرأ ما كانت قد دونته في هذا اليوم من أوله وكانت تقول:

_استيقظت من النوم اليوم وأنا أشعر بملل شديد.. أشعر أني محبطة يراودني إحساس بأني طيف ثقيل حل على تلك الدنيا ولا يعرف له طريق.....

أخذ عمر يقرأ ويقرأ حتى دقت ساعة الحائط معلنة منتصف الليل.. أغلق عمر مذكرات بلقيس وتمدد على فراشه بعد أن كان معتدلاً في جلسته وهو يقرأ ثم أغمض عينيه وكأنه يريد أن يرى بقلبه وروحه فقط..

مرت لحظات.. وفجأة وجد نفسه في حديقة منزله كان الجو من حوله ربيعي لطيف يسمع عمر صوت البوابة الخارجية وهي تفتح.. كان الهدوء يسود المكان حتى أن أقل صوت به يُسمع.. وفجأة تنتشر من حوله رائحة لا يمكن أبدًا أن تُخطئها أنفه ويأتيه صوتها ينساب برقة في دمه وهي تقول له بدلالها المعهود:

_إزيك يا عمر..
يلتفت عمر إليها ويقف أمامها وجهًا لوجه ويقول لها بشوق زائد:
_وحشتيني قوي.. قوي.. يا بلقيس..
يقترب منها وكله شوق لضمها إلى صدره.. لكنها تبتعد عنه وهي تضحك وتنظر إليه بفتنة وتقول له:
_إيه يا عمر.. أنت نسيت القواعد.. لازم يكون بيني وبينك أربع خطوات..

تقف بلقيس على بعد أربع خطوات من عمر وتقول له بجدية وكأنها على وشك أن تُدلي إليه بشيء مهم:
_ليه عُمرك ما سألتني إشمعنى أربع خطوات ليه مش ثلاثة ولا خمسة.
إحتار عمر وقال لها:
_مش عارف يا بلقيس.. يمكن مافكرتش في الموضوع ده..
سكت عمر بضع ثواني كانت خلالهم بلقيس تنظر إليه وهي تبتسم ثم قال لها:
_طيب قوليلي أنتِ ليه أربع خطوات يا حبيبتي مش ثلاثة ولا خمسة..
قالت له بلقيس باهتمام وهي لا تزال تقف مسافة الأربع خطوات:
_لأن يا عمر الأربع خطوات دول هما المسافة اللي لازم تكون موجودة بين أي اثنين لسه بيتعرفوا على بعض..
نظر إليها عمر بحيرة وقال لها:
_مش فاهم تقصدي إيه يا حبيبتي؟
قالت له بلقيس وهي لا تزال تقف في مكانها وبينها وبين عمر تلك المسافة:
_ الإحساس يا عمر.. سكتت لحظات ثم اقتربت منه خطوة واحدة وهي تكمل كلامها قائلة له:
_الخطوة الأولى يا حبيبي.. الإحساس اللي بيتولد بين أي اثنين واللي معاه بيكون وجود كل واحد منهم مهم قوي للثاني مجرد وجوده بيخلي الحياة لها طعم أحلى بيخلينا نشوف كل حاجة مختلفة..
كان عمر يستمع إليها لا يريد أن يقاطعها.. أكملت له بلقيس وهي تخطو

نحوه خطوة أخرى قائلة:

_الائتلاف.. الخطوة الثانية يا عمر الائتلاف.. الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف.. أي اثنين موجودين في أي مكان وفي أي زمان بيحصل بينهم الائتلاف ده مستحيل يقدروا يبعدوا عن بعض، بيكون بينهم انسجام مالوش حدود.. اقتربت بلقيس من عمر خطوة ثالثة وهي تقول له:

_الخطوة الثالثة يا عمر.. التفاهم.. لما بيحصل الإحساس وبيجي معاه الائتلاف لازم بيحصل تفاهم بيخلي أي اثنين بيتفقوا مهما حصل بينهم خلاف قال لها عمر وهو متردد:

_بس أنا عُمري ما فهمتك يا بلقيس..

لم ترد عليه بلقيس وإنما أكملت له كلامها لتتم له باقي الخطوات قائلة:

_الاحترام .. هو يا حبيبي الخطوة الرابعة اللي بتكون الغلاف لباقي الخطوات الاحترام يا عمر هو اللي خلاك تحبني زي ما أنا من غير ما تحاول تغيرني هو اللي خلاك تحترم خصوصياتي وما تحاولش إنك تقرأ مذكراتي رغم إنها كانت تحت ايديك .. الاحترام يا عمر أنا اتعلمته منك..

كان عمر يستمع إليها وهو صامت حتى أنهت كلامها دون أن يقاطعها ثم قال لها:

_طيب يا حبيبتي.. وبعد الأربع خطوت إيه اللي بيحصل؟

قالت له بلقيس وهي تخطو نحوه آخر خطوة.. ثم وقفت على مسافة قريبة منه لا يفصلها عنه شيء تكاد تلتصق به ثم قالت له وعينيها تنطقان بمشاعر فياضه وصوتها يختلج بما في قلبها:

_الحب.. رفعت بلقيس ذراعيها وطوقت بهما رقبة عمر وقالت له بهمس:

_الحب يا عمر.. لازم يحصل الحب..

قال لها عمر وهو يتحسس وجهها بحب شديد:

_بس أنا بحبك قوي يا بلقيس رغم إني ما قدرتش ابدًا إني أفهمك.. ورغم إني كنت بحس في بعض الأوقات إنك مش بتحترميني...

أنزلت بلقيس يديها من حول رقبة عمر ثم ابتعدت عنه خطوة وقالت له

بحزن:

_اوعى تقول كده يا عمر.. أنا من أول يوم شفتك فيه وأنا بحترمك.. أنا عرفت معنى الاحترام منك.. يمكن أنا مجنونة شوية.. يمكن مافيش حد بيقدر يفهمني لكن أنا حبيتك قوي يا عمر واحترمتك قوي..

اقترب منها عمر تلك الخطوة التي ابتعدتها هي وقال لها وهو يبتسم برقة ويهمس:

_مش مهم إني أفهمك يا بلقيس.. المهم إني بحبك..

اقترب أكثر منها حتى التصق بها وقال لها وهو يدفن وجهه في رقبتها:

_يمكن تكون الخطوات الأربعة دي يا بلقيس ضرورية عشان يحصل الحب بين أي اثنين.. لكن أي اثنين ثانين يا بلقيس غيري أنا وأنتِ لأني أنا وقعت في غرامك في أول لحظة شفتك فيها وأنتِ واقفة على باب بيتي وقبل ما يحصل بينا تفاهم ولا انسجام ولا احترام ولا أي حاجة من اللي أنتِ قلتي عليها قالت له بحب:

_بس حصل الإحساس يا عمر...

قال لها مؤكدًا:

_أيوه يا حبيبتي.. حصل فعلاً الإحساس أنا حسيت بيكِ وبوجودك رغم إني متأكد إنك ما حسيتيش بيه وقتها..

قالت له بلقيس بجدية:

_لأ يا عمر أنا حسيت بيك.. وده اللي خلاني أجيلك كل ليلة بعد كده..

ابتعدت عنه بلقيس واستدارت تمشي بالحديقة وهو يسير خلفها ثم توقفت والتفتت إليه وهي تقول:

_الحياة نعمة كبيرة من ربنا.. هبه عظيمة لينا لكن إحنا للآسف ما بنعرفش إزاي نستمتع بيها.. أنا يا عمر كنت باستمتع بكل يوم من عمري وكنت فاكره إني عرفت أتمتع بحياتي لكن اكشتفت إني كان المفروض أتمتع بيها بشكل أفضل.. كان المفروض استمتع بكل دقيقة فيها.. استدارت بلقيس وبدأت تمشي مرة أخرى وهي تقول لعمر:

_اليوم يا عمر فيه ٢٤ ساعة.. والساعة فيها ٦٠ دقيقة.. يعني اليوم فيه

١٤٤٠ دقيقة.. كان لازم ماضيعش ولا دقيقة ربنا منحني فيها نعمة الحياة من غير ما أعمل فيها حاجة مهمة..

وقفت بلقيس مرة أخرى ثم استدارت تنظر إلى عمر بحزن وهي تقول له:

_أنا زعلانه منك يا عمر..

قال لها عمر باهتمام شديد:

_ليه يا حبيبتي.. أنا زعلتك في إيه؟

قالت له وهي تنظر إليه بحب:

_ضيعت من عمرك ١٤ سنة يا عمر..

قال لها عمر بسرعة وكلماته تقطر حبًا:

لأ يا حبيبتي ماضعوش أبدًا.. أنا كنت عايش معاك في الجنة..

قالت له بعتاب:

١٤ سنة يا عمر يعني ٥١١٣,٥ يوم ضاعوا من عمرك يعني ٧٣٦٣٤٤٠ دقيقة ضاعت من حياتك كتير قوي يا حبيبي أنا ماستهلش كل ده..

انهمرت دموع عمر على وجهه بغزاره واقترب منها وهو يقول لها بوجد شديد ولسانه ينطق بعشق عنيف:

لأ يا حبيبتي.. حرام عليكِ اوعي تقولي كده.. أنتِ تستاهلي إني أعيش عمري كله أحبك وأفكر فيكِ..

قالت له بلقيس بحب:

- أوعدني يا عمر إنك تستمتع بحياتك بعد كده.. وكفاية يا حبيبي إنك بتحقق لي حلمي..

قال لها عمر بإصرار:

_أنا مستحيل استمتع إلا بوجودي معاكِ.. اوعى تفتكري إني هاسمح لك إنك تبعدي عني أبدًا.. مستحيل يا بلقيس أنا هافضل عايش معاك حتى لو أنتِ عايزه تبعدي عني..

قالت له بلقيس بعتاب:

_أنا مستحيل ابعدك عنك يا عمر.. أنا هاكون دايمًا معاك يا حبيبي.. إزاي تتصور إني أبعد عنك.. أنا روحي أصبحت موصولة بيك.. قال لها عمر:

_يعني هاتيجي دايمًا في معادك يا حبيبتي..

هزت بلقيس رأسها بحب وقالت له بحنان:

_أنا هاجي دايمًا في ميعادي يا حبيبي .. مستحيل إني أتأخر عليك.. علا صوت أذان الفجر معلنًا بدء يوم جديد.. قالت له بلقيس وهي تودعه:

_ ميعادنا إن شاء الله يا عمر في نفس الميعاد.. الساعة اتناشر يا حبيبي.. استدار عمر وأعطاها ظهره لا يريد أن يراها وهي ترحل.. يريد أن يعيش على أمل لقاءها في نفس الموعد.. رفع رأسه إلى أعلى وقد أغمض عينيه يستنشق الهواء من حوله والمعبأ برائحة بلقيس.....

تمت

obeikandl.com

A

الفصل الأول.....ص3
الفصل الثاني.....ص9
الفصل الثالث.....ص18
الفصل الرابع.....ص33
الفصل الخامس.....ص42
الفصل السادس.....ص58
الفصل السابع.....ص73
الفصل الثامن.....ص83
الفصل التاسع.....ص97
الفصل العاشر.....ص118
الفصل الحادي عشر.....ص140
الفصل الثاني عشر.....ص149
الفصل الثالث عشر.....ص160
الفصل الرابع عشر.....ص170
الفصل الخامس عشر.....ص176
الفصل السادس عشر.....ص184
الفصل السابع عشر.....ص193
الفصل الثامن عشر.....ص203
الفصل التاسع عشر.....ص216
الفصل العشرون.....ص225

obeikandl.com